

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دِيَّان

ابن خاتمة الأندلس

(أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري الأندلسي)

ورسالة: الفصل العادل بين الرقيب والواشي ولعاذل

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله

لا غالب إلا الله

عقده وشرحه وقدم له

الكتور

محمد رضوان الداية

لا غالب إلا الله لا غالب إلا الله

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دِيَّانُ
ابْنُ خَاتِمَةَ الْأَصْلَاحِي

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ذِيَوَانُ

ابن خاتمة الأندلسي

(أحمد بن علي بن خاتمة الأندلسي)

ورسالة: لفصل العادل بين الرقيب والواشي وعما ذل

حققه وشرحه وقدم له

الدكتور محمد رضوان الداية



الكتاب ٩٦٧

الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ = ١٩٩٤ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل
والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق

سورية - دمشق - برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد - ص.ب (٩٦٢)
برقيا: فكر - س.ت ٢٧٥٤ هاتف ٢٣٩٧١٧، ٢١١١٦٦ - تليكس ٤١١٧٤٥٥ FKR

الصف التصويري: دار الفكر بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - عصر الشاعر :

هدأت الأحوال السياسية هدوءاً نسبياً ، في مملكة غرناطة ، في القرن الثامن ، بالقياس إلى الاضطراب والفوضى وحال التقهقر وسقوط المدن والممالك والحصون في أثناء القرن السابع . فقد استبد بنو نصر المعروفون ببني الأحمر بشؤون الدولة الإسلامية المتبقية لهم من الأندلس ، وضبطوا شؤونها . وبعد سلسلة متلاحقة من التنازلات للجانب الآخر من جانبي الصراع ، شعروا بضرورة الوقوف صامدين أمام ذلك المد الخارجي ، وأن يحسنوا الدفاع عن الباقي إن لم يستطيعوا استعادة ما فقدوه بأنفسهم ، وما فقدوه من سبقهم من بني هود وبني مرديش وأواخر أمراء الموحدين المستضعفين .

ويُخَيَّل إلى الناظر في تاريخ القرن الثامن الهجري أن الأندلس تستردُّ عهد قوة وتمكُّن ، وتُعِيد إلى الحياة ذكريات قديمة من بعض أيام القوة والسيادة ؛ سواء في ذلك ما يتصل بالشؤون العسكرية والإدارية والسياسية أو ما يتصل بالشؤون الحضارية عامة ، والشؤون الفكرية والفنية والمعاشية خاصة .

وهكذا نشطت الحركة العسكرية بالتعاون بين الأندلس والمغرب ، وتوجهوا نحو تحالف الدويلات الشمالية بما صان الحدود وحى البلاد . وكثرت العمائر الفخمة من قصور ومساجد وقناطر ومدارس ، وركن الناس إلى شيءٍ من الاطمئنان وإن كان مشوباً دائماً بالحدذر من عدو خارجي أو فتنة داخلية^(١) .

(١) للتوسع في تاريخ هذه الفترة يرجع إلى :

وفي هذا القرن ظهر نشاطٌ أدبيٌّ واسعٌ تناول جانبي الشعر والنثر ، وظهر أعلامٌ كبار في غرناطة ، وزُندة ، والمريّة ، وبسطة ، ووادي آش ، وغيرها : أسهموا في الفنون الأدبيّة نظماً وتأليفاً ومشاركة ، وأضافوا إلى تراث أجدادهم شيئاً طريفاً يدل على حيويّة الأندلسيين ونصاعة بيانهم كما يدل من جهة أخرى ، مهمّة ، على أنّ ألقَ العبارة وجودة الصياغة والتّمكّن من ناصية اللغة ومتابعة الفحول من أعلام الأدب العربيّ ، كل ذلك استمر بارزاً في ذلك الصقع البعيد ؛ وبرز شعراء وكتّاب لهذا القرن ، وفي القرن الذي تلاه أيضاً ؛ لم يَلِنْ شعرهم ، ولم تسقط عبارتهم . ولعل استمرار ذلك القطر على نمط من العروبة فريد مكنّهم من تلك النصاعة ، والمقدرة ، والبراعة .

-
- ١ - الإحاطة في تاريخ غرناطة ، تأليف لسان الدين بن الخطيب ، (نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، أربعة أجزاء) ، وكان ظهر جزآن من الكتاب في مطبعة الموسوعات بالقاهرة .
- ٢ - الملحّة البدرية في السّولة النّصريّة ، لسان الدين ، صححه ووضع فهرسه محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ٣ - كناسة الدكان بعد انتقال السكان للسان الدين . مطبوعات وزارة الثقافة ، القاهرة ١٩٦٦ ، تحقيق د . محمد كمال شبانة .
- ٤ - نفاضة الجرباب في علالة الاغتراب ، لسان الدين ، القاهرة بلا تاريخ ، تحقيق د . أحمد مختار العبّادي .
- ٥ - أعمال الأعلام للسان الدين ، تحقيق ل . بروفنسال ، طبع بيروت (دارالمكشوف) .
- ٦ - الكتيبة الكامنة للسان الدين بن الخطيب ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٦ م .
- ٧ - التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً ، تحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٧٠ هـ / ١٩٥١ م .
- ٨ - رقم الحلل في نظم الدول للسان الدين ، طبع تونس ١٣١٦ هـ .
- ٩ - نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الأحمر ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، طبع دار الثقافة ببيروت ١٩٦٥ (وانظر الدراسة المطولة الملحقة بالكتاب) .
- ١٠ - نثير الجمان في شعر من نظمني وإياه لابن الأحمر (مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية) .
- ١١ - الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى للناصرى السلاوي - الدار البيضاء بالمغرب ١٩٥٤ .
- ١٢ - نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، محمد عبد الله عنان ، مطبعة مصر ، ١٩٤٩ .
- هذا ؛ بالإضافة إلى التّواريخ العامة ، كتاريخ ابن خلدون ، ونفع الطيب المقرئ ، الأدب العربي (ج ٦) للدكتور عمر فروخ وغيرها .

في هذا القرن (الثامن) نجد أسماء لامعة متألفة ، بعضهم أسعفهم الحظُّ وأعانهم السعد ، فبقي من تراثهم ديوان شعر أو مجموع ترسُّل ، أو كتاب مفرد ؛ وبعضهم كان دون ذلك فعرَفنا شيئاً من أخبارهم وشيئاً من شعر أو نثر ، وهنالك فئة ثالثة درست آثارهم فلم يبق مما يتصل بهم شيء يُفصح أو يُبين .

ومن رجال الفئة الأولى الشيخ الرئيس أبو الحسن بن الجيّاب كاتب الدولة النصرانية ووزيرها ، ومنهم الوزير الخطير ذوالمقام الرفيع لسان الدين بن الخطيب ، ومنهم الرّحالة الحاج القاضي خالد بن عيسى البلوي ، ومنهم الشاعر الكاتب الوزير ابن زَمْرَك ، الذي يزيّن شعره قصر الحمراء في غرناطة بني نصر . ومن هؤلاء صاحب الديوان الذي تقدمه ، الأديب ، الشاعر ، الكاتب ، العالم ، المصنّف ، المتفنّن ، أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري ، الأندلسي ، المريني ، من أهل مدينة المَرِيّة ، إحدى مشاهير البلاد في مملكة غرناطة .

٢ - موطنه :

والمَرِيّة^(١) هي إحدى المدن الرئيسية في دولة غرناطة ، وهي مدينة عربيّة أنشئت سنة ٣٤٤ أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن الناصر . وقد جعلها المسلمون مرأى ومقرباً وبنوا فيها المحارس لتجنب أيّ هجوم بحري طارئ .

وتقع (المَرِيّة) على الشاطئ الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة إيبريّة ، وهي مرسى مهمّ من مراسي البحر المتوسط ، كانت تقصدها مراكب التجار من الإسكندرية والشام ، وسواها . ووادي المَرِيّة مريع ؛ ونقل المقرّي في نفع الطيب أنه أربعون ميلاً في مثلها ، كلها بساتين بهجة ، وجنات نضرة ، وأنهار مطردة وطيور مغردة .

وقد توالى عليها الولاة والمستبدون بأمرها ، وبنيت فيها الحصون والقلاع ، واشتهرت بعدد

(١) راجع (المَرِيّة) في الروض المعطار للحميري : ١٨٣ - ١٨٤ ، ومعجم البلدان لياقوت : ١١٨ - ١١٩ ، ونفع الطيب للمقرّي : ١٦٢ ، والمغرب في حلي المغرب لابن سعيد : ١٩٣/٢ - ٢٠٨ ، ومشاهدات لسان الدين (مجموعة من رسائله) تحقيق د . أحمد مختار العبادي ٤٣ - ٤٤

من الصَّنَائِع العامة ، وأخذت مكانة خاصة مع خيران العامري استمرت مع عهد المرابطين (المثلثين) ؛ ولما ضاقت على المسلمين بلادهم باحتلال معظمها ، ازدادت مكانة هذه المدينة وأهميتها .

و (المَرِّيَّة)^(١) في تقسيمات ابن سعيد في (المغرب) هي إحدى قواعد مؤسسة الأندلس الست ، ومن أعمالها أندَرَش وغيرها .

وذكر لسان الدين بن الخطيب في كتابه (اللحة البدرية في الدولة النصرية) ما يرجع إلى مملكة غرناطة من الأقاليم والأقطار لزمانه ، فقال : إنه يرجع إليها ثلاثة وثلاثون إقليماً منها إقليم أرش اليمَن وفيه مدينة المرية ، ووصفها لسان الدين ، معاصر ابن خاتمة وصاحبه ، بأنها « معقل الإسلام ذات القصة الشهيرة والحباية الغزيرة .. وأنه يرجع إليها عدد كثير من الحصون في شرقها وغربها .. » .

٣ - التعريف بابن خاتمة :

والشاعر هو أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة ، الأنصاري ، الأندلسي أبو جعفر . وهذه السلسلة مثبتة بخط الشاعر نفسه في إجازة منحها لأحد تلاميذه على غلاف كتاب : (رائق التحلية)^(١) . وهو في مقدمة الديوان لم يتجاوز جدّ والده المُسمّى باسمه . وتتفق كتب التراجم على هذا النسق ، غير أن صاحب النفح ينقل في نسبة أخيه الشاعر محمد أنه محمد بن علي بن محمد بن علي بن يحيى ؛ وكلمة (يحيى) مصحفة عن محمد .

(١) قالوا في النسبة إلى مدينة المرية ، المربي ، واستقلوها فقالوا : المريني ، بإضافة النون انشأ في إضافتها في كثير من النسب ، ومن استعمل صيغة (المريني) ابن سعيد في كتاب المغرب . وليس هناك علاقة بين المريني (نسبة إلى المرية) وبني مرين حكام المغرب في هذه المدة .

(١) انظر ترجمة ابن خاتمة في : الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب : ١١٤/١ - ١٢٩ ، والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة لابن الخطيب ٢٣٩ - ٢٤٥ ، والإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر لابن الخطيب : ٢٢٢ . (وهو ملحق برسائل لسان الدين في كتابه : ربحانة الكتاب ونجمة المنتاب ، من مخطوطة في دار الكتب المصرية) . ونشير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان للأمير ابن الأحمر . تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية : ٣٢١ . ونشير الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان ، طبع بتحقيق محمد رضوان الداية في مؤسسة الرسالة . =

وابن خاتمة مشهور في عصره بفنون الثقافة المختلفة : شاعر وكاتب ، ومترسل ، وفقهه ، ومصنف ، وزاهد . أثنى عليه معاصره وصاحبه وصديقه لسان الدين بن الخطيب ، وترجم له في مواضع مختلفة من مؤلفاته ، فهو ذكره مطبوعاً في كتابه (الإحاطة في أخبار غرناطة) وفي (الكتيبة الكامنة) وفي (الإكليل الزاهر) . وترجم له من معاصريه الأمير أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر في كتابيه الاثنين : (نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان) ، و (نثر الجمان في شعر من نظمنا وإياه الزمان) . وانتقى من شعره ونثره .

وترجم له ابن القاضي في كتابه (درة الحجال) ، وترجم له أحمد بابا في نيل الابتهاج ونقل عن الحضرمي في فهرسته ، ولابن خاتمة ذكر طويل كثير عند المقرئ في نفح الطيب وأزهار الرياض ، وقد اختار من شعره ونثره ، ونقل من كتب لابن خاتمة كان يملكها في مكتبته ، وترجم له ترجمة سريعة ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار ، ومحمد بن محمد مخلوف في شجرة النور الزكية .

وهذه التراجم قدّمت لنا مادة واسعة سنفيد منها في رسم معالم شخصية الشاعر وبيان مشيخته وتلاميذه ومؤلفاته وأخباره ، وسنعمد على آثاره نفسها لجلاء بعض الأمور ، في محاولة لإعطاء صورة دالة ولحمة كافية .

٤ - مشيخته ، وتلاميذه ، ومكانته :

سمّى لسان الدين بن الخطيب في أحاديثه عن ابن خاتمة شيوخه البارزين الذين تلقى عليهم علومه وأجازوه ؛ فمنهم أبو الحسن علي بن محمد بن أبي العيش المرّي ، وإبراهيم بن محمد أبي العاص التّنوخي ، والمحدث الرحالة محمد بن جابر بن حسان الوادي آشي ، والشيخ الفقيه محمد بن محمد أبو البركات ابن الحاج البلقفي السلمي ، والشيخ الخطيب عبد الرحمن بن محمد بن شعيب ،

= ودرة الحجال في غرة أسماء الرجال لأحمد بن محمد المعروف بابن القاضي : ٤٠/١ ، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج لأحمد بابا الشهير بالتنبكي : ٧٢ ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ، مخطوطة بدار الكتب المصرية : ٥٠٢/١١ - ٥٠٣ ، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقرئ (في مواضع متفرقة) ، وكتابه الآخر أزهار الرياض في أخبار عياض (مواضع متفرقة) .

وذكره إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين : ١١٢/١ ، ومحمد بن محمد مخلوف في شجرة النور الزكية : ٢٢٩

والشيخ أبو جعفر بن فركون ، والوزير الحاج الزاهد محمد بن محمد بن سهل بن مالك . وحفظت لنا كتب التراجم بعض أخبار شيوخ ابن خاتمة ، فهم في عصرهم من الطبقة الجيدة من أهل العلم وأرباب الفضل وولاة الأمر من كتاب ووزراء .

واستمر في تحصيله على هؤلاء ، وعلى غيرهم أيضاً ، بما كفل له أن يصبح ذا مركز مرموق وثقافة ناضجة ، وبما هياه لأن يقعد للإقراء في مسجد مدينة المَريّة .

وقد تتلمذ عليه عدد كبير من طلاب العلم والمعرفة ، منهم : علي بن لسان الدين بن الخطيب (نفح الطيب : ٢/٣٤٠ ، و ٢/٢٧) وأبو جعفر بن زرقالة (مقدمة مُصنّفه : رائق التحلية) وأخو الشاعر المسمى محمد بن خاتمة (النفح : ٦/٢٣٠ - ٢٣١ ، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني : ٤/٢٠٠ - ٢٠١ ، والإحاطة - النسخة المخطوطة الجزء الأول - الورقة ٥٤ب) .

ووصف الحضرمي مجلس ابن خاتمة وطريقته فقال : « تصدّر للإقراء بالجامع الأعظم بالمَريّة وعقد مجلساً للجمهور ، وقيد الكثير ، وصنّف ؛ طبّاً للأمور ، حسن الإلقاء ، طلق الوجه ، باراً بإخوانه وأصحابه » . وكان إقراؤه يتناول فنون الأدب واللغة المختلفة ، ففي ترجمة الشاعر الأندلسي ابن الحدّاد الوادي أشي في نفح الطيب نقل من الإحاطة قصيدته :

أَقْبَلُنْ فِي الْحَبَرَاتِ يَقْضُرُنَ الْخَطَا وَيُرَيْنَ فِي حُلُلِ الْوَرَاثِينَ الْقَطَا

وقال : وهي طويلة ، وكتب عليها ابن مؤلف الإحاطة : سمعتها من شيخي أبي جعفر بن خاتمة بالمَريّة في سنة خمس وستين وسبع مئة ، قاله علي بن الخطيب « . (النفح : ٢/٢٧) . وقال ابن الأحرر في صدر ترجمته له : « إنه كان يُقرئ العربية ، وسائر العلوم بها » ، وهذه عبارة كافية للدلالة على غزارة علمه ، وشموها ، وعلى مقدرته وتمكّنه .

وعرف له أهل بلده مكانته وقدروا علمه ، فكان يقوم بعقد الشروط ، وكتب عن الولاة ببلده ، وكان يفد إلى العاصمة غرناطة بين الحين والآخر في زيارة رسمية ، كما نقول اليوم - باستدعاء من قصر الحمراء - أو زيارة شخصية يزور فيها عالماً أو صديقاً أو وزيراً ، أو غير ذلك . وفي رسائله المتبقية ما يدل على حسن صلته بالطبقة العالية في المملكة النّصرية كلّسان الدين بن الخطيب ، وأبي البركات ابن الحاجّ البَلْفَيقِي ، وأبي عبد الله بن شُعيب والي قصبّة المَريّة ، وأبي القاسم بن رضوان .

وقد وفد على غرناطة ، مثلاً ، في سنة إحدى وخمسين وسبع مئة عند إغذار الأمراء في الدولة اليوسفية (أي في ظل حكم السلطان يوسف بن الأحمر ٧٣٣ - ٧٥٥) . ومثل هذه الدعوات تقليد قديم في الأسرة النصرية يحتفلون له ، ويدعون علماء البلاد ووجوهها وشعراءها من أقطارهم المختلفة^(١) .

٥ - آثاره :

١ - اختار الذين ترجعوا لابن خاتمة غناذج متفرقة من شعره ، وأشاروا إلى ديوان من شعره الذي كان مرغوباً فيه في زمانه ، فهو جمع شعره في ديوان صنعه بنفسه وكتبه بخط يده سنة ٧٣٨ بناء على رغبة نفر من أصحابه وأصدقائه (مقدمة الديوان الورقة ٢/ظ) .

وفي (فائق التورية) الذي صنّفه ابن زرقالة أن رئيس الكتاب أبا القاسم عبد الله بن رضوان طلب من صديقه ابن خاتمة ديوان شعره ، وكان بينهما في ذلك مطارحة شعرية (القطعة ٢٨ من الكتاب المسمى : رائق التحلية في فائق التورية) وقد وصل إلينا ديوان ابن خاتمة بخط يده^(٢) ، وهي النسخة التي صنعها سنة ٧٣٨ ، ووصلت نسخة أخرى مغربية وستحدث عنها فيما بعد .

٢ - ومن مؤلفاته : تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد ، تحدث فيه عن الطّاعون الجارف الذي اجتاح العالم القديم سنة ٧٤٩ . ونعرف له نسخة واحدة (لدي عنها نسخة مصورة) .

٣ - ومنها كتابه الكبير : مَزِيَّةُ الْمَرْيَّةِ على غيرها من البلاد الأندلسية ، ذكره غير واحد ممن ترجعوا لابن خاتمة ، وتقل منه المقرّي في نفح الطيب وأزهار الرياض قولاً كثيرة ، وقال إنه كانت لديه منه نسخة بالمغرب . والكتاب مفقود . ومن النُّقول عنه نستطيع أن نعرف منهجه ومقصده فهو على شاكلة المؤلفات في تواريخ المدن ، من حديث عن موقع المدينة وتاريخها وحضارتها ورجالها والطارئين عليها ، وذكر شعرائها وكتّابها . وكتاب الإحاطة لمعاصره لسان الدين غنوّجٍ حيٌّ لهذه المصنّفات الكبيرة في الأندلس .

(١) نلح شيئاً من هذا في ثنايا كتاب أبي البقاء الرندي ، شاعر القرن السابع الأندلسي ، المسمى : الوافي في نظم القوافي . (ص ٤١ مثلاً) ، مخطوطة ، بمكتبة أحمد تپور ، رقم ٦٠٣ أدب .

(٢) احتفظت مكتبة الاسكوريال في إسبانيا بديوان ابن خاتمة ، وصورته الجامعة العربية (معهد المخطوطات) في مجلة ماانتقاء أستاذنا الدكتور عبد العزيز الأهواني ، رحمه الله ، لذلك المعهد .

٤ - ومنها جزء سَمَاء : إلحاق العقل بالحس في الفرق بين اسم الجنس وعلم الجنس ، وكذا نقل أحمد بابا في نيل الابتهاج عن الحضرمي في فهرسته ، ولا أعرف أحداً ذكره غيره ، وهو مفقود .

٥ - وجمع تلميذ الشاعر أبو جعفر أحمد بن علي بن زرقالة ما يتصل بالتورية من شعر أستاذه ابن خاتمة ، ومعظم ما في الكتاب مما لم يرد في الديوان . وهو نقل عن شيخه مناسبات تلك المقطوعات وملابساتها ، والنسخة فريدة على جانب من الأهمية ، لأنها بخط أحد أصدقاء المصنف ، وعليها إجازة من ابن خاتمة لأحد تلامذته ، والنسخة مما وقع في نوبة أمير المسلمين أبي عنان المريني المغربي ملك دولة بني مَرَيْن بالمغرب الأقصى ، وهو توفي سنة ٧٥٩ . ونحن نعلم أنه كان مثقفاً^(١) ، وجماعة للكتب ، ومحباً للعلماء ، ومقرباً للشعراء^(٢) .

٦ - ونشر المستشرق الفرنسي (ج. كولان) في (مجلة هسبيريس) كتاباً مختصراً لمؤلف مجهول ، انتقى مادته من كتاب (إيراد اللآل من إنشاد الضّوال) الذي ألفه أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري . والكتاب الموجود ، المُنتقى من كتاب ابن خاتمة ، هو من الكتب التي اهتمت بظاهرة (لحن العامة) وهو نص صغير نسبياً ، فقد شغل ما بين ٨ - ٣٢ من صفحات المجلة .

وذكر ج . كولان في مقدمة نشرة الكتاب أن ابن هشام اللخمي - نزيل سبتة - كان ألف كتابه في (لحن العامة) - وهو كتاب المدخل إلى تقويم اللسان وتعليم البيان - . ثم جاء بعده محمد بن هانئ اللخمي السبتي (المتوفى سنة ٧٣٣) فوضع كتابه (إنشاد الضّوال وإرشاد السّؤال) فرتب كتاب ابن هشام وعلّق عليه .

ثم وضع الأديب الأندلسي أبو جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري كتاب : إيراد اللآل من إنشاد الضّوال . قال المرحوم الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في مقدمة (الجمانة في إزالة الرطانة) : إن كتاب ابن خاتمة هذا « يعدّ كالاستدراك على كتاب ابن هانئ السبتي »^(٣) .

(١) راجع مثلاً خبر عناية السلطان أبي عنان بشعر ابن خميس التلمساني المقتول سنة ٧٠٨ في أزهار الرياض لمقري : ٣١٦/٢

(٢) وقد حققت كتاب (رائق التحلية) ونشرته في دمشق .

(٣) الجمانة في إزالة الرطانة - لمؤلف مجهول - حقّقه الأستاذ المرحوم حسن حسني عبد الوهاب - طبع القاهرة ١٩٥٣ - راجع صفحة (ط) من المقدمة .

وجاء أخيراً ، وفي المنزلة الرابعة من هذه السلسلة ، مؤلف مجهول فانتقى من كتاب ابن خاتمة ذلك الجزء الذي نشره كولان G. S. Colin^(١) .

ولا يقع اسم أبي جعفر أحمد بن علي بن خاتمة الأنصاري الأندلسي في القرن الثامن على غير شاعرنا ذاته . فهو إذن آلف كتاباً في موضوع (لحن العامة) ، فقد فيما فقد من مؤلفات ، غير أن مُنتقى منه ، صنعه بعض اللغويين أو النحويين المجهولي الاسم ، وصل إلينا . وهو الجزء الذي نشره المستشرق المذكور . ولم ينسب أحد ممن ترجم لابن خاتمة - في مصادري التي رجعت إليها - كتاباً بهذا الاسم^(٢) .

ويلفت نظر الباحث أن كولان ، وتابعة محقق الجُماعة ، جعل ولادة ابن خاتمة سنة ٧٢٣ ، وتاريخ مولده بهذا الزمن يلفت النظر ، مما جعل بروكلمان في تاريخه يضع إشارة استفهام بعد هذا التاريخ (724?) ؛ وهو يذكر أن ابن خاتمة صنع ديوانه سنة ٧٣٨ .

٧ - رسالة : الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعازل ، نشرها أول مرة سوليداد جيبيرت ، ونعيد نشرها في آخر الديوان .

٦ - حياته ووفاته :

لانعرف تاريخاً محدداً لولادة ابن خاتمة^(٣) . أما وفاته فقد ذكر صاحب نيل الابتهاج أنها

Hespéris. Année 1931. Tome XII.

(١)

(٢) أعاد الدكتور إبراهيم السامرائي نشر هذا الكتّيب في (نصوص ودراسات عربية وإفريقية) ، اعتاداً على نشرة ج . كولان ، مع تعليقات وشروح جديدة . وجعله لابن خاتمة مباشرة ، لا أنه منتقى من كتابه . ومقدمة الديباجة فيه : « ومن إيراد اللآل من إنشاد الضوأل لابن خاتمة الأنصاري رحمه الله ، اختصر فيه كتاب إنشاد الضوأل وإرشال السؤل ... لابن هاني السبتي ... » . انظر (نصوص ودراسات ..) : ٢٠٩ - ٢٣٣

(٣) ذكر المستشرق Gayengos في كتابه :

The history of the Mohammedan Dynasties in Spain (I. 358-359).

أن ولادة ابن خاتمة كانت سنة ٧٢٤ . وذكر هنا - ولعله نقله من جايينجوس - كولان في مجلة Hespéris في العدد الثاني عشر حين قدّم لكتاب إيراد اللآل من إنشاد الضوأل .

وأثبت بروكلمان في تاريخه هذا الرقم مستغرباً ، في : (Gal - II, 259) .

والأكثر غرابة ما ذكره Pons Boigues من أن ابن خاتمة ولد سنة ٧٢٤ . انظر :

Pons Boigues: Ensayo Bio-Bibliografico sobre los Historiadores Y Geograficos

= Arabigo-Espanoles (Madrid 1898).

كانت في تاسع شعبان سنة سبعين وسبع مئة . وحين ترجم لسان الدين بن الخطيب له في الإحاطة قال إنه كان حياً وقت تأليف كتابه والترجمة له في ثاني عشر شعبان سنة سبعين ؛ ونقل في نيل الابتهاج أنه عاش ستين سنة .

قلت : أما سنة وفاته فهي سنة ٧٧٠ ، وربما كان تاسع شعبان منا رقماً صحيحاً ، ويكون خبر وفاة ابن خاتمة تأخر وروده على لسان الدين .

وأما أنه عاش ستين عاماً فهذا كلام تحته نظر ؛ ففي مسالك الأبصار ينقل ابن فضل الله العمري عن أبي عبد الله العقيلي السري « أنه فارقه سنة ٧٤٠ ب قيد الحياة ، زعم أنه فارقه وقد أسن » . وكرر سنة أربعين وسبع مئة كتابة لا رقماً مرة أخرى ، ولا يُقال هذا الوصف لمن كان ابن ثلاثين . ولما ترجم لسان الدين له في الكتيبة الكامنة دلّ على وفاته بالترحم عليه ، وهو ألف الكتيبة سنة ٧٧٤ كما استظهر الدكتور إحسان عباس في مقدمة تحقيقه .

ويظهر لي أن كلمة (ستين) من عبارة نيل الابتهاج مصحفة عن (سبعين) ، ومع هذا فإن احتمال وفاة ابن خاتمة عن أكثر من سبعين عاماً يظل احتمالاً مقبولاً .

وقد تمتع ابن خاتمة بمزايا الأديب ، العالم ، الفاضل ، وتحلّى بكثير من المزايا ، فكان « قويّ الذهن كثير الاجتهاد ، جيّد القريحة ، بارع الخطّ ، مُمتع المجالسة ، حسن الخلق » ، وكما قال لسان الدين : هو حسنة من حسنات الأندلس ، وطبقة في النظم والنثر . وفي ديوان ابن خاتمة خطأً ونظماً ما يدلّ على صدق عبارة صاحبه فيه .

٧ - الديوان :

وديوان ابن خاتمة وحده من بين دواوين شعراء عصره وصل إلينا كاملاً كما خطّه بيده . وهو في طبقة عالية من النظم والبراعة ، والرغبة في مجارة الشعراء الكبار .

وقسم الشاعر ديوانه إلى أقسام :

الأول في المدح والثناء .

= واعتاد جاينجوس كان على المقرئ في (نفح الطيب) خصوصاً ، ولم أعر على شيء من هنا في (نفح الطيب) ولا في (أزهار الرياض) .

والثاني في النسيب والغزل .

والثالث في المُلح والفكاهات .

والرابع في الموشحات والأزجال .

ولم يسمّ الخامس قسماً ، بل جعل (نبذة) يختم بها الكتاب ، كما قال .

والذي يلفت النظر حقاً أنّ قسم المديح لم يتضمّن مدح شخصيّة ما من شخصيات العصر ، لا أمراء الدولة النُصريّة ولا وزرائها ؛ ولكن الشاعر اشتغل بثناء الله تعالى على نعمائه والاعتراف بفضلِهِ ، والدعوة إلى طاعته ، والتفكير بآلائهِ وحُسن صنيعِهِ في خَلْق السّموات والأرضِ .

وغزله رقيق المعاني ، رشيّق العبارة ، يدلُّ على قدرة الشاعر وموهبته ، وتغنُّه من الصنعة . وما في القسمين الثالث والرّابع هو أقلُّ محتويات الديوان ، ولعلّ الشاعر وجدهما من طراز خاص من الشعر الذي كان شائعاً ، وكانت مناسباته مواتيّة ، فقال في ذلك شعراً ، ولكنه حصّره في حيّز محدود . وأكثر شعره في قسم المُلح والفكاهات : مقطّعات قصيرة تتناول موضوعات متفرّقة ، ويشيع فيها تناول عدد من الفنون البديعيّة التي كانت لها سوق رائجة .

وشعر قسم الوصايا والحكم قريب من حيث الشكل من القسم السّابق إلا أنّ موضوعاته خاصّة ، ففيها يجلو ابن خاتمة عن وجه العالم ، الزاهد ، الفقيه ، ويميل إلى الاستفادة من الأفكار الإسلاميّة العامّة ممّا يحثُّ على الطّاعات ، وحسن المعاملة ، ومكارم الأخلاق ، وربّما نظم مدلولات أمثال شائعة أو عبارات لبعض أعلام الإسلام . وهذا يرتبط بامتناعه عن المديح المألوف في الشعر وعن التوجّه إلى أشخاص ذوي مكانة دنيويّة بغية العطاء أو النّوال . وقد عرفنا في شيوخه بعض العلماء والزّهّاد والخطباء والوعّاظ . وقد أطنب الذين تحدّثوا عنه في وصف مآثره من ورع ، وتقى وحُسنِ عشرة ، وترفع عما يخوض فيه كثير من المتأدّبين . ونحن - على كل حال - غير بعيدين في هذا العصر عن نزعة واضحة إلى التّصوّف ، واعتزال مشاغل الدّنيا ، عند نفر غير قليل من علماء الأندلس ورجالاتها .

والقسم الأخير من الديوان يضمّ تسعة عشر موشحاً ، لم يسبق نشرها ، ولا تحدّث عنها أحدٌ ممّن ترجوا لابن خاتمة ، ولا أثبتوا نقولاً منها . وهي موشحات فائقة من حيث صياغتها ، ورقّتها ، وجملها ؛ وهي تدلُّ على شيئين :

أحدهما :

علو كعب ابن خاتمة في فن التوشيح ، وبراعته في أنواع المنظوم لذلك العهد من قصيد مطوّل ، ومقطعات ذات أغراض محدودة ، وموشح يركز إلى أبرز خصائص الموشحات بعد مرحلة النضج والاكتمال : لطافة المعاني ، ورقة العبارة ، والسلاسة ، والموسيقىّة ، وعذوبة الكلمة المُنتقاة ؛ ولا شكّ في أنّها ستكون مادة خصبة لدارسي الموشحات . وقد كانت بعض الخرجات من هذه الموشحات موضوع حديث أستاذنا الدكتور عبد العزيز الأهواني في مقدمة كتابه (الزجل في الأندلس) .

وثاني الأمرين :

أن هذه الظاهرة في ديوان ابن خاتمة تستحق النظر والبحث في تاريخ هذا الفن الأندلسي الخالص : فن التوشيح ، لهذا القرن الثامن ؛ فإن شيوع هذا الفن في استعمال الأدباء يستدعي التدقيق من جديد ، وتحليل ظاهرة العودة إلى التوشيح - ولو على النطاق الأدبي المحض - ففي هذا العصر نجد لسان الدين الخطيب ، وابن خاتمة الأنصاري ، وابن زمرك ، وغيرهم ممن ضربوا في هذا الفن بسهم ، وتركوا موشحات كثيرة ، تستحق الدراسة ، والعرض على مادة تاريخ فن التوشيح في الأندلس ، وتاريخ الأدب الأندلسي عامة .

٨ - نسخ الديوان ، والعمل في تحقيقه :

لدينا من الديوان نسختان اثنتان :

(١) الأولى نسخة فائقة ، بخط الشاعر ، مؤرخة « في أخريات سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة » وهي محفوظة في مكتبة الإسكوريال تحت رقم ٣٨١ ، في ٦١ ورقة . وفي الصفحة ١٦ سطراً في المتوسط ، والخط أندلسي جميل ، مضبوط بالشكل الدقيق ، وقد سبق أن ابن خاتمة وُصِفَ بجبال الخط ، والنسخة على العموم على غاية من الإحسان والإتقان .

وعلى هذه النسخة كان اعتمادنا في المتن ، وقابلت مافيهما على النسخة الثانية في الحاشية الأولى من حواشي الديوان .

(٢) والنسخة الثانية حديثة نسبياً ، مغربيّة ، وبخط مغربي أيضاً ، مما دخل خزانة الرباط العامة ، وهي في مجموع أدبيّ ما بين صفحتي ٢٨٦ إلى ٣٩٧ . وفي الصفحة ١٧ سطراً في المتوسط .

وفرق ما بين النُسختين من حيث الجودة والرداءة فرق تام ، إذ أنَّ بينهما تبايناً تاماً ، فهذه صحيحة والأخرى سقيمة ، وهذه واضحة الرسم بيّنة الحروف والإعجام ، وتلك سقيمة الخط رديئة الإبانة .

والأصل الذي ترجع إليه نسخة الرباط هو النسخة الأولى أي نسخة المؤلف نفسها التي فرغ من تدوينها سنة ٧٢٨ ، لأنها لا تزيد بما فيها من شعر وتوشيح على ما في النسخة الأمّ ، ولا شك في أن ناسخ النسخة المغربية قد نقلها عن أصل أخذ من ذلك الأصل الذي صنعه الشاعر .

وقد عرفنا اهتمام المغاربة بشعر الأندلسيين ، وانتقال شعر الشاعر في حياته إلى المغرب ، فتلك النسخة المغربية السقيمة نقلت عن أصل متسلسل إلى تلك النسخة الأولى الأمّ . ويؤكد هذا أن الشاعر في نسخته ربّما بدّل كلمة بين الحين والآخر ، وذلك بإضافة الكلمة المستعاض بها على الهامش أو فوق الكلمة المستعاض عنها وهو ممّا تخلو منه النسخة المغربية . ولكن هناك مواقع يذكر فيها الشاعر كلمتين : إحداهما فوق الأخرى ويكتب في الهامش « معاً » . ونصادف مثل هذا في كلتا النُسختين . أما الإضرابُ عن كلمة بغيرها فتكاد تنفرد به نسخة المؤلف ، التي تُرجّحُ أنّها ظلّت في حوزته ينسخ عنها النُسخ ، ويغيّر هو فيها بين الحين والآخر كلمة هنا أو هناك .

وعلى هوامش نسخة المؤلف عبارة تكررت عدداً من المرات ، وهي « بلغت القراءة والسماع » بخط دقيق مغاير لخط المؤلف . فقد كان الشيخ يضع النسخة في يد تلميذ من تلامذته أو معجب أديب ، فيقرأ ذلك المُريد ويستمع الشيخ ، ويسجّل المريد بعد كل مجلس عبارته « بلغت القراءة والسماع » تحت بصر الشيخ وسمعه . ويؤكد هذا ما في الورقة ٦٠/ب من عبارة في آخر الكتاب ، على هامشه وهي : « بلغت القراءة والسماع على منشئه ، أبقاه الله » .

أمّا ناسخ النسخة المغربية فلم يذكر اسمه ، ولم يعين مكان النسخ أيضاً ، ولكنه ترك التاريخ وهو « يوم الأحد الخامس والعشرين من ربيع النبوي سنة أربع وتسعين وتسع مئة » . ولم تفدنا نسخة الرباط في كثير مما يتصل بالتحقيق ، أو الضبط ، أو التّغاير ، ولكن فائدتها تجلّت في مواضع من نسخة المؤلف ، لم يتّضح فيها الكلام لتآكل أطراف الصفحات ، في بعض المواضع ، شيئاً يسيراً جداً ، أو بسبب التصوير . وهي مواضع يسيرة ، أهمها في الورقات الأولى . ولهذا رجّحت أن أقابل النُسختين ، وأثبت تلك المقابلة ، إلا ما كان تصحيفاً واضحاً وخصوصاً ما يتصل بالإعجام والإهمال ، فهو في نسخة الرباط كثير وفاشٍ ، ولقد أثبتت تلك الاختلافات حفاظاً على أمانة

النقل ، عسى أن يجد المراجع ما يفيد من بعض تلك الاختلافات ، وسأعرض عن ذكر نماذج لهذا الباب من الحديث ، اكتفاء بما هو مثبت في الحواشي .

ولعلّ الشكّ الذي يلقيه ناسخ الغربيّة راجع إلى أنه نسخ النسخة عن الأصل الذي اعتمد عليه ؛ ثم أعاد قراءتها - دون ذلك الأصل لسبب ما - فصار يَحْمَنُ أحياناً حيث كان سها هو في بعض المواطن ، فتجده يقول في الهامش : « ولعله كذا » وهو قليل . أو لعلّ النسخة التي اعتمد عليها سقيمة ، غير أن هذا ، لو صحّ ، لا يغيّر من رأينا فيه على كل حال .

وهكذا ، فقد اعتدّت أساساً على نسخة المؤلف ، وأشارت إلى الخلاف بينها وبين نسخة الرباط في المواطن التي لا علاقة لها بالتصحيف والتحريف والسهو ، فإذا ما كان للنص مصدر ثالث أو أكثر نبهت إلى ذلك ، وقابلت النصوص .

وأضفت إلى المتن ، والحاشية الأولى التي فيها الفروق بين النسخ ، حاشية أخرى تليها تتضمن بعض الشروح اللغوية أو التعليقات التي أرى لها مناسبة ، أو الإحالات ذات الضّرورة . ولم أسرف في تلك الشروح أو التعليقات حتى لا يكون الشرح عبثاً أو إسهاباً في غير موضعه .

ولمّا فرغت من الديوان جمعت ما تفرّق من شعراين خاتمة في المصادر التي تحدّثت عنه أو نقلت من شعره ، مخطوطة كانت المصادر أم مطبوعة ، على قدر الجهد المُستطاع ، وبمثل ما هو مُبيّن في ثبت المصادر والمراجع . وربّبت ما اجتمع لديّ على حروف المُعجم ، ولمّا لم يتوفّر للنص عندي أكثر من أصل واحد ، تركت العهدة فيه على ناقل النص ، مع إشارتي في الهوامش والحواشي إلى مصادري على كل حال . وقد اجتمع لي من شعراين خاتمة ، بعد الديوان ، قدر صالح^(١) .

أما كتاب الوزير الأديب أبي جعفر أحمد بن علي بن زرقالّة المسمّى : رائق التحلية في فائق التورية ، فقد رأيت إفراده بنشرة خاصة على الرّغم من أن ما فيه هو شعر خالص لابن خاتمة . غير أن المصنّف جمع الكتاب وربّبه ، وصاغه بعبارته ، وفق هدف معين ونظام خاص ، ومقدمة مبيّنة . وقد وجدت للمؤلف ترجمة وشعراً ، فأحببت أن أطرف متتبع التراث الأندلسي بكتاب ابن زرقالّة كما صنّفه مؤلفه ، وهو كتاب صغير ، لطيف الحجم ، طريف الموضوع .

(١) قال ابن خاتمة في مقدمة الديوان : إن بعض أصحابه طلب من شعره « جملة يسهل استظهارها ، ويكمل في منصّة الحاضرة استحضارها .. » فقد يكون ترك قدرًا من شعره دون تدوين ، وإن كان بين أيدي الناس منه شيء ، وهو على كل حال قال الكثير من الشعر بعد جمعه ديوانه هذا ، ومن ههنا كثر لديّ ما جمعته في (مستدرك الديوان) .

٩ - شعر ابن خاتمة ، وأدبه :

بين يدي الديوان أضع بعض الملاحظات ، على شكل خطوط رئيسية سريعة عن شعر ابن خاتمة وموشحاته تكون كالمدخل لدراسته ، ولدراسة عصره . ولا شك في أن الشعر الغني لهذا الشاعر ، وموشحاته الهامة ، وجوانب تراثه المختلفة تسمح للدارس بأن ينظر في كل ذلك ، ويخرج بنتائج جيّدة .

١ - حافظ ابن خاتمة في شعره على سلامة العبارة ، ودقة الاستعمال ، وكان يميل إلى الفصاحة والجزالة ؛ وهو في ذلك يتحرى مجارة الشعراء الكبار في شعرهم ، وفي بعض قصائدهم بخاصة ؛ ويتقيل آثارهم في النّصاعة والفخامة . وكان معجباً بالفحول من الشعراء العباسيين والأندلسيين كالمتنبي ، وأبي تمام ، وابن خفاجة ، وربما أعجب ابن وراءهم فسمّط بعض الشعر المشهور أو نسج على منواله ، كما صنع في بعض شعر الشاب الظريف وابن الخيمي . ولكن هذا كله لم يحجب شخصية الشاعر ولم يتركه ظلاً أو تابعاً ، بل استطاع أن ينفذ من خلال ذلك الإعجاب إلى التعبير الشخصي عن مواقفه وآرائه وأن يكون لنفسه نهجاً واضحاً ، فتشعر وأنت تقرأ له شعره أنه يعبر عن رأي ذاتي فيما يطرح من موضوع ، ويستعمل من أداة ، كونه بنفسه ، ارتضاها وطاعت له . وكان يتحرى الفصاحة ، ويسعى لأن تكون العبارة رصينة متينة ، والكلمة منتقاة وفي موضعها من الاستعمال .

٢ - مال الشاعر إلى طريقة الشعر المحدث ، على وجه العموم ، مع احتفاظ العبارة بقدر عالٍ من الجزالة والفخامة . ولهذا تجد ابن خاتمة يسعى وراء الصورة ، ويطلبها ، ويحاول أن يأتي بالطريف الغريب ، وأن يخترع المعنى أو يولد من القديم مافيه روح الطريف . وقد تبع هذا ، في صناعته ، اعتماده المقصود على بعض أنواع البديع التي أعانته على إسباغ الجرس الموسيقي ، أو التزيين الصوّتي أو اللوني ، من جناس - خصوصاً - أو طباق أو سوى ذلك . فهو سعى ، من جهة ، إلى ما يُعجب الذّهن ويسر نفس القارئ ؛ ومن جهة أخرى إلى ما يملأ الفم ويضطرب الأذن أو يقرعها في بعض الأحيان . ومن الأمثلة البارزة على هذا قصيدته في الورقة ٧/أ :

الأَرْضُ بَيْنَ مُدَبَّجٍ وَمَحَلَّلٍ وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُتَوَجِّجٍ وَمُكَلَّلٍ
وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُوَرَّدٍ وَمُورَسٍ وَالنَّشْرُ بَيْنَ مُمَسَّكٍ وَمُصْنَدَلٍ

وربما بالغ الشاعر في الجناس ، ولكن هذا لا يخرج لكي يصبح ظاهرة صارخة تلتصق بالشاعر وتميّزه .

٣ - ولا بدّ لنا من الوقوف قليلاً عند فن (التورية) في مقطّعات ابن خاتمة خصوصاً . فإنه لم يتّسع نطاق التورية لتشمل قصائده المطوّلات ، فإن ورد فيها شيءٌ ، فبشكل عفويّ تقريباً . وقد كانت التورية فناً شائعاً في غرناطة ، في ذلك الوقت ، يتخذها الأدباء والمتأدّبون تسليّة ، ورياضة ذهن ، ويمتطيّه الذين يقرّزمون وينظمون للمشاركة . ومن هذا الباب جمع تلميذ ابن خاتمة ما اتصل بهذا الفن من مقطّعات الشاعر ومن ثانياً قصائده ، في كتيبه الصغير . وأكثر التورية في الديوان متجمهر في القسم الخاص بالمُلح والفكاهات .

٤ - التفت ابن خاتمة إلى الطبيعة من حوله فأغراه جمالها ، ووجد فيها مائة خصبة ليصفها ولينفذ منها إلى تأملاته الفكرية الدينية ، ويتّخذها دلالّة على آلاء الله الباهرة . وقد امتزج وصف الطبيعة عنده بكثير من الموضوعات ، وصارت معطياتها مادة للشاعر يُعبّر بها ويكثر من العودة إليها على منهج أستاذه في هذا الفن ابن خفاجة . فقد استفاد من طريقته مثلما استفاد منها معاصره ، وزعم الطبقة التالية لطبقته : ابن زمّرك في روضياته . وفي (أزهار الرّياض) للمقرّي قصائد كثيرة لابن زمرك تشهد لما نذهب إليه من رأي . وانظر في ديوان ابن خاتمة القصائد ١ ، ٣ ، ٥ على سبيل المثال .

وقد تبلور إعجاب الأندلسيين بالطبيعة ، والتزم نفرٌ كثير منهم بالترّد إلى هذا الغرض ، وإحلاله مكانة عالية منذ القرن الخامس ثم ابن خفاجة ؛ فكانوا من بعده يترسّون خطاه في قصد الطبيعة ، والحديث عنها ، والاطمئنان إليها ، والاستفادة من العودة إليها أو إلى كثير من معطياتها في موضوعات عديدة ، بل ربّما كانت الطبيعة مقدّمة للقصيدة ، وربّما أكثر بعضهم من وصفيها حتى صار مشهوراً بذلك ، وقد قدّم لسان الدين لبعض قصائد ابن خاتمة بقوله : « ومن روضياته » - راجع الكتيبة الكامنة في ترجمته - . وأرى أن هناك سلسلة متلاحقة لم تنقطع حلقاتها بعد ابن خفاجة ، يدخل فيها الرّصافي البلسني ، وابن الزّقاق ، وابن سهل الإشبيلي ، وابن خاتمة الأنصاري ، ولسان الدين بن الخطيب ، وابن زمّرك ؛ ولا شك في أن هناك طائفة أخرى من الشعراء تم الحلقات ، وتزيد ذلك المذهب الخفاجي وضوحاً .

٥ - كان ابن خاتمة بصيراً بأحوال الزهاد والمتصوفة ، وقد ظهر أثر معرفته ، وزهده ، وميله إلى التصوف في مواضع كثيرة في الديوان .

٦ - وموشحات ابن خاتمة التي احتفظ لنا بها ديوانه من أهم آثار الشاعر الفنيّة ، وهي

موشحات راقية ، عالية المكانة ، على طراز فائق من الجودة . أسبغ عليها ابن خاتمة ألفاظاً عذبة ، شعرية ، منتقاة ، واختار لها أنغاماً سائغة ، رقيقة . وأودع فيها من المعاني كل جميل طريف أو مولد تلبد في ثوب جديد .

في الديوان تسع عشرة موشحة لم تنشر من قبل . ونحن لانعجب من إغفال لسان الدين صاحبه من كتابه (جيش التوشيح) الذي اختار فيه من موشحات السابقين الأولين الأندلسيين . ذلك لأنه لم يختار لنفسه مع أنه لا يخلو مؤلف واحد له من أن يذكر فيه لنفسه نظماً أو نثراً . ولعلّ لسان الدين أراد أن يختار من نماذج السالفين على سبيل الحفظ والتأريخ والتعريف .

وكثرة هذه الموشحات ، بالإضافة إلى موشحات معاصريه ، كلسان الدين بن الخطيب ، وابن زمرك ، تدلّ على استعادة هذا الفنّ لشيء من قيمته السالفة بعد عصر من التقهقر أمام شيوع الزجل - وهو فنّ يعتمد على اللهجة العامية الدارجة - ولكن هذا لا يعني استعادة مجد الموشح باعتباره فناً شعبياً كسالف عهده . وفي بعض الخرجات ، ما يدلّ دلالة قاطعة على أنّ الشاعر بنى موشحته وأخذ لخرجته من بعض الأغاني الشعبية الدارجة .

٧ - شارك ابن خاتمة في غير الشعر التقليدي ، فأنشأ الموشح ، كما أسلفنا قبل ، وطرق بعض الفنون المحدثّة كالنبويّ . نقل ابن زرقاله في (رائق التحلية) ، وكذا لسان الدين في (السّحر والشعر) نموذجاً فريداً ، وهو قوله :

قَالَتْ: أَتَجِبُّهُ عَلَى عَارِضِهِ هَذَا وَحَيَاتِكُمْ جُنُونٌ عَارِضُ
لَمْ تَدْرِ بِأَنَّ رَوْضَةً وَجُنَّتْهُ قُلُوبُ كَيْفَ تَرَى الرِّيَاضَ غِبَّ الْعَارِضِ
ولم أقع له على غيرها .

٨ - تحدث لسان الدين بن الخطيب ، وغيره ، عن نثر ابن خاتمة ، وترسله وقال إنه كتب عن الولاة ببلده الممرية ، كما نقل بعض الرسائل الإخوانية . ولدينا من نثره ما يتصل ببعض تواليفه الموجودة مثل نتف مبثوثة من مزيّة المريمية ، ومثل كتابه (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد) . ولا بدّ من دراسة نثره في مجال آخر يتسع لدراسة (النثر الفني في الأندلس) .

٩ - وقد لاحظت في أثناء تحقيق الديوان وشرحه أن الشاعر رُبَّما استعمل بعض الكلمات في غير ما نعرف من الاستعمال ، أو جمعها جمعاً لم يرد في المعاجم التي بين أيدينا ، وما شابه ذلك من جوازات وضرورات فنبهت على ذلك في مواضعه ، ووضعت لهذه الألفاظ ، والاستعمالات الخاصة ، فهرساً في آخر الديوان يعود إليه من شاء أن يدرس الشاعر أو لغته . ولعلي أنتفع بمن يصوب شيئاً مما ارتأيت ، أو شيئاً مما وجد للشاعر أو عنه من خبر أو أثر . وقد ألفت قراء التراث الأندلسي مثل هذه الملاحظات لئلا كان للأندلسيين من بعض الاستعمالات الخاصة ، لعوامل محلية أثرت في لغتهم ، أو لأسباب أخرى .

وبعد :

فإني أدعو الله تعالى أن يكون عملي في خدمة هذه اللغة الشريفة ، والتراث الأندلسي ، خالصاً لوجهه . وأحمده وأستعينه ؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .

د . محمد رضوان الداية

دومة (دمشق) في شعبان ١٤١٤ هـ

كانون الثاني ١٩٩٤ م

من شعر كاتبه
أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة
لطف الله تعالى به

حققه وشرحه وقدم له
الدكتور محمد رضوان الداية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم

قال عبد الله الرازي رحمه

أحمد بن علي بن محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري

لطف الله به

حَمْدُ اللَّهِ - جَلَّ جَلَالُهُ - أَجْمَلُ مَا وَشَّتْهُ غَوَالِي^(١) الْأَنْقَاسِ فِي خُدُودِ الْأَطْرَاسِ^(٢) . وَثَنَّاؤُهُ - تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - أَفْضَلُ مَا جَالَ بِهِ لِسَانٌ فِي فَمٍ ، وَقَلَمٌ فِي قِرْطَاسٍ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَتَقَّ أَصْدَافَ ثُغُورِنَا عَنْ جَوَاهِرِ تَحْمِيدِهِ ، وَرَتَّقَ أَكْنَافَ صُدُورِنَا مِنْ ذَخَائِرِ تَوْحِيدِهِ ، عَلَى أَنْفُسٍ مِنْ مَجَالِ الْأَنْفَاسِ . وَشَفَعَ لَنَا بِكَمَالِ الْعَقْلِ جَمَالَ الْإِحْسَاسِ ؛ لِمَا أَثَرْنَا بِمِزْيَةِ الْفَضْلِ عَلَى كَافَّةِ الْأَجْنَاسِ . وَخَصَّنَا بِاللِّسَانِ الْفَصِيحِ ، وَالْبَيَانِ الرَّحْبِ الْفَسِيحِ ، فَجَلَّنَا مِنْهَا فِي أَضْفَى لِبَاسٍ . وَجَعَلَ هَذِهِ اللَّغَةَ الْعَرَبِيَّةَ وَالنَّعْمَةَ الْأَدَبِيَّةَ خَيْرَ لُغَةٍ وَأَطْيَبَ نَعْمَةٍ . كَمَا جَعَلْنَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ . وَآثَرَ الشَّعْرِ بِأَنْ جَعَلَهُ دِيوَانَهَا الْجَامِعَ ، وَقِسْطَاسَهَا الْوَازِعَ عَنْ لَعْنَتِهَا كُلِّ إِبْهَامٍ وَالْبَاسِ . وَأَجْمَلُ بِهِ مِنْ دِيوَانٍ ، وَأَعْدِلُ بِهِ مِنْ قِسْطَاسٍ .

وَأَكْمَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ ، ذِي الْخَلْقِ الْعَظِيمِ ؛ نَبِيِّ الْمُرْجَةِ وَالْمَلْحَمَةِ ، إِمَامِ الْجُودِ وَالْبَاسِ ؛ الْمَخْصُوصِ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلَمِ ، وَبِدَائِعِ الْحِكْمِ ، وَطِبَائِعِ الْمَجْدِ وَالْكَرَمِ ، بِمَا لَا يَخْصُرُ بَحْدٌ وَلَا يَحْصِي بَقْيَاسٌ . وَعَنْ آلِ الرَّسُولِ ، وَصَحَابَتِهِ الْبِرَّةِ الْعُدُولِ ، أَسْنَى رِضَى مُؤْصُولِ مَا ذَكَرَ ذَاكَرٌ وَنَسِيَ نَاسٌ .

(١) الغالية : نوع من الطيب مركب من مسك وعبر وغيرهما ، ج غَوَالٍ . النَّقْصُ : اليناد ج أنقاس .

(٢) الطَّرْسُ : الصحيفة . ج طَرُوسٍ وَأَطْرَاسٍ .

وبعد ؛ فإنَّ بعضَ خُلصائي - وهو من لا يَسَعُ ، لمجملِ ودّه ، غيرَ تَكْميلِ قَصده - خطبَ إليَّ من بُنيّاتِ فِكْري وأبياتِ شِعْري جُمْلَةً يَسْهَلُ اسْتَظْهَارُهَا ، وَيَجْمَلُ فِي مِئْصَةِ المَحَاصِرَةِ اسْتِحْضَارُهَا ، تَأْخُذُ من الآدابِ بأطوارِها وفُنُونِها ، وتَشْتَمِلُ من المعاني على أبكارِها وعُونِها^(١) ، لتكوّنَ كَفءَ خُلوصِهِ ، وكِفَاءَ تَمَيُّزِهِ بموَدَّتِي وَخُصُوصِهِ . فأحْجَمْتُ عن ذلك بَرَاءَةً لِإنصافي ، ثمَّ ذَكَرْتُ حقَّ الصَّدِيقِ المُصَافِي ، فأوسَعْتُ مَطْلَبَهُ إِسْعَاداً وإِسْعَافاً ، وإنَّ لم تَقَعْ حيثُ أَرَادَ حُلًى وَأَوْصَافاً . لكنّها المُصادقةُ توجبُ المُوَافقةَ ، والمُلاطفةُ تَقْتَضِي المُسَاعَفةَ .

وعندما كلَّ إِبْدَارِها ومِ اعْتِيَامِها^(٢) واختيارِها ، زَفَفْتُهَا إليه سادِلَةً ثوبَ الحياءِ ، تَقَدَّمَ رَجُلًا وتَوَخَّرَ أُخْرَى من الاستِخْيَاءِ ، رِيحَانَةً من أدْواحِ ، ونَسْمَةً من أرواحِ . وقد قسَمْتُهَا أَرْبَعَةَ أَقْسامِ ، قَصْدُ التَّنْشِيطِ والإِجْامِ :

القسم الأول في المَدْحِ والثناء .

القسم الثاني في النِّسَبِ والغَزَلِ .

القسم الثالث في المُلَحِّ والفُكَاهاةِ .

القسم الرَّابِع في الوَصَايا والحِكَمِ .

وخَتَمْتُها بنبذة من التَّوْشِيحِ الذي له في مِضْمارِ الأدبِ المِجالُ الفَسِيحِ .

ومن الله سُبْحَانَهُ نَسَأَلُ الإِرشادَ إلى سَبْلِ الرِّشَادِ ، والإِمْدَادَ ، في رِضَى ذَوِي الوِدَادِ . وتَقَدَّمَ إليه تَعَالَى - من سوءِ أَقْوالِنا وأَفْعَالِنا - المَعْدِرَةَ ، هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وأَهْلُ المَغْفِرَةِ .

(١) عُون : ج عَوْن وهي - من النساء - التي كان لها زوج .

(٢) اعْتَام : اختار .

القسم الأول

في المدح والثناء

وما ينتظم في سلكه من التنبيه على مواقع الجود والنعماء

قال لَطَفَ اللهُ بِهِ :

[من الطويل]

- | | | |
|----|---|---|
| ١ | تروم رِضاَهُمْ ثُمَّ تَأْتِي الْمَناهِيا | أَحَبُّ وَعِصيانَ؟ لَقَدْ ظَلَمْتَ لاهيا |
| ٢ | تَكْنَيْتَ عَبدًا ثُمَّ أَكْنَنْتَ إمْرَةً | أَعْبَدَ وَأَمَرَ؟ ما أَخالِكَ صاحيا! |
| ٣ | جَمَعْتَ عِـوَبَ الرَّدِّ كِبْرًا وَكَبْرَةً | وماذا يُساوي مَنْ تَحَلَّى المساويا |
| ٤ | أَما أَبْصَرْتُ عِناكَ لِلْحَقِّ مُرْشِدًا | أَما سَمِعْتَ أَذْناكَ لِلَّهِ دَاعيَا |
| ٥ | أَبْعَدَ مَشِيبٍ تَسْجَدُ شَبِيبَةً | وبَعْدَ هُدًى تَبْغِي عَمًى أَوْ تَعامِيا |
| ٦ | لَقَدْ صَاحَ دَاعي الرُّشْدِ لَوَأَنَّ سَامِعًا | وَلاحَ صَباَحُ الحَقِّ لَوَأَنَّ رَائيَا! |
| ٧ | وَأَشْرقَ سِرُّ الجُودِ لَوَأَنَّ ذا حِجِّي | يُشاهِدُ نُورًا أَوْ يُجِيبُ مُنادِيا |
| ٨ | تَسامَتْ لَكَ الأَكْوانُ تُجَلَّى عَرائِسا | فلو كُنْتَ ذا عَينين كُنْتَ المُناجِيا |
| ٩ | وَنادَتْ أَلَا كَفَّ يَكافي وما أرى | لِها مِنْكَ كُفْواً إِنَّ خَطْبَتَ مُكافِيا |
| ١٠ | وإِلا فَبالُ البَهارِ مُحَدِّقا | وَقَدْ كَحَلْتُ مِنْهُ الظُّلالُ مَاقِيا |
| ١١ | وما بِالُ صُدْغِ الأَسِ أَخْضَرَ ناصِعًا | وما بِالُ خَدُّ الوردِ أَحْمَرَ قانِيا |
| ١٢ | وما لِثَغورِ الزَّهرِ تُلْفَى بَواسِما | إِذا ما عِيونُ القَطْرِ ظَلَنَ بَواكِيا |
| ١٣ | وَلِمَ طَرَزَ البرقُ الغَمامَ وَوَشَحَتْ | سَواجِمُهُ البَطْحاءَ بَياضًا مَواضِيا |
| ١٤ | وما لِللَّيْلِ الشَّهْبِ رُصِّعَ نَظْمُها | فأَمَسَتْ صَدُورُ الأَفقِ عَناها حَواليا |
| ١٥ | وما لِلْبَطاحِ الأرضِ أَبْدَعَ رَقْمُها | فَراقتُ أَسارِيرًا ورَقَّتْ حَواشِيا |
| ١٦ | وما لِلْحَمامِ الأيْكِ تَشَدُّو تَرَنُّما | وما لِلْقُدودِ القُضْبِ تَهْفُو تَعاطِيا |
| ١٧ | وَلِمَ قَبَضَ النِّيلُوفَرُ الكَفَّ خائِفًا | وَلِمَ بَسَطَ السُّوسانُ يُمْناءَ راجِيا |
| ١٨ | أَتَحَسَبُ هاتِي كُلَّها خَلِقتُ سُدًى | لَغيرِ عَبتارٍ؟ لا وَرَبِّكَ ما هِيا! |
| ١٩ | وَأَنَّ قُصارِها لِلْهُوِ وَلِذَّةٍ؟ | لَقَدْ أَخطَأَ التَّقْدِيرُ مِنْكَ المَرامِيا |
| ٢٠ | فَما خُطْباءُ العَرَبِ أَفْصحُ وَاِعْظا | مِنَ الطَّيْرِ يَشَدُّو لَوْفَهِمَتِ المَعانِيا |
| ٢١ | ولا صَفَحَاتُ الهِنْدِ أَرْدَعُ زاجِرًا | مِنَ البَرَقِ يَبْدُو لَوْعَلَتِ النِّواهِيا |

- ٢٢ وَلَا لَطْفَ الْإِحْسَانِ أَحْسَنَ مَوْعِعًا
٢٣ أَيَا غَائِبًا عَنْ حَضْرَةِ الْقُدْسِ قَدْ نَبَا
٢٤ أَمَا تَتَّقِي بِأَسَاءَ، أَمَا تَرْجِي نَدَى
٢٥ إِذَا مَادَعَاكَ الْخَطْبُ كِي تَرْعُوِي لَهُ
٢٦ فَلَا شِدَّةَ تُعْدِيكَ إِلَّا لِحَاجَةٍ
٢٧ إِلَيْكَ إِشَارَاتٍ وَعَنْكَ عِبَارَةٌ
٢٨ وَسَائِلُهُ مَابَالُ جَفْنِكَ وَالْبُكََا
٢٩ إِلَيْكَ فَمَا فِي خَاطِرِي فَضْلٌ وَسُعةٌ
٣٠ ذَرِينِي لِغَيْرِي وَلْتَرْوِحِي لِرَاحَةٍ
٣١ فُتِنْتُ بِدُنْيَا جَاذَبْتَنِي أُعْنَتِي
٣٢ فَمَا وَجَدْتُ ثَكْلِي أَمْ فَرَّدَ أَصَاهَا
٣٣ تُرَدَّدُ فِكْرًا لَا تَرَى عَنْهُ مَعْدِلًا
٣٤ فَتَسْتَنْجِدُ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ لِخَطْبِهَا
٣٥ فَتَهْتِكُ سِتْرَ الصَّبْرِ عَنْ بَرْحِ لَوْعَةٍ
٣٦ مُذْلَهَةٍ وَهِيَ يُطَارِحُهَا الْأَسَى
٣٧ بِأَعْظَمَ مِنْ وَجْدِي عَلَى فَرَطِ زَلَّتِي
٣٨ شَبَابٌ مَضَى لَمْ أَحُلْ مِنْهُ بِطَائِلٍ
٣٩ وَمَا أَسْفَى أَنْ مَرَّ مَامَرٌّ فَأَنْقَضَى
٤٠ فَقَدْ فَتَحَ الرَّحْمَنُ أَبْوَابَ عَفْوِهِ
٤١ أَخَافُ قُبَيْحَ الْعَوْدِ فَالْعُذْرُ ضَيْقٌ
٤٢ إِلَهِي وَالشُّكْوَى إِلَيْكَ اسْتِرَاحَةٌ
٤٣ إِلَهِي لَا تَقْضَحْ عُوَارًا سَتَرْتَهُ
٤٤ هَلَكْتُ رَدَى إِنْ لَمْ أَنْلُ مِنْكَ رَحْمَةً
٤٥ لَعَلَّ الَّذِي قَامَ الْوُجُودُ بِجُودِهِ
- مِنَ النُّورِ يَذْكُورُ لَوْ عُرِفَتْ الْأَيَادِيَا
بِهِ الطَّبَعُ أَنْ يَأْتِي هُدًى أَوْ يُوَاتِيَا
أَمَا تَنْتَهِي وَعَظًا، لَقَدْ ظَلَمْتَ هَازِيَا
تَدَارَكَكَ اللَّطْفُ الْخَفِيُّ تَلَاْفِيَا
وَلَا فِتْرَةَ تُجَدِيكَ إِلَّا تَمَادِيَا
وَفِيكَ أَمَارَاتٌ فَلَا تَكُ سَاهِيَا
وَمَا عَرَفْتَنِي عَنْ هَوًى قَطُّ سَالِيَا
لِسَمْعِكَ، فَضْلًا عَنْ حَدِيثِ غَرَامِيَا
فَرَبَّنَا أَعْدَى أَسَايَ الْأَوَاسِيَا
فَمَا لِي لَا أَبْكِي لِذَلِكَ مَالِيَا؟
وَحْيٌ رَدَى فِيهِ فَأَصْبَحَ ثَاوِيَا
وَتَرْجِعُ طَرْفًا لَا تَرَى مِنْهُ بَاقِيَا
فَلَا تَلْتَقِي إِلَّا خَذُولًا وَنَاعِيَا
تُعِيدُ بِيَاضَ الصُّبْحِ أَسْوَدَ سَاجِيَا
أَفَانِينَ شَجَّوْ مَوْحَدًا وَمَثَانِيَا
وَأَكْبَرَ مِنْ حُزْنِي لِقُبْحِ فَعَالِيَا
فِيَالَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ بِالشَّيْبِ حَالِيَا
وَلَكِنْ هَمِّي مَا بَقِيَ مِنْ زَمَانِيَا
لِمَنْ رَاجَعَ الذُّكْرَى وَأَقْبَلَ خَاشِيَا
عَلَى أَنْ بَابَ الْعَفْوِ أَوْسَعَ نَادِيَا
فَأَنْتَ إِلَى الشَّاكِي أَشَدُّ تَدَانِيَا
فَمَا لِي مَأْمُولٌ سِوَاكَ إِلَهِيَا
تَبَعَّدُ رَوْعَاتِي وَتَدْنِي أَمَانِيَا
يُعِيدُ بِحُسْنِ اللَّطْفِ حَالِي حَالِيَا

جَوْ القصيدة :

تبدأ القصيدة بأبيات يخاطب بها نفسه - ويصح أن يكون الخطاب عاماً - ويعاتبها على ماتقع فيه من المخالفات : دقيقة أو جليلة (١ - ٣) ، ويزجر نفسه لتسمع داعي الرشد وتَعْبَرُ بأمور يُعَدِّدها (٤ - ٦) ، ويدخل في كلام متشعب عن عظمة الله سبحانه وتعالى ، المتجلية في أمورٍ مما خلق وأبدع - على كثرتها وامتناعها عن الإحاطة بها - (٧ - ١٠) .

ويسترسل فيذكر أشياء من الطبيعة الجميلة (وتحت نظره الطبيعة الأندلسية الجميلة في المريّة وسائر بلاد الأندلس الباقية) من أزهارها ونباتها وحيوانها ونجومها (١١ - ٢٢) ، ويُذَكِّر مَنْ غابت روحه وغفلت عينه عن (حضرة القدس) (٢٣) ليكون مع الله تعالى في حالي الرهبة والرغبة (٢٤ - ٢٧) ، ويلتفت إلى سائلة تسأله عن طول بكائه (٢٨) ويُجيبها بأنه وقع تحت غرور الدنيا الخادعة (٣٠ - ٣١) ويضرب مثلاً يبين تفريطه وشعوره بالذنب (لتقصيره واعتباره بالدنيا الخادعة) (٣٢ - ٣٧) ، ويأسف على شباب ضيعه ويأمل أن يكون ممن تاب وأناب (٣٨ - ٤٠) ، ويخشى أن يعود في الخطأ - الذي بكى منه وشكا - (٤١) ، ويختم بدعاء ورجاء للإقالة والعفو والرحمة واللطف .

شروح :

(١) في البيتين ١ و ٢ معنى قول الشاعر (ديوان الشافعي : ٩٣)

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه هذا مُحَالٌ في القياسِ بديعٌ
لو كان حبُّكَ صادقاً لأطعته إنّ الحبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ !
في كلِّ يومٍ يبتديك بنعمة منه وأنت لشكرٍ ذاك مُضِيعٌ

(٢) يقال : تَكْنَى بكذا : كان له كُنْيَة ؛ وأَكْنَى الشيء : ستره .

وما أخالك : ضبط الشاعر الفعل بفتح أوله . قال في الصحاح إن المستقبل من فعل خال (بمعنى ظنّ) « هو إخال بكسر الألف ، وهو الأفصح ؛ وبنو أسد تقول : أخال ، وهو القياس » . قلت : والكسر هو الأكثر شيوعاً .

- (٣) الرِّدَّة ، والرَّدِيء ؛ بمعنى . وفي الأساس : يقال « تحلَّى الرَّجُلُ بما ليس فيه » .
- (٥) في (ط) : تبغي عَمَى وتعاميا .
- (٦) أي : لو أن سامعاً يَسْمَع ... ولو أن رائياً يرى !
- (٧) البَهَارُ عند الأندلسيين : النرجس ؛ وهو نبات تزييني مُزهر (من نباتات الأبصال التزيينية المزهرة) . والعرب تشبه به العيون .
- (١١) الآس : شجردائم الخضرة ، يبضي الورق ، أبيض الزهر ، وردِيه ، عطري . ويكثر ذِكْرُه عند الشعراء لخضرة ورقه النَّاصعة ، ويضربون به المثل على طول أمد الشيء (قياساً إلى الورد والأزاهير المختلفة) قال ابن زيدون :
- لا يكن عهــــــــــــداً ورداً إنَّ عهــــــــــــدي لــــك آس !
- (١٣) يقال : سجمت السَّحابة الماء : قَطَرَتْه وأسألته قليلاً أو كثيراً .
- (١٥) يُطلق السَّرُّ (والسَّرُّ والسَّرَر والسَّرار) على خطِّ الوجه والجهة ، وفي كل شيء : والجمع أَسِرَّة ، وأسرار ، وجمع الجمع : أسارير .
- (١٦) هفا : أَسْرَعَ . والتَّعاطي : التَّنَاوُل . وعطا الطَّيِّب : تناول إلى الشجر ليتناول منه .
- (١٧) النِّيلوفر : من الرياحين ، ينبت في الآجام والمياه الراكدة وله ورقٌ كثير من أصل واحد وزهر أبيض كالسوسن . والسَّوْسُن (بفتح السين) والسَّوْسُن (بضمها) والسَّوْسَان : من الرِّياحين ؛ والسَّوْسَنِيَّات : فصيلة نباتية من وحيدات الفلقة أجناسها وأنواعها كثيرة العدد أشهرها السوسن والزَّعفران ...
- وقبض النيلوفر كفه إشارة إلى انغلاق زهرته وانفتاحها بين ليل ونهار . وطابق الشَّاعر بين القبض والبسط في نظرة شعريَّة .
- (١٩) القُصَارَى : الجَهْدُ والغاية (ومثلها : القَصْرُ ، والقَصَارُ ، والقَصَار ، والقُصَيْرَى) .
- (٢١) الصَّفْحَةُ من السيف عَرْضُهُ (خلاف طوله) (ومثلها الصَّفْح والصَّفْح) ، قال في اللِّسان : صَرَبَةٌ بِصَفْح السَّيْف ؛ وجعل (صَفْح) بالفتح عاميَّة .
- (٢٢) النُّورُ : (بفتح النون) الزَّهر ، أو الأبيض منه . والأَيادي جمع الجمع لليد ، بمعنى النعمة ؛ والجمع الأيدي ؛ يقال : لفلان عندي يد .
- وفي (ط) يذكي .

- (٢٣) القُدُس : الطُّهْر ؛ وسمي جبريل روح القُدس لأنه خُلِق من طهارة (تاج العروس) وحظيرة القدس : الجَنَّة .
- وليس في مصطلحات الصُّوفِيَّة - في مصادرِي - حضرة القُدس .
- (٢٤) هازيا اسم فاعل من هَزَأَ (وهَزَى) ؛ وسَهَّل الشاعر الهمزة .
- (٢٩) قوله (إليك) حذف الجار بعده اكتفاءً أو ضرورة ، والمقصود إليك عَنِّي : تنحُّ ، كُفُّ ، أَمْسِكُ .
- (٣٠) الأسى : الحُزن ؛ والآسي الطبيب ؛ ولكن يُجْمَع على أساة وإساء .
- (٣١) الأعنة جمع العنان ، وهو للدابة : الرِّسَن ؛ وما تُقَادُّ به . واستعاره للإنسان .
- (٣٢) الوَحْيُ - على وزن ذِكْيَ - العَجَلُ المسرع .
- (٣٣) المعدِلُ (والمُعْتَوِلُ) : المصرف والمَسْلُك . يقال : ماله معدل - ولا معدول - عن كذا .
- (٣٥) البرج : الشَّنة ؛ والسَّاجي : الدائم ، الساكن .
- (٣٦) المُدَلَّةُ : الساهي القلب ، النّاهب العقل من عشقٍ ونحوه . والوَلَهَى : شديدة الحُزن والجزع على ولدها . والمُؤَحَّد من الواحد كالمثق من الاثنين . والمثني - أيضاً - من أوتار العود الثاني بعد الأول .
- (٣٨) لم يَحُلْ منه بطائل : لم يستفد منه كبير فائدة .
- (٤٣) العُوار : العيب .
- (٤٥) حالي : حال الشاعر (الياء هي ضمير للتكلم) وحالياً اسم فاعل من حَلِيَ : صار ذا حِلِيَّة (حَسناً) .

[٢]

وقال أيضاً :

[من البسيط]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | مَجَالُ لُطْفِكَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ | وَسِرُّ هَذِيكَ بَيْنَ النَّارِ وَالْقَبَسِ |
| ٢ | وَسَيَّبُ جُودِكَ قَدْ عَمَّ الْوُجُودَ لَهَى | مَا بَيْنَ مُنْسَجِمِ جَوْدٍ وَمُنْبَجِسِ |
| ٣ | فَمَا عَسَى أَنْ يُطِيلَ الْقَوْلَ ذَوْلَسِي | أَوْ مَا عَسَى أَنْ يُطِيلَ الصَّمْتَ ذَوْخَرَسِي |
| ٤ | بَهَرْتَ نُوراً فَلَا سِتْرَ لِمُلْتَمِسِ | وَفِضْتَ جَوْداً فَلَا عُذْرَ لِمُلْتَمِسِ |

وَعُدْتَ بِالْحِلْمِ وَالْإِجْمَالِ فَاتَّضَحَتْ	٥
فَالْكُلُّ مُحْتَفِلٌ فِي الْحَمْدِ مُبْتَهَلٌ	٦
وَأَيُّهَا نِعْمَةٌ مِنْ قَبْلِ نَشْكُرُهَا	٧
كَفَى بِخَيْرِ الْبَرَايَا نِعْمَةٌ نَفْسَتْ	٨
كَفَى بِبِعْثِكَ خَيْرَ الرُّسُلِ مَوْهَبَةٌ	٩
رَسُولٌ يُؤْمِنُ حَبَانَا كُلَّ مُلْتَمَسٍ	١٠
حَمَى حِمَى الْحَقِّ إِرْغَاماً لِمُبْطِلِهِ	١١
نُورٌ لِمُقْتَبَسٍ، حِرْزٌ لِمُحْتَرَسٍ،	١٢
أَعْظَمُ بِهِ مِنْ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ، نَدَى	١٣
وَقَى بِهِ اللَّهُ مِنْ هُلُكٍ، وَبَصَّرَ مِنْ	١٤
هُدًى بِهِ كُلَّ نَابٍ سَمْعُهُ، شَرِهْ	١٥
حَتَّى مَحَا رَسْمَ إِفْكَ كَانَ مُرْتَبِئاً	١٦
آيَاتُ جُودٍ تَجَلَّتْ فِي الْوُجُودِ (ضَحَى)	١٧
إِلَيْكَ يَا مَلْجَأَ الرَّاجِينَ قَدْ نَزَعَتْ	١٨
مِنْ سَفْحِ دَمْعٍ بِسَفْحِ الْخَدِّ مَطْرِدٍ	١٩
وَنَهَبَ شَوْقٌ أَبَاحَ السُّقْمِ مِنْهَبِي	٢٠
فَهَلْ سَبِيلٌ تُوَدِّي حِلْفَ قَاصِيَةٍ	٢١
إِلَى الْبَشِيرِ النَّذِيرِ الْمُجْتَبَى كَرَمًا	٢٢
مَنْ لِي بَلَشْمُ ضَرِيحٍ لَثْمُهُ سَبَبٌ	٢٣
رَوْضٌ كَسَاهُ الرِّضَى مِنْ طَيْبِهِ خِلْعًا	٢٤
يَا لَيْتَ شِعْرِي وَأَيَّامِي تُثَبِّطُنِي	٢٥
هَلْ أَكْهَلُ الْجَفْنَ مَنْ تُرْبٍ بِهِ عَبَقٌ	٢٦
وَأُبْلَغُ الْخَدِّ مِنْ تَغْفِيرِهِ وَطَرًا	٢٧
حَلَى جَاِلِكَ مِثْلَ الصُّبْحِ فِي الْغَلَسِ	
سَفَلٌ كَعُلُوٍّ وَمَرُوسٌ كَمُرْتَسٍ	
وَالشُّكْرُ مِنْهَا وَشُكْرُ الشُّكْرِ وَلْتَقَسِ	
فَأَعْجَزَ الشُّكْرُ عَنْهَا كُلَّ ذِي نَفْسٍ !	
عَمَتْ كِلَا الثَّقَلَيْنِ : الْجِنِّ وَالْإِنْسِ	
وَنُورٌ هَدَى كَفَانَا كُلَّ مُلْتَبَسٍ	
فَالشُّرْكُ فِي مَأْتَمِّ الْوَدَّيْنِ فِي عَرَسِ	
يُؤْمِنُ لِمُنْتَكِسٍ، نَعْمَى لِمُبْتَسِ	
لِلْمُعْتَفِينَ، رَدَى لِلْمُلْحِدِ النِّكْسِ	
شَكٌّ، وَطَهَّرَ مِنْ إِفْكَ وَمِنْ دَنَسِ	
وَقَادَ كُلَّ أَبِي طَبَعُهُ، شَرِسِ	
وَأَثَبَتِ الدِّينَ وَالدُّنْيَا عَلَى أُسُسِ	
ظَلَّتْ لَهَا فِئَةُ التَّضْلِيلِ فِي (عَبَسَ)	
نُـوَازِعَ بِيْ إِنْ تُسْتَقْصَ لَا تُقَسِ	
وَقَدَحَ وَجْدٍ بَطِيٍّ الصَّدْرِ مِنْعَكِسِ	
فَالْجِسْمُ فِي تَعَبٍ ، وَالْقَلْبُ فِي تَعَسِ	
إِلَى مَقَرِّ الْهُدَى مِنْ رَوْضَةِ الْقُدْسِ	
إِلَى السَّرَاجِ الْمُنِيرِ الْأَشْرَفِ النَّدْسِ	
لِكُلِّ مَنْقَطَعٍ ، بِاللَّهِ مَوْتَسِ	
فَلَيْسَ يَغْرَى مُحِبٌّ مِنْ هَوَاهُ كُيْسِ	
وَمَنْ سَقَتْهُ كُؤُوسُ الْعَجْزِ لَمْ يَكْسِ	
وَأَرْشَفُ الثَّغَرِ مِنْ إِظْلَالِهِ اللَّعْسِ	
شَوْقًا لِمَوْطِئِ نَعْلِ طَاهِرٍ قُدْسِي	

- ٢٨ إِلَيْكَ يَا رَبِّ شَكْوَى مُبْعَدٍ قَعْدَتْ بِهِ الْخَطَايَا فَلَمْ يَنْهَضْ لِمُتَمَسِّ
 ٢٩ غَرَّتْهُ غُرَّةٌ دُنْيَا بِالصَّبَا فَصَبَا وَأَنْسَتْهُ بَتَّهْوِينَ الْمَوَى فَنَسِيَ
 ٣٠ يَا رَبِّ رُحَاكَ فِي تَبْلِيغِ مَأْرَبِهِ فَلَطَفَكَ اللَّطْفُ فِي تَيْسِيرِ كُلِّ عَيْي
 ٣١ أَنَا الْفَقِيرُ قَعْدُ بِالْفَضْلِ يَا أَمَلِي فَقَدْ دَعَوْتُكَ عَنْ عُدْمٍ وَعَنْ فَلَسِ
 ٣٢ ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمَبْعُوثِ مَرْحَمَةٌ إِلَى الْخَلِيقَةِ مِنْ جَنٍّ وَمِنْ أَنْسِ
 ٣٣ وَالْهِ وَالصَّحَابِ الْغُرِّ قَاطِبَةً مَا افْتَرَّ ثَغْرُ صَبَاحٍ عَنْ لَمَى غَلَسِ

[٢]

جَوْ الْقَصِيدَةِ :

تبدأ القصيدة بتمجيد ، وحيد ، لله تعالى ، وكلام في جوده تعالى على عباده (١ - ٥) ، وطاعة الخلق لله ، وإذعانهم ، وشكر على نعمه الغامرة (٦ - ٧) ؛ وإرساله الرُّسُل ؛ وبعثة محمد ﷺ (٨ - ١٠) ، واسترسال في يُمن رسول الله ﷺ ونوره ومكانته في هدى للمهتدين وردى للملحدين (١١ - ١٣) وما قدّمه للبشرية من هداية وطهارة نصرت الحق ، ودحضت الشك ، وقضت على الإفك (١٤ - ١٧) .

ويلتفت الشاعر إلى رسول الله ﷺ ليذكر شوقه ومحَبَّته لزيارته وزيارة المدينة المنورة ، ومسجد رسول الله ﷺ ، والوقوف عند ضريحه الطيب (١٨ - ٢٤) ، ويتنى - ضارعاً - أن يتاح له أداء فريضة الحجّ وزيارة ساكن طيبة عليه أفضل الصّلاة والسّلام (٢٥ - ٢٧) ، ويعلن التوبة إلى الله تعالى من (ذنوب) أقعدته ، ودنيا غرّته (٢٨ - ٣٠) ، ويرفع دعاءً وابتهالاً (٣١) ، ويختم بالصّلاة على رسول الله ﷺ عليه وسلم وعلى آله وأصحابه (٣٢ - ٣٣) .

[٢]

الشروح :

- (١) النَّفْسُ : الرُّوح ، وَالنَّفْسُ (ما يَزْفِرُهُ الْإِنْسَانُ) . يقول حياة الإنسان ليست إلا إمساك النفس باستمرار جريان النفس بلطف الله تعالى .
 وفي الشطر الثاني إشارة إلى قوله تعالى في سورة طه : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إِذْ رَأَى ﴾

ناراً فقالَ لأهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُنْتَى ﴿ ١٠ - ١٢٠ ﴾ .

- (٢) اللُّهُى جمع لهوة ، وهي العطية ، أو هي أفضل العطايا وأجزؤها .
والجَوْدُ : المَطَر الغزير الواسع ، أو الَّذِي لا مَطَر فوقه . والمُنْبَجس : الذي ينبعُ من
الينابيع .

- وفي حاشية نسخة المؤلف عند البيت الثاني ، فوق كلمة (لهُى) : جدى ، وكلمة : معاً .

- (٣) اللَّسَنُ : الفصاحة وجودة البيان .

- (٥) الغَلَسُ : ظلمة آخر الليل .

- (٨) نَفْس الشيء : كان له قَدْرُه وخطَرُه .

- (٩) الثَّقْلان - كما فصل البيت معنى الكلمة :- الجنّ والإنس .

- (١٣) المعتفي : طالب المعروف . والنُّكْس : الرُّدَل ؛ والرَّجُل الضعيف الدَّنيء الذي لا خير فيه
(وهي بكسر النون المشددة وسكون الكاف) وحرك الشاعر للوزن .

- (١٧) في البيت تورية بسورتي (الضحى) و (عَبَس) .

- (٢١) في البيت إشارة إلى الحديث الشريف : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ،
ومنبري على حوضي » رواه أبو هريرة رضي الله عنه . (الفتح الكبير ٨٧/٣) .

- (٢٢) النَّدَس : الفهم الفطن .

- (٢٣) كاس يَكِيس : أي كان كَيْساً .

- (٢٦) الأصل في اللَّعَس : سواد مستحسن في الشَّفة .

- وفي ط : من إظلامه اللعس .

- (٢٩) ضبط الشاعر - بقله - كلمة (غَرَّة) هكذا بضم أولها .

- (٣٠) أي : (بتيسير كل عسير) فحذف على طريقة (الاكتفاء) كما اصطلاح البلاغيون ، وسمّاه
ابن فارس القبض ، وسمّاه ابن منقذ التثليم . ومنه قول الشاعر :

☆ درس لنا بمتالع فأبان ☆

أي درس المنازل ...

- (٣٢) آنَس : كذا ضبطها . وفي المعاجم الأنسُ : جماعة الناس . والإنس : البشر .

- (٣٣) الغَلَس : ظلمة آخر الليل .

وقال أيضاً :

[من البسيط]

- ١ أدير كؤوس الرضا ناراً على علم
 - ٢ ولتجلها بنت دن عمرها عمري
 - ٣ مثمولة نسجتها للشمال يد
 - ٤ فما لها غير روح الروح من قدح
 - ٥ بينا ترى في أكف الشارين طيلاً
 - ٦ كذاك من كتمت سراً ضائرة
 - ٧ قم هاتها فرياض الكون قد جلّيت
 - ٨ ولاحت الشهب كالأكواس دائرة
 - ٩ وساجلت أذمع السحب الحمام بكاً
 - ١٠ فسل أزاخير روض الحسن غبّ ندى
 - ١١ في كلّ حسن له معنى تشاهده
 - ١٢ يا لامع البرق بل بالناظرين عشى
 - ١٣ أعذ على مقلتي لمحاً يؤنقها
 - ١٤ يا وادي الحيّ والأمواه ثاعبة
 - ١٥ بل هلّ يبلّغني وخد المطي على
 - ١٦ لمعهد طالما حلّ القلوب به
 - ١٧ لعمدة الدين والدنيا وقطبها
 - ١٨ لأفضل الناس من حاف لمنتعل
 - ١٩ لأحمد سيّد الأرسال قاطبة
 - ٢٠ يا حادي العيس نحو القوم مرتهناً
 - ٢١ رفقا بنا في بقايا أنفس خفيت
- لا خير في لذة بتاً لمكتم
تستدرج العقل فعل الشيب باللمم
وألطفها أكف اللطف في القدم
ولا لها غير سر السر من قدم
إذ تستحيل شعاعاً في خدودهم
كسأه منه رداء غير منكم
وقام للحسن ترتيب على قدم
تغريك بالسكر من صهباء حبهم
على الرياض فأضحى جدّ مبتم
هل نبّهت وقعات الطلّ عين عم
عين الصفيّ وقلب الحاضر الفهم
وهو الصباح تفرّى عن دجا الظلم
عسى يراك محبّ عن سناك عم
واحرّ قلبي لئذاك المورد الشيم
شخط المزار إلى ربّع بذي سلم
مخيمين وبأنوا عن جسومهم
ومنتهى الشرف الأصليّ والكرم
وأكرم الرسل من باد لمختبر
محمّد خير خلق الله كلّهم
يرمي به الشوق من غور إلى تهم
عن المنايا فلم تمتاز من العدم

- ٢٢ لألحفَ الجسمَ ثوبَ السُّقمِ مُمتَهناً
 ٢٣ وأشربَ الوجدَ قلبي والجوى كَبدي
 ٢٤ إن لم أَحُطْ رِكابي في أبرّ ثرى
 ٢٥ ذلاً وخَوْفاً وإشفاقاً ومُتَدَمَةً
 ٢٦ يا طَيِّبَةَ الطَّيِّينَ، الله أنشدكم
 ٢٧ عَسَاكُمْ أَنْ تُوَالَوْهَا سَلَامُكُمْ
 ٢٨ وإنْ تُعَذِّبْكُمْ فَحَيُّوْهَا فَعَوِّدْتُهَا
- وأذرفَ العَيْنَ صوبَ الأذْمَعِ السُّجْمِ
 والسَّهْدَ جَفَنِي وَأَنْوَاعَ الشَّجُونِ دَمِي !
 حَتَّى أُعْفِرَ فِيهِ وَجَنَّتِي وَفَمِي
 عَلَى مَسَاوِيٍّ قَدْ زَلَّتْ بِهَا قَدَمِي
 أَمَا سَرَتْ نَسْمَةً مِنْ جَانِبِ (الْعَلَمِ)
 حَتَّى يَبِينَ الرِّضَا مِنْهُ لِمُنْتَسِمِ
 مِنِّي بَرْدٌ سَلَامٌ غَيْرُ مُنْصَرِمِ

[٣]

جَوَّ القَصيدة :

يبدأ الشاعر بذكر (كؤوس الرضا) على طريقة شعراء الصوفيّة من إدارة الكلام على الحمرة وأدواتها وأوصافها وما يناسبها (١ - ٨) وينتقل إلى ذكر بعض محاسن الطّبيعة الدالّة على خلق الله وإبداعه وعظمته جلّ جلاله (٩ - ١٤) ويلتفت إلى (معهد) لرسول الله ﷺ طالما حلّت به القلوب وتشوّفت إليه النفوس (١٥ - ١٩) ويسترسل في تصوّر رحلة طويلة يحوطها الحبّ والشوق لتحطّ ركابه في طيّبة (مدينة رسول الله ﷺ) ويبعث بتحيّته طيّ نسيم يسري ويمرّ (بجانب العَلَم) ويسأل مَنْ بِطَيِّبَةٍ أَنْ يَنَسِمُوا ذَلِكَ النسيم ، وأن يردّوا عليه بسلام دائم متواصل .

[٣]

الشروح :

- (١) بتّاً : قطعاً .
- (٢) اللهم جمع اللّمة : الشعر المجاوز شحمة الأذن .
- (٤) الفِدام (بألف بعد الدال) : ما يوضع في فم الإبريق ليصفى مابه .
- (٥) الطّلاء : الحمرة .
- (٨) تُجمع الكأس على أكؤس وكؤوس وكئاس ، وزاد الفيروذابادي : كاسات .
- (١٢) تفرّى : انشقّ . وفي الأساس : ومن المجاز قولهم : تفرّى الليل عن بياض النهار .

- (١٥) الوخذ للبعير : الإسراع .
- (١٦) المعهد : المنزل المعهود به الشيء ، والمنزل الذي كنت عهده أو عهده به هوئى لك أو شيئاً غيره .
- (١٨) من بادٍ يريد من بادئ .
- (١٩) الرُّسُولُ تُجمع على رُسُلٍ وأُرْسُلَ ورُسُلَاء .
- (٢٠) الغُورُ : كل ما انحدر مسيله مغرباً دون نجد . والتَّهْمُ لغة في تهامة ، والتَّهْمُ والتَّهْمَةُ : الأرض المتصوّبة إلى البحر .
- والغور : دون مرحلتين من الغرب من وراء مكّة . وتهامة : مكة المكرمة ، وأرض أولها ذاتُ عرق من قبل نجد إلى مكة وما وراءها بمرحلتين أو أكثر ثم تتصل بالغور وتأخذ إلى البحر وجُدّة .
- (٢١) امتاز : انفصل عن الشيء وانعزل .
- (٢٦) طيبة : المدينة النبوية المنوّرة . والعَلَمُ : جبل شرقي الحاجر يقال له : أبان .

[٤]

وقال أيضاً - وقد سئل إجازة البيت الأول - [وهو مطلع قصيدة لسيدي أبي مدين شعيب الأندلسي التماساني ؛ انظر ديوانه : ص ١٨ طبع دمشق ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م] :

[من البسيط]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | [يا من يُعِيْثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنِطُوا | ارْحَمْ عِبَاداً أَكْفَ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا] |
| ٢ | عَوْدَتِهِمْ بَسْطَ أَرْزَاقٍ بِلَا سَبَبِ | سوى جميل رجاءٍ نحوه أنبسطوا |
| ٣ | وَعُدَّتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرِ | بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا |
| ٤ | فَضَائِلُ ارْتَبَطَتْ شُمُ الْأَنْوَفِ لَهَا | وَكُلُّ صَعْبٍ لِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبِطُ |
| ٥ | يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَاَعْتَرَفَتْ | بِحِجَمِ أَنْعَامِهِ الْأَطْرَافُ وَالْوَسْطُ |
| ٦ | وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا | وَهُمْ يَجُوزُ عَلَيْهِ ، لَا وَلَا غَلَطُ |
| ٧ | عَبْدٌ فَقِيرٌ بِيَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرٌ | مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُوَافِيَ حِينَ يَنْضَغُطُ |
| ٨ | مَهْمَا أَتَى لِيَمْدِ الْكَفِّ أَخْجَلَهُ | قَبَائِحُ وَخَطَايَا أَمْرُهَا قُرْطُ |

- ٩ يا واسعاً ضاقَ خَطُّو الخَلْقِ عن نِعَمٍ
 ١٠ وناشِراً يبيدُ الإِجْمالَ رَحْمَتَهُ
 ١١ ارحمَ عبداً بضنكِ العَيْشِ قد قَنِعُوا
 ١٢ إذا تُوزَّعتِ الدُّنيا فما لَهُمُ
 ١٣ لكنَّهُم مِن ذِرا عَلِيّاكَ في نَمَطٍ
 ١٤ ومَنْ يَكُنْ بِالذِّئْبِ يَهْواهُ مُجْتَمِعاً
 ١٥ نحنُ العَبِيدُ وأنتَ المَلِكُ ليسَ سِوى
- منهُ إذا خَطَبُوا في وَصفِها خَبَطُوا
 فليسَ يَلْحَقُ مِنْهُ مُسْرِفاً قَنَطُ
 فأَيْنما سَقَطُوا بينَ الوَرى لَقَطُوا
 غيرَ الدُّجْنَةِ لُحفاً والثَّرى بُسَطُ
 سامٍ رَفيعِ الذِّرى ما فَوْقَهُ نَمَطُ
 فما يُبالي أقامَ الحَيُّ أم شَحَطُوا
 وكلُّ شَيْءٍ يُرَجى بَعْدَ ذا شَطَطُ !

[٤]

جَوّ القصيدة :

هذه القصيدة معارضة لقصيدة الغوث سيدي أبي مدين شعيب الأندلسي ، ثم التلمساني .
 وتجري الأبيات من أول القصيدة إلى آخرها على طريقة شعر الدعاء والاستغاثة والتضرع
 والانكسار ؛ وفيها تمجيد الله سبحانه وتعالى ، ودعاء برفع الضرّ ، وفيها إظهار لحبة
 الله تعالى والعبودية المطلقة له ، جلّ وعلا .

[٤]

الشروح :

(١) هذا البيت مطلع قصيدة لسيدي أبي مدين شعيب الأندلسي التلمساني . وهو من رجال القرن
 السادس الهجري (توفي سنة ٥٩٤) من مشاهير الصوفية في الأندلس والمغرب . انتقل من
 الأندلس إلى المغرب فأقام بفاس ، ثم في بجاية ؛ وكثر أتباعه ومريدوه حتى خافه السلطان
 يعقوب المنصور الموخّدي ؛ وله معه خبر . مات في طريقه من بجاية إلى حضرة السلطان
 المذكور بمراكش ، بعد أن استقدمه إليه لينظر في تقارير الوشاة فيه ؛ وكان أبو مدين طمأن
 مريديه بأنه لا يرى السلطان ولا يراه ذاك أيضاً . وكان وفاته بالعبّاد عند تلمسان . وله
 ضريحٌ مكرّم .

لأبي مدين ديوان شعر وموشحات ؛ على نهج شعراء الصوفية ، وله كتاب مخطوط عنوانه
 (مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب) .

وفي تراجمه أخبار وأحاديث عن فضائله وما يُنسب إليه من كرامات ولم يظهر من أخباره ما يدل على ادعائه أو تطوّله . والله تعالى أعلم .

(التشوف لرجال التصوّف : ٣١٦ والبستان : ١٠٨ وجذوة الاقتباس : ٣٣٢ ونفح الطيب ١٤٢٧ ونيل الابتهاج : ١٢٧ وشجرة النور : ١٦٤ وعنوان الدراية : ٥ وشذرات الذهب ٣٠٣/٤ وجامع كرامات الأولياء ٣٩٧/٢ ؛ وألف ابن قنفذ في أبي مدين كتاباً مستقلاً عنوانه : « أنس الفقير وعزّ الحقيّر » ط : الرباط ويُنظر : نثر الجمان لابن الأحمر : ٢٥٧ - ٢٥٨ وحاشية التحقيق) .

- وقصيدة ابن خاتمة في نفح الطيب ٣٤٦/٤ - ٣٤٧ ؛ ولم ينه إلى أنّها مبنية على إجازة البيت الأول .

(٣) قسط (الرجل) إذا جازَ ؛ وأقسط إذا عدل .

(٤) في النَّفح : بقيد الجود .

(١٠) في كتب اللغة : قَنَطَ يَقْنُطُ (بكسر نون المضارع وضَمُّها) قُنُوطاً ؛ وقَنِطَ يَقْنُطُ (بكسرها وفتحها) قَنَاطَةً ، وقَنُطَ يَقْنُطُ (بضمّها) قَنَاطَةً .

ولم أجد استعمال المؤلف : (قَنَطَ) . وقد أوردّها إيراد الاسم أو المصدر .

(١١) أي يكتفون بما يُساق إليهم من رزق . وعبارة الشاعر تستخدم عبارة مثل عربيّ يقول : « لكل ساقطة لاقطة » . ولم أجد بين معنى الشاعر المقصود وبين ماشرح به الأصمعي وغيره المثل ؛ صلة واضحة على رغم التقارب اللفظي . وينظر جمع الأمثال ١٩٣/٢

(١٣) الذُّرَا (بفتح الذال) فناء الدار ونواحيها ، وكل ما استترت به . والذُّرُوة : المكان المرتفع ، والعلو ، والجمع ذُرَى (بضم الذال) .

(١٤) شحط : بَعُدَ .

[٥]

وقال أيضاً في التنبيه على مواقع النعماء وموارد الآلاء : [من الكامل]

- | | | |
|---|---------------------------------------|---|
| ١ | الأَرْضُ بَيْنَ مُدَبَّجٍ وَمَحَلَّلٍ | والرَّوْضُ بَيْنَ مُتَوَجِّجٍ وَمُكَلَّلٍ |
| ٢ | والزَّهْرُ بَيْنَ مَوْرَدٍ وَمَوْرَسٍ | والنَّشْرُ بَيْنَ مُمَسَّكٍ وَمُصْنَدَلٍ |
| ٣ | والماءُ قد صَقَلَ النسيمَ فِرْنَدَهُ | فتوشَّحتُ منه الرياضُ بُنْصَلٍ |

٤	لَوَيْتُ مَذَانِبَهُ عَلَى أَدْوَاهِهَا	فَاخْتَلَنَ بَيْنَ مَنْطَقِي وَمُخْلَخَلِ
٥	مَا ذَاكَ سَجَعُ نَسِيبِهِ فِي ظِلِّهَا	لَكِنَّهُ وَسَّوَسُ هَاتِيكَ الْخُلِي
٦	أَهْلًا بِأَيَّامِ الرَّيِّعِ وَطِيبِهَا	أُنْسِ الْخَلِيعِ وَنُزْهَةِ الْمُتَبَتِّلِ
٧	زَمَنْ أَرْقُ مِنْ الْوُدَادِ شَمَائِلًا	وَالَّذُ مِنْ عَصْرِ الشَّبَابِ الْأَوَّلِ
٨	تُذِكِي بَلَابِلُهُ الْبَلَابِلَ لَوْعَةً	وَلَرُبَّ بَلْبَالٍ يَهْيِجُ لِبَلْبَلِ
٩	أَعْجِبْ بِهِ مِنْ مِهْرَجَانٍ قَائِمِ	بَيْنَ الْبَسِيطَةِ وَالْحَيَا الْمُتَهَلِّلِ
١٠	حَشَدَ الرِّيَاضِ لَهُ جُنُودَ جَمَالِهِ	وَأَتَى بِجَافِلِ جُنْدِهِ فِي جَحْفَلِ
١١	فَالطَّيْرُ تَشْدُو وَالْغَدِيرُ مُصَفَّقٌ	وَالْقَضْبُ تَرْقُصُ وَالْأَزَاهِرُ تَنْجَلِي
١٢	وَعَرَائِسُ الْأَشْجَارِ تَجْلِي فِي حُلَى	خَضِرٍ، وَلَا وَجْهَ الْعُرُوسِ إِذَا جُلِي !
١٣	مَا إِنْ تَرَى عُرْسًا بِأَجْمَلِ مِنْهُ فِي	عَيْنِ الشَّجِيِّ إِنْ غَابَ عَنْ عَيْنِ الْخُلِي
١٤	فَاعْطَفْ عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ وَحْيِهِ	وَانْظُرْ إِلَى حُسْنِ الرَّيِّعِ الْمُقْبَلِ
١٥	وَأَجَلِ لِحَاطْكَ فِي صِفَاحِ كِتَابِهِ	حَتَّى تَبَيَّنَ وَاضِحًا مِنْ مُشْكَلِ
١٦	وَإِنْ اعْتَرَكَ عَشَى لِنِيرِ نَوْرِهِ	فَاعْدِلْ لِأَثْمِدِ ظِلِّهِ فَتَكْحَلْ !
١٧	مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ مَوْقِعَ الْحُسْنِ الْخَفِيِّ	مِنْ مَنْظَرٍ لَمْ يَدْرِ مَا الْحُسْنُ الْجَلِيِّ
١٨	فَالْحُسْنُ مَا وُضِّحَتْ شَوَاهِدُ فَضْلِهِ	لِلْمُجْتَنِّي كَوْضُوحِهَا لِلْمُجْتَلِي
١٩	وَلَرُبَّ وَرْدَةٍ دَوْحَةٍ حَيَّتُ بِهَا	جَامَأً تَلْهَبُ نُورَهُ فِي أُنْمَلِ
٢٠	يَنْدَى عَلَى جَنَابَاتِهِ قَطْرُ النَّدى	فَاعْجَبْ لَهُ مَاءً وَنَارًا قَدْ مَلِي
٢١	قَدْ حُجِّبَتْ فِي ظِلِّهَا فَتَبَسَّمَتْ	عَنْ قَرْقَفٍ وَتَسَمَّتْ عَنْ مَنْ دَلِ
٢٢	مِافَتْحِ الزَّهْرِ الْجَنِيِّ تُغَوِّرُهُ	إِلَّا لِيَرَشُفَ طِيبَ ذَاكَ السُّلْسَلِ
٢٣	كَلَّا وَلَا جَمَدَتْ عُيُونُ بَهَارِهِ	إِلَّا لَغَيْرَتِهَا عَلَيْهِ أَوْ قَلِ ؟
٢٤	هَذَا الْبَلَابِلُ قَدْ سَجَعَنَ لِشَرْبِهِ	تَشْدُو وَتُنْشَدُ فِي (الثَّقِيلِ الْأَوَّلِ)
٢٥	إِيَّاهُ مُطَرَّبَةً الْخُلَى بَعَثَتْ لِي	أَسْفَ الشَّجِيِّ، رُدِّي عَلَيَّ وَبَدِّلِي
٢٦	مَا عَذَرُهَا وَالْوَرْدُ مُؤَرَّدُ عِشْقِهَا	لَوْ لَمْ تَغْنَّ بِحُسْنِهِ وَتَغَزَّلْ

- ٢٧ فالرَّوضُ قد فَتَحَ الحيا في خَدِّهِ وَرُدًّا سَبَى وَرَدَ الحياءُ الْمُخْجِلِ
٢٨ عَجَباً وَحَتَّى الْحُسْنُ يَعشَقُ بَعْضُهُ بَعْضاً، لَقَدْ أَرَى الهوى بِالْعُدْلِ
٢٩ لُطْفٌ مِنَ الإحسانِ أَعْجَزَتِ الْوَرَى أَوْصَافُهَا، سُبْحَانَ مُبْدِعِهَا الْعَلِيِّ !

[٥]

جَوَّ القَصيدة :

هذه قصيدةٌ تجري مجرى قصائد وصف الطبيعة الأندلسية . ينظر الشاعر حوله فيرى الأرض وقد ازينت بزينة الربيع بخضرتِه وألوانه وبدائعه وعطره ومياهه المتدفقة ، وسجع طيوره (١ - ٥) ويلتفت إلى أيام الربيع ويثني على الزمان المشرق فيها ، والمهرجان الملون الصّاحب وقد حشدت الرياض مالدِها من فتنة وحسن من الحيوان والنبات والجماد (٦ - ١١) ويستوقفه غُرس الأشجار - الذي لم يَرِ الشاعر أجمل منه - (١٢ - ١٣) ويدعو قارئه وسامعه إلى الاستغراق في حسن الربيع البديع ويقرأ كتابه العجيب (١٤ - ١٥) ويضرب أمثلة من الكتاب الحسن الوشي في صفحات الكون البهيج ماراً بالورد والزهر والبلابل (١٦ - ٢٤) ويتوقف عند ساحة مطربة تستثير الوجد والشوق (٢٥ - ٢٦) ويبالغ فيرى الورد معجباً بعُضه بعضه (وهذا ملح لطيف بديع : أن يجعل بعض ما في الطبيعة يعشق بعضه الآخر لغرابته وفرط جماله) ، ويختم بالبيت الأخير (٢٩) ويجعل منه بيت القصيدة : لأن فيه العبرة لبني آدم من بدائع خلق الله ، والدلائل على صنعته البديعة واستحقاقه العبودية والطاعة والشكر .

- والقصيدة في الكتيبة الكامنة للسان الدين بن الخطيب : ٢٤٢ - ٢٤٣ قال في التقديم : « ومن روضياته قوله في مرهف روض » .

[٥]

الشروح :

- (١) دَبَّجَ : نقش ، ودَبَّجَ المطرُ الأرض : زَيَّنَهَا بالرياض . ومحَلَّلَ : مكسٍ بالخَلَّةَ ؛ وهي إزار أورداء بُرِّد أو نحوه .
(٢) مُورَس : مصبوغ بالورس . والورس : نباتٌ يَتَّخِذُ منه صبغٌ ؛ وهو كالعُصفر في وظيفته :

- من تطيبب الطعام وصبغ الثياب . والصَّنْدَل : نباتٌ يَتَّخَذُ منه طيب .
 - في الكتيبة الكامنة : والنهر . وهي رواية مرجوحة .
 (٣) المُنْصَل : السِّيف .
- (٤) المَذَانِبُ (جمع مَذْنِب) : مسيل الماء والجدول . وَمَنْطَقٌ : ذو نطاق . وَمُخْلَخَلٌ :
 ذو خَلْخَال . (وهما من زينة المرأة) .
 - في الكتيبة الكامنة : ممنطق .
- (٥) الوسواس : صوت الحليّ (والقصب) .
 - في الكتيبة الكامنة : نسيها ؛ وفي ط : نسيها .
- (٦) في الكتيبة الكامنة : « وطلّها » . ونَبّه في الحاشية على رواية الديوان من إحدى نسخ
 مخطوطته المعتمدة .
- (٨) البلابل الأولى جمع بَلْبَل : طائر (صغير الجثة سريع الحركة ، يُضْرَبُ به المثل في طلاقة
 اللسان) . والبلابل الثانية : شدة الهمّ ، والوسواس . والبلبال : شدة الهمّ والوسواس والهيّاج
 والحركة . والبَلْبَل - في آخر البيت - الطائر المعروف المذكور أولاً .
 - وفي البيت تعقيد لفظي سببه الرّغبة في استيفاء الجناس .
- (٩) استعمل الشاعر المهرجان بمعناه العام وصار يعني الاحتفال الكبير . وأصله عيد فارسي ؛
 عرفه العرب نقلاً عنه . وهو في الخريف (عند نزول الشمس أول الميزان) .
 - انظر في هذا : معجم الألفاظ الفارسية المعربة : ١٤٧ . وألحيا : المطر .
- (١٣) سكّن ياء (الشجي) ضرورة .
- (١٦) ضبط الشاعر كلمة نُورَه بفتح النون . والإثمد : حجر معروفٌ يُسْحَقُ ويُكْتَحَلُ به .
- (١٩) الجامّ : إناءٌ من فضّة .
- (٢١) في ط : فتبسّمت عن ثغرها . والقرقف : الخمر . والمندَل : العود الطيب الرائحة .
- (٢٣) قوله في آخر البيت (أو قل) هذا على سبيل الاكتفاء ، والمراد أو فلأني شيء كان ذلك ؟ أو
 فلماذا ؟ .
- (٢٤) الثقليل الأول من مصطلحات الموسيقى .

وقال أيضاً في المعنى :

[من الكامل]

- ١ شَقَّتْ عَلَى الْأَرْضِ السَّمَاءَ جُيُوبَهَا
 - ٢ أَرْضٌ مُدَبَّجَةٌ وَظِلٌّ وَارِفٌ
 - ٣ قَدْ مَدَّ طَاوُوسُ الْجَمَالِ جَنَاحَهُ
 - ٤ مَا شِئْتُ مِنْ وَشِيِّهَا، تَوْرِيدَهَا
 - ٥ سَحَبَ السَّحَابُ بِهَا فُضُولَ ذِيُولِهِ
 - ٦ فَأَتَتْ كَمَا نَضَّتِ الْعُرُوسُ يَقَاتِيَهَا
 - ٧ وَادٍ بِهِ نَفَضَ الرِّيحُ عِيَابَهُ
 - ٨ أَضْفَى عَلَيْهِ النَّوْرُ مِنْ أَثْوَابِهِ
 - ٩ فِي عَاتِقَيْهِ مِنَ الْمِيَاهِ صَوَارِمٌ
 - ١٠ فَالْدَّوْحُ بَيْنَ مُدْمَلَجٍ وَمُخْلَخَلٍ
 - ١١ لَا غَرَوْا إِنْ ضَحَكَتْ مَبَاسِمُ زَهْرِهِ
 - ١٢ أَوْ إِنْ بَدَأَ خَجَلٌ بَخْدَيَّ وَرْدِهِ
 - ١٣ أَوْ أَنْ يُغْنِي بُلْبُلٌ فِي ظِلِّهَا
 - ١٤ مَا مِثْلُ أَيَّامِ الرِّيعِ وَنَهَبِهَا
 - ١٥ وَاعْطِفْ عَلَى وَجْهِ الزَّمَانِ فَحْيِهِ
 - ١٦ وَاعْدِلْ لِظِلِّ الْأَعْسِ فَارْشَفْ بِهِ
 - ١٧ وَالْمَحْ صَحَائِفَ ذَا الْوُجُودِ بَعِيْنٍ مَنْ
 - ١٨ فَوْرَاءَ هَذَا الْحُسْنِ حُسْنٌ قَدْ غَدَا
 - ١٩ لَوْلَا اتِّقَائِي أَنْ يُقَالَ أَخُو صَبَا
 - ٢٠ أَوْ أَنْ يِبَاهِتَ فِي الْمَلَامَةِ عَاذِلٌ
 - ٢١ وَرَفَعْتُ نَفْسِي عَنْ زِرَايَةِ غَادَةِ
- فَالْمَحْ سَنَاهَا أَوْ تَسَمَّ طَيْبَهَا
وَشَذَى بِهِ مَلَأَ النَّسِيمُ رَحِيْبَهَا
فِيهَا فَغَطَّى غُصْنَهَا وَكَثِيْبَهَا
تَوْرِيْسَهَا، تَفْضِيْضَهَا، تَذْهِيْبَهَا
فَوْشَى أَبَاطِحَهَا وَلَمْ شَعُوبَهَا
وَجَلَتْ عَنْ الْوَجْهِ الْجَمِيْلِ شُرُوبَهَا
وَأَرَى فُنُونٌ فَتُونِهِ وَضُرُوبَهَا
خِلْعاً تُهْدَبُ نَشْرَهَا تَهْذِيْبَهَا
يُبْدِي النَّسِيمُ بَمْتْنَهَا تَشْطِيْبَهَا
عَنْهَا غَدَا جَرَسُ الْحُلِيِّ نَسِيْبَهَا
فَالْمَزْنُ قَدْ سَفَحَتْ عَلَيْهِ غُرُوبَهَا
فَالْدَّوْحُ قَدْ شَقَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبَهَا
طَرِباً وَقَدْ حَاكَ الْبَدِيعُ نَسِيْبَهَا
عَيْشٌ يَطِيْبٌ؛ فَلَا تُضْعُ مِنْهُوبَهَا
بِتَحْيَاةٍ تُنْسِي ذُكَاءَ غُرُوبَهَا
كَأْسَ الْمُنَى حَتَّى تَطْعَمَ طَيْبَهَا
جَمَعَ التَّفَرُّقَ تَسْتَبِنُ مَكْتُوبَهَا
مَطْلُوبَ نَفْسِكَ لَوْ دَرْتُ مَطْلُوبَهَا
لَرَشَفْتُ مِنْ ثَغْرِ الْأَقَاحِ شَنِيْبَهَا
بَسْفَاهٍ حِلْمٍ لَا عَتَنَقْتُ قُضِيْبَهَا
وَجَعَلْتُ ذَاكَ مِنَ الْحِسَانِ نَصِيْبَهَا

[٦]

جَوّ القصيدة :

يصف الشاعر الأرض وقد ارتوت من ماء السماء ، واخضضت وتلّوت ، وفاح عطرها ، وامتدّ ظلّها ، وانتثرت الأزاهير والأوراد والزّنايق (١ - ٥) . ويقول إن الأرض صارت عروساً كشفت عن وجهها المشرق (٦ - ٧) . ويسترسل في وصف ماترى العين من ملامح الجمال ، وما تسمع الأذن من أغاريد الطبيعة الناطقة ، وما تحسّ النفس من كلّ جانب من جوانبها (٨ - ١٠) ويذكر حسن ما صنعت المُنّ في توريد خُدود الورد ، وما حرّضَ الجمال والظلال البلبّل على السّجع والتطريب (١١ - ١٣) ويذكر أيام الربيع وحسن العيش فيها (١٤ - ١٦) ويدعو الإنسان إلى التأمّل والتفكير ، وإلى الشكر ، وإلى أنّ وراء هذا الحسن صانعاً مدبّراً مصوراً (١٧ - ١٨) ويستغرق في الطبيعة التي (يقول إنها) تُغنيه عن كل حسناء رائعة الجمال (١٩ - ٢١) .

[٦]

الشروح :

- (١) الجيب في القميص والثوب ونحوهما : طوقه ؛ وهو ما ينفّث على النّحر ؛ استعاره الشاعر للسماء . يريد أنّ ماء السماء انهمر غزيراً فكأنه فاض من جيب السماء (المشقوق على الأرض) فيضاً .
- (٢) دَبَّح المطر الأرض : زَيَّنّها بالنبات .
- (٣) جعل للجمال طاووساً يدّ جناحيه ؛ وإنما أوحى إليه بهذه الصّورة وفرة ألوان الطبيعة في الربيع ، والرّياض مُرتوية ، والزمان مشرق .
- (٤) التوريد من لون الورد ، والتوريس من لون السورس (صبغ معروف) والتفضيض والتذهيب من ألوان الفضة والذهب .
- (٥) الشّعب : التفرّق . والبَطْحاء : مسيلٌ واسع فيه حصى الوادي اللين وتُرابه ممّا جرفته السيول (والجمع بطاح وبطحافات) .
- (٦) نضت نقايها : رفعت ، وخلعت . والشّربة : الحمرة في الوجه (تكون بفتح الشين وضّمّها) .
- (٧) العياب جمع العيّبة : وعاء من آدم (جلد) يكون فيه المتاع .

- (٩) شطب السيف : خطوط وطرائق تلمع في متنه من شدة جريان مائه وصفاء فرنده .
- (١٠) مَدْمَلَج : لبس الدملج وهو حلي يلبس في العَصْد . وَمَخْلَل : لبس الخُلخال .
- (١١) غروب جمع غَرْب : وهو الدَّلْو العظيمة يُسْتَقَى بها على السَّانية (كالناعورة) .
- (١٥) دُكَاء : اسم علم للشمس .
- (١٦) اللَّعْسُ : سواد (سُمرة) مستحسن في الشفة .
- (١٩) الشَّنب : ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان .
- (٢٠) باهت الرجل : أتى بالبهتان . وبهته : قال عليه مالم يفعل وأخذه بغتة . والقضيب هنا : القامة .
- (٢١) آخر أبيات ابن خاتمة هذه يشرب من شعر ابن فرج الجياني وأوله :
- وطائفة الوصال عفت عنها وما الشيطان فيها بالمطاع
(اطلبها في كتابنا : المختار من الشعر الأندلسي - طبع دار الفكر) .

[٧]

يتحدث الشاعر عن الحب الكبير العظيم ، الذي يتجاوز كل حب دينوي ، ويُخبر عن نفسه بصيغة الغائب (على طريقة الالتفات) ليزكر دمعاً المسكوب ، وصره النَّافد (١ - ٤) ويعلن أنه شرب كأس الهوى ، ولا يجد محبباً عاشقاً مثله (٤ - ٨) ويتمنى لو يجد من يبثه (حديث ليلى) - وهي ليلى في رموز الصوفية ؛ والتي قال فيها أبو الحسن الششتري الأندلسي (ديوانه : ٣٦٤) - :

سلبت ليلى مني العقـ____لا
قلت يـ____اليلي ارحمني القـ____لا !

قالوا : هي « الأنثى الكلية ، والوردة الحمراء ... » .

ويقدم الشاعر أوصافاً لذلك الذي يمكن أن يستودعه سرّه (٩ - ٢٠) ويخرج إلى ذكر بعض اللطائف والبدايع من دوران الأفلاك ونضرة الروض وابتسام الزّهر ، ونزول القطر ، وأنفاس النسيم .. إلخ (٢١ - ٢٩) ، ويختم ببيان حبّه الإلهي الذي لا يشبهه حبٌ ؛ ويحكي عن نفسه لوعتين ، على حين يعاني العشاق من لوعة واحدة ! (٣٠ - ٣٣) .

وقال أيضاً :

[من البسيط]

- ١ وَشَى بِسْرَكَ دَمْعَ ظِلٍّ يَنْسَكِبُ
 ٢ فَمَا اعْتِذَارُكَ لِلْأَحْيِ وَقَدْ هَتَكَتْ
 ٣ هَيْهَاتَ عِنْدِي جَوَى لَوْفُضٍ بَادِرَةً
 ٤ مَا كُلُّ جُرْحٍ جَنَاهُ طَرْفُ ذِي حَوَرٍ
 ٥ شَرِبْتُ كُلَّ سِوَى الْمَوَى وَحَدِي مُعْتَقَةً
 ٦ فَمَنْ يَكُنْ عَاشِقًا مِثْلِي يَحِقُّ لَهُ
 ٧ فِي وَجْهِهِ مَنْ هَامَ قَلْبِي فِيهِ لِي شُغْلٌ
 ٨ وَجْهٌ إِذَا انْتَسَبَتْ كُلُّ الْوُجُوهِ إِلَى
 ٩ يَالْهَفَ نَفْسِي عَلَى خِلٍّ أَفَاوِضُهُ
 ١٠ مُطَهَّرِ السَّمْعِ لَا يَثْنِي لِلْإِثْمَةِ
 ١١ أَبْثُوه سِرَّ حُسْنٍ جَلٍّ مُضْمَرَةٌ
 ١٢ فِيهِ شِفَاءٌ مِنَ الدَّاءِ الْعِيَاءِ سِوَى
 ١٣ فَلَا تَظُنَّنَّ أَنْ يُصْغِيَ لِنَعْمَتِهِ
 ١٤ سِرٌّ مِنَ الْحُسْنِ لَوْ يُجَلَّى سَنَاءُهُ عَلَى
 ١٥ أَوْ قِيلَ فِي أُذُنِ صَمَاءٍ أَسْمَعَهَا
 ١٦ أَوْ خَطَّ فِي وَجْنَتِي مَيِّتٍ لِأَنْشَرَهُ
 ١٧ فَهَلْ بَذَا الْحُسْنِ مَا يُصْغَى لِنَاعَتِهِ
 ١٨ هَبْ صَحَّتِ الْكَيْمِيَا أَيْنَ الْمُصِیْخُ لَهَا
 ١٩ عَزَّ الرِّجَالُ فَهَلْ مَنْ يُسْتَرَاخُ لَهُ
 ٢٠ كَرَّرَ لِحَاطَتِكَ فِي هَذَا الْوُجُودِ تَجْدُ
 ٢١ فَعَنْ لَطَائِفِهِ الْأَفْلَاكَ دَائِرَةً
- وَغَالَ صَبْرَكَ صَدْعٌ لَيْسَ يَنْشَعِبُ
 عَنْكَ الْحِجَابُ أُمُورٌ لَيْسَ تَحْجُبُ
 مِنْهُ عَلَى الشُّهُبِ مَا دَارَتْ بِهِ الشُّهُبُ
 كَلَّا ، وَلَا كُلُّ سَكْرٍ جَرَّةُ شَنْبٍ
 وَالْعَاشِقُونَ - جَمِيعًا - فَضَّلَهَا شَرَبُوا
 أَلَّا يُبَالِي أَقَامَ الْحَيُّ أَمْ ذَهَبُوا
 عَنْ كُلِّ شُغْلٍ ، فَلَا يُزِرِي بِكَ الرَّغْبُ
 حُسْنٍ فَمَا لِسِوَاهُ الْحُسْنِ يَنْتَسِبُ
 حَدِيثَ لَيْلَى فَيُصْفِي لِي كَمَا يَجِبُ
 وَجْهًا وَلَا يَزْدَرِيهِ الْمُئِنُّ وَالْكَذِبُ
 عَنْ أَنْ تُطَالَعَهُ الْأَقْلَامُ وَالْكَتُبُ
 أَنَّ الْقُلُوبَ إِلَى نَجْوَاهُ تَنْجَذِبُ
 قَلْبٌ فَيُسَلِّمُهُ أُخْرَى الْمَدَى وَصَبُ
 أَعْمَى لِأَبْصَرِ مَا قَدْ وَارَتْ الْحُجُبُ !
 أَوْ رَامَهُ أُخْرَى دَانَتْ لَهُ الْخُطْبُ
 وَقَامَ لِلْحَيْنِ فِي أَثْوَابِهِ يَثِبُ
 أَوْ بِالَّذِي قَدْ بَدَا مِنْ نَعْتِهِ عَجَبُ ؟
 هَيْهَاتَ قَدْ صَعَبَ الْمَطْلُوبُ وَالطَّلَبُ
 بِنَفْسَةٍ دُونَهَا الْأَرْجَاءُ تَضْطَرِبُ ؟ !
 عَنْ ذَلِكَ السِّرِّ مَا يَبْدُو وَيَحْتَجِبُ
 وَالشَّمْسُ حَاسِرَةٌ وَالْبَدْرُ مُنْتَقِبُ

٢٢	وَالرَّوْضُ مُلْتَحِفٌ وَالْغُصْنُ مُنْعَطِفٌ	وَالرَّهْرُ مُبْتَسِمٌ وَالْقَطْرُ مُنْتَحِبٌ
٢٣	وَمِلُّ سَمْعِكَ لِلطَّيْرِ الْمُرِّ إِذَا	نَمَّ الصَّبَاحُ فَعْنَهُ ذَلِكَ الطَّرَبُ
٢٤	وَلِلمِيَاهِ فَفِيهِ مَا تَرَا جَعُهُ	وَلِلْحَلِيِّ فَفِيهِ الْحَلْيُ يَصْطَخِبُ
٢٥	وَشَمٌّ إِنْ شِئْتَ أَنْفَاسَ النَّسِيمِ إِذَا	مَا حَمَلْتَهُ شَمِيمَ الرَّوْضَةِ السُّحْبُ
٢٦	تَجِدُ عَلَيْهِ أَرْجَاءَ عَرْفِهِ عَبَقٌ	لَا شَكَّ أَنَّ شَذَاهُ مِنْهُ مُكْتَسَبُ
٢٧	فِي كُلِّ حَسَنِ لَهُ مَعْنَى يُشَاهِدُهُ	قَلْبٌ خَلَا عَنْهُ إِفْكٌ وَامَّحَتْ رَيْبُ
٢٨	لَا يَطْمَعُ الطَّرْفُ أَنْ يَخْطِئَ بِمُلْمَحَةٍ	مِنْ حُسْنِهِ وَلِغَيْرِ عُنْدِهِ أَرْبُ
٢٩	مَا بَعْدَ الرَّاحِ عَنْ عَلِيَاءِ حَضْرَتِهِ	شَيْءٌ ، سِوَى أَنَّهَا قَدْ خَانَهَا الْأَدَبُ
٣٠	وَعَاذِلِ مَا ذَرَى مِقْدَارَ مَوْجِدَتِي	يَظُنُّ أَنِّي مِمَّنْ سَعِيَ—هُ خَبِ
٣١	عَنِّي بِلُومِكَ إِنِّي عَنْهُ فِي شُغْلٍ	مَّا كُلُّ مُلْتَهَبِ الْأَحْشَاءِ مَكْتَتِبُ !
٣٢	لِي لَوْعَتَانِ وَلِلْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ	شَيْءٌ تَفَرَّدَتْ فِيهِ ، وَالْهَوَى رُتَبُ
٣٣	أَرْضَى لِمَنْ ظَلَّ يَلْحَانِي بِحَالَتِهِ	يَقْضِي الْمَدَى وَهُوَ لَمْ يَغْلُقْ بِهِ سَبَبُ

[٧]

الشروح :

- (١) غَالَهُ يَغْوُهُ : أَهْلَكَهُ . وَأَنْشَعِبَ الشَّيْءُ : أَنْصَلَحَ وَالتَّأَمَّ (وَيَقَعُ انْشَعَبَ بِمَعْنَى تَفَرَّقَ فِي مَجَالٍ آخَرَ ، وَالْكَلِمَةُ مِنَ الْأَضْدَادِ) .
- (٢) اللَّاحِي : اللَّائِمُ .
- (٣) الْبَادِرَةُ مِنَ الشَّرِّ : أَوَّلُ مَا يَبْدُرُكَ مِنْهُ (الْجَمْعُ بَوَادِرُ) .
- (٧) الرَّغْبُ مِنْ : رَغَبَ إِلَيْهِ رَغْبًا : تَضَرَّعَ وَسَأَلَ .
- (٩) لَيْلِي (انْظُرْ : جَوَّ الْقَصِيدَةِ) .
- (١٠) الْمِينُ : الْكَذْبُ ، وَالْجَمْعُ مَيُونُ .
- (١٢) دَاءٌ غِيَاءٌ : صَعَبٌ لَا دَوَاءَ لَهُ أُعِيَتْ الْأَطْبَاءُ مَدَاوَاتِهِ .
- (١٣) الْوَصَبُ : الْمَرَضُ وَالْوَجَعُ الدَّائِمُ وَالْجَمْعُ أَوْصَابُ .
- (١٦) أَنْشَرَ اللَّهُ الْمَيِّتَ : أَحْيَاهُ .

- (١٨) الكيمياء : الإكسير ، أو : دواءٌ يُحْمَلُ على معدنيٍّ فيُجْرِيه في الفلك الشمسي (الذهب)
أو القمري (الفضة) . وهي محاولاتهم الطويلة لتحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة !
(٢٣) الطير المُرَّ : الذي يصوت أصواتاً شجية (حزينه) .

[٨]

وقال أيضاً يَسَـطُّ قصيدةَ الشَّيْخ الصوفي شهاب الدِّين أبي عبد الله بن
الحَيَمي (*) رضي الله عنه ورحمه :

[من البسيط]

- ١ منكَ التَّجَلِّي وَمِنَّا السَّـرُّ والحُجُبُ وكلُّ نَعْمَى فَمِنْ عَليـاكَ تُرْتَقِبُ
وَأَنْتَ أَنْتَ الـَّذِي أَتَغَيُّ وَأَطْلُبُ يا مَطْلُباً لَيْسَ لي في غَيرِهِ أَرْبُ
إِلَيْكَ آلَ التَّقْصِي وَأَنْتَهِى الطَّلَبُ (☆☆)
- ٢ يا حاضِراً سِرُّهُ عِنْدِي ، وَفِيَّ ، وَمَعِي أَغَيَّرَ ذِكْرَكَ أُمْلِي أَمْ سِـوَاهُ أَعْيِي
تَاللهِ مَارَاقَ عَيْنِي حُسْنُ مُرْتَبِعٍ وَلَا طَمَحْتُ لِمَرَأَى أَوْ لِمُسْتَمْعٍ
إِلَّا لِمَعْنَى إِلَى عَليـاكَ يَنْتَسِبُ
- ٣ لَقَدْ أَبَى فَيْكَ صَبْرِي أَنْ يُجَالِمَنِي وَجَلَّ فَيْكَ غَرَامِي أَنْ يُشَاكِلَنِي
وَدَدْتُ أَرْدَى وَلَكِنْ لَنْ تُعَاجِلَنِي وَمَا أَرَانِي أَهْلاً أَنْ تُوَاصِلَنِي
حَسْبِي غُلُوءاً بِأَنِّي فَيْكَ مُكْتَسِبُ
- ٤ يا عِزَّةَ الْعَبْدِ بَيْنَ الذُّلِّ وَالرَّهَبِ وَرَاحَةَ الصَّبِّ بَيْنَ الْجَهْدِ وَالنَّصَبِ
حَسْبِي مِنَ الْوَصْلِ أَنِّي لَسْتُ ذَا طَلَبٍ لَكِنْ يُنَازِعُ شَوْقِي تَسَارَةً أَدْبِي
فَأَطْلُبُ الْوَصْلَ لَمَّا يَضْعُفُ الْأَدَبُ
- ٥ هَا فَارْمُقُونِي تَرَوَا صَبّاً بَلَا رَمَقٍ مُقَسِّمَ الدَّهْرِ بَيْنَ الْوَجْدِ وَالْحَرَقِ
فَالْيَوْمَ فِي وَلَهٍ وَاللَّيْلُ فِي أَرْقٍ وَلَسْتُ أَبْرَحُ فِي الْحَالَيْنِ ذَا قَلَقٍ
نَامَ وَشَوْقٍ لَهُ فِي أَضْلَعِي لَهَبُ

- ٦ أَيْنَ التَّجْلُدُ؟ مَا لِلْقَلْبِ ضِيَعَةٌ؟ مِنْ مُنْصِفِي مَنْ فُوَادٍ خَانَ أَضْلَعَهُ
وَمِنْ ضَمِيرِ أَبَانَ الشُّوقِ مُودَعَهُ وَمَدْمَعٍ كُلَّمَا كَفَكَتْ أَدْمَعَهُ
صَوْنًا لِحَبِّكَ تَعْصِينِي وَتَنْسَكُبُ
- ٧ هَلْ مِنْ صَدِيقٍ لِنَجْوَى أَوْ مَكَاتِمَةٍ أَمَّا الْعَزَاءُ فَقَدْ وَفَى مُصَارِمَتِي
حَسْبِيَ الْأَسَى لِخُلُوءِي أَوْ مُنَادِمَتِي وَيَدْعِي فِي الْهَوَى دَمْعِي مُقَاسِمَتِي
وَجُدِي وَحُزْنِي وَيَجْرِي وَهُوَ مُخْتَضِبُ
- ٨ هِيَاهُ غَصَّ بِطَعْمِ الطَّعْنِ مَنْ نَجَلَا وَأَشْعَلَ الْوَجْدَ مَنْ فِي قَلْبِهِ اشْتَعَلَا
أَيُّنَ التَّثَلُّ مِمَّنْ قَدْ غَدَا مَثَلَا كَالطَّرْفِ يَنْزَعُمُ تَوْحِيدَ الْحَبِيبِ، وَلَا
يَزَالُ فِي لَيْلِهِ لِلنَّجْمِ يَرْتَقِبُ
- ٩ مَالِي وَمَا لِفُوَادٍ إِنْ أَرْضُهُ عَسَا وَخَاطِرِي كُلَّمَا غَرَّبَتْهُ أَنْسَا
وَمَدْمَعٍ كُلَّمَا كَفَكَتْهُ انْتَبَجَسَا يَا صَاحِبِي قَدْ عَدِمْتُ الْمُسْعِدِينَ (فَسَا
عِدْنِي) عَلَى وَصَيِّ، لَا مَسَّكَ الْوَصَبُ!
- ١٠ يَا حَادِيَ الْعَيْسِ رَفَقًا فِي السُّرَى بِهِمْ هُمْ بَقَايَا جُومٍ فَوْقَ مِثْلِهِمْ
وَأَنْتَ أَيْضًا وَقَاكَ اللَّهُ مِنْ أَلَمِ بِاللَّهِ إِنْ جِئْتَ كُثْبَانًا بِذِي سَلَمِ
قِفْ بِي عَلَيْهَا وَقُلْ لِي: هَذِهِ الْكُثْبُ!
- ١١ وَلِتُنْزِلْنِي لِي لَدَيْهَا لَا ضَلَّتْ سُرَى وَسِرٌّ بَرَحْلِي وَذَرْنِي أَنْسَدْبُ الْأَثَرَا
أُغْفِرُ الْخَدَّ بَيْنَ التُّرْبِ مُنْكَسِرَا لِيَقْضِيَ الْخَدُّ فِي أَجْرَعِهَا وَطَرَا
مَنْ تُرْبَهَا وَيُؤَدِّي بَعْضَ مَا يَجِبُ
- ١٢ يَا صَاحِبَ الْقَلْبِ لَا يَصْحُو لِلْإِيْمَةِ بِاللَّهِ إِنْ مَلَتْ مِنْ نَجْدٍ إِلَى سَمَةِ
عَارِضُ صَبَاها لِتَشْفِينِي بِنَاسِمَةِ وَمِلْ إِلَى الْبَانَ مِنْ شَرْقِي كَاطِمَةِ
فَلِي إِلَى الْبَانَ مِنْ شَرْقِيهَا طَرَبُ
- ١٣ قُلْ أَيَّ مَغْنَى زَكَتُ فِي الطَّيِّبِ تُرْبَتُهُ تَحْدُو النُّفُوسَ لِلْقِيَاهُ مَحَبَّتُهُ
وَتَزْجُرُ اللَّحْظَ عَنْ مَرَأَةٍ رَهْبَتُهُ أَكْرُمُ بِهِ مَنْزِلًا تَحْمِيهِ هَيْئَتُهُ
عَنِّي وَأَنْوَارُهُ، لَا السَّمَرُ وَالْقَضُّ

- ١٤ إِيهِ خَلِيلِي بِوُدِّي فِيكَ لَا نَبِذَا شِمُّ ذَا الْبَرِيقِ وَخَذْ بِي حَيْثُ مَا أَخَذَا
وَحَاذِهِ فَهُوَ مِنْ آمَالِنَا بِحِذَا وَمِلَّ يَمِينًا لِمَغْنَى تَهْتَدِي بِشَذَا
نَسِيهِ الرُّطْبِ إِنْ ضَلَّتْ بِكَ النُّجُبُ
- ١٥ فَازَتْ نَفُوسٌ قُبَيْلَ الْعِيسِ قَدْ ظَنَنْتُ وَشَاهَدَتْ حُسْنَ مِنْ تَشْتَاقِهِ وَدَنْتُ
أَحِبُّ لِقَلْبِي بِمِثْوَاهَا لَقَدْ أَمِنْتُ فِيهِ عَاهَدْتُ قِدَمًا حُبٌّ مِنْ حَسْنَتُ
بِهِ الْمَلَاخَةُ وَاعْتَرَّتْ بِهِ الرُّتَبُ
- ١٦ خَاطِرُ بِنَفْسِكَ فَالْبَلَوَى تُمَخَّضُهَا كَالِ ذَاتِكَ فِي الْعُلْيَا تُعَرِّضُهَا
حَيْثُ الْمُحَاسِنُ أَجْلَاهَا وَأَغْمَضُهَا حَيْثُ الْهَضَابُ وَبَطْحَاهَا يُرَوِّضُهَا
دَمْعُ الْمُحِبِّينَ لَا الْأَنْدَاءُ وَالسُّحُبُ
- ١٧ مَنْ لِي وَأَحْلَى أَمَانِي الْحُبُّ أَكْذَبُهَا بِأَنْ يُسَاعِدَ نَفْسِي فِيهِ مَآرِبُهَا
فَيَنْتَهِي الْوَجْدُ أَوْ يَرْضَى مُعَذِّبُهَا دَغْنِي أَعْلَلْ نَفْسًا عَزَّ مَطْلَبُهَا
فِيهِ وَقَلْبًا لِعَذْرِ لَيْسَ يَنْقَلِبُ
- ١٨ يَا مَانِحَ الْعَتَبِ وَالْإِنْصَافِ يُعْتَبُهُ لَمْ تَذَرَنَّ عَنَاءَ الصَّبِّ مَطْلَبُهُ
دَعْنِي فَبِالْقَلْبِ بَدَّرَ عَزَّ مَرْقَبُهُ دَانٍ وَأَذْنِي وَعِزُّ الْحُسْنِ يَخْجِبُهُ
عَنِّي، وَذُلِّي وَالْإِجْلَالُ وَالرَّهْبُ
- ١٩ تَوَلَّاهُ الصَّبُّ حَلِيٌّ فَوْقَ حَلِيَّتِهِ فَمَنْ لِحَاةٍ نَهَاءَهُ عَنْ سَجِيَّتِهِ
إِنَّ الَّذِي صَانَ قَلْبِي فِي طَوِيَّتِهِ أَحْيَا إِذَا مِتُّ مِنْ شَوْقِي لِرُؤُوسِهِ
فَإِنِّي لِهَوَاةٍ فِيهِ مُنْتَسِبُ
- ٢٠ هَلْ لِلْمُحِبِّ سُرُورٌ بَعْدَ تَرْحَتِهِ آهِ لَوْجِدٍ كَوَى صَدْرِي بِلَفْحَتِهِ
جِسْمٌ تَفَانَى وَقَلْبٌ رَهْنٌ قَرَحَتِهِ وَلَسْتُ أَعْجَبُ مِنْ حُبِّي وَصِحَّتِهِ
مَنْ صِحَّتِي إِنَّمَا سَقَمِي هُوَ الْعَجَبُ!
- ٢١ اللَّهُ لِحَقَّةٍ حَسَنِ صَحَّ مُذْنَفُهَا سَرَتْ بِقَلْبِي فَتَصْرِيفِي تَصَرَّفُهَا
قَدْ مِتُّ عَنْهَا وَلَكِنْ لَسْتُ أَنْصِفُهَا وَالْهَفُّ نَفْسِي لَوْ يُجْدِي تَلَهُّفُهَا
غَوْنًا، وَوَاحِرِي لَوْ يَنْفَعُ (الْحَرْبُ)

٢٢ يا لَيْتَ شِعْرِي فِي دَهْرِي مُخَالَفَةً هَلْ مِنْهُمْ لِي قُرْبَى أَوْ مُعَاطَفَةً
أَوْ رَحْمَةً أَوْ خُنُوًّا أَوْ مُلَاطَفَةً يَمْضِي الزَّمَانُ وَأَشْوَاقِي مُضَاعَفَةً
يا للرجالِ ولا وَصْلٌ ولا سَبَبُ !

٢٣ لو كُنْتَ لِلْوَصْلِ أَهْلًا مَا تَرَكْتَ سُدَى كَمْ مُدْعٍ وَهُوَ فِي دَعْوَاهِ قَدْ جَحَدَا
مَا كُلُّ نُورٍ تَبَدَّى لِلْعُيُونِ هَدَى يَا بَارِقًا بِأَعَالِي الرِّقَّتَيْنِ بَدَا
لَقَدْ حَكَيْتَ وَلَكِنْ فَاتَكَ الشَّبَبُ

٢٤ آهِ لِنَارِ عَلَى الْأَحْشَاءِ ضَارِمَةٍ بِاللَّهِ رِيحَ الصَّبَا حَيِّيْ بِنَاسِمَةٍ
تُحْيِي ذِمًّا مُهْجَةً لِلْبُعْدِ هَائِمَةٍ وَيَا نَسِيًّا سَرَى مِنْ جَوِّ كَاطِمَةٍ
بِاللَّهِ قُلْ لِي كَيْفَ الْبَانُ وَالْغَرْبُ ؟

٢٥ إِيَّاهُ فَدَاكَ مُجِبُّ لَيْلَةٍ يَقْطُ كَيْفَ الْأَحْبَةُ هَلْ رَاعُوا وَهَلْ لَحَظُوا
مُحِبُّهُمْ : فَرَضُوا قُرْبَاهُ أَمْ لَفَظُوا وَكَيْفَ جِزَّةُ ذَاكَ الْخَيِّ هَلْ حَفِظُوا
عَهْدًا أَرَاعِيهِ إِنْ شَطُّوا وَإِنْ قَرَّبُوا ؟

٢٦ يَا سَعْدُ وَالْقَلْبُ لَمْ يُسَعِدْهُ غَيْرُهُمْ تَرَاهُمْ - وَبَطِيَّ الصَّدْرِ سِرُّهُمْ -
رَعَوْا مَعْنَى بِهِمْ أَضْنَاهُ هَجَرَهُمْ أَمْ ضَيَّعُوا وَمُرَادِي مِنْكَ ذِكْرَهُمْ
هُمْ الْأَحْبَةُ إِنْ أَعْطَوْا وَإِنْ سَلَبُوا

٢٧ هُمُ الْمُلُوكُ وَإِنِّي عَبْدٌ مَجْدِهِمْ حَسْبِي غُلًّا أَنَّنِي صَبٌّ بِوُدِّهِمْ
مَا قَدَرْتُ مِنْعِهِمْ فِي جَنْبِ رِفْدِهِمْ إِنْ كَانَ يُرْضِيهِمْ إِبْعَادُ عَبْدِهِمْ
فَالْعَبْدُ مِنْهُمْ بِذَاكَ الْبُعْدِ مُقْتَرِبٌ

٢٨ نَحْنُ الْمُحِبِّينَ لَانْعَزَى إِلَى طَلَبِ رَضَى الْأَحْبَةِ عَنَّا غَايَةَ الْأَرْبِ
إِنْ كَانَ وَصْلُهُمْ تِهْنًا مِنَ الطَّرِبِ وَالْهَجْرُ إِنْ كَانَ يُرْضِيهِمْ بِلا سَبَبِ
فَإِنَّهُ مَنْ لَذِيذِ الْوَصْلِ مُحْتَسِبُ !

٢٩ مَا خَيَّبُوا قَطُّ حَاشَاهُمْ مُؤْمَلُّهُمْ قَلْبِي بِهِمْ أَهْلٌ لَا زَالَ مَنْزِلُهُمْ
إِنْ أَظْهَرُوا الْحُسْنَ لَمْ أَغْفَلْ تَأْمَلُهُمْ وَإِنْ هُمْ احْتَجَبُوا عَنِّي فَلَا لَهْمُ
فِي الْقَلْبِ مَشْهُودَ حُسْنٍ لَيْسَ يَنْحَجِبُ

- ٣٠ حَسْبُ الْمُتَمِّمِ أَنْ يَحْدُو مَحَجَّتَهُمْ فَقَدْ أَقَامَ الْعُلَا وَالْعِزُّ حُجَّتَهُمْ
بَدُورٌ تَمَّ أَبَانَ الصَّدَقِ لَهَجَتَهُمْ قَدْ نَزَّهَ اللَّطْفُ وَالْإِشْرَاقُ بَهَجَتَهُمْ
عَنْ أَنْ تُمْنَعَهَا الْأَسْتَارُ وَالْحُجُبُ
- ٣١ هُمُ الْأَهْلُ لَا تَخْفَى لِمُرْتَقِبٍ أَدَارَهُمْ فَلَيْكَ الْعُلَا عَلَى قُطْبٍ
تُرْبِي مَحَاسِنُهُمْ عَدًّا عَلَى الشُّبِّ مَا يَنْتَهِي نَظْرِي مِنْهُمْ إِلَى رُتَبٍ
فِي الْحُسْنِ إِلَّا وَلاَحَتْ فَوْقَهَا رُتَبُ
- ٣٢ كَالْ كُـ لِّ جَمَالٍ مِنْ كَالِهِمْ وَسِرُّ كُلِّ عِلَاءٍ مِنْ جَلَالِهِمْ
كُلُّ الْقُلُوبِ هَيَامِي فِي خِلَالِهِمْ وَكُلُّهَا لَاحَ مَعْنَى مِنْ جَمَالِهِمْ
لَبَّاهُ شَوْقٌ إِلَى مَعْنَاهُ يَنْتَسِبُ
- ٣٣ كَمْ ذَا أَوْرِي وَكِتَانُ الْهُوَى نَصَبُ خَيْرُ الْوَرَى مَقْصِدِي وَالصُّحْبَةُ النَجَبُ
مَالِي - وَحَقَّهُمْ - فِي غَيْرِهِمْ أَرَبُ أَظْلُ دَهْرِي وَلِي مِنْ حُبِّهِمْ طَرَبُ
وَمَنْ أَلِيمَ اشْتِيَاقِي نَحْوَهُمْ حَرَبُ

(٥٦) شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن الخيمي ، الأنصاري ، اليميني الأصل ، المصري الدار .
قال ابن شاكِر في ترجمته (فوات الوفيات ٤٥٨/٢ - ٤٦٩) : إنه كان المُقَدِّم على شعراء
عصره ، وعانى الخدمة الديوانية ، وبارش وقف مدرسة الشافعي وغيره ، ووصفه بالأمانة
والمعرفة ، وبالهدية والذكاء . وقال عن شعره « إنه في الذروة » . وكانت وفاة ابن الخيمي
في القاهرة سنة ٦٨٥ عن اثنتين وثمانين سنة . وانظر شذرات الذهب ٣٩٣/٥ ، والوافي
بالوفيات ٥٠/٤ و Brock. (GAL) 1. 466 .

ووجدتُ في مقدمة ديوان ابن الفارض خبراً ملخصه أن الشيخ شهاب الدين السهروردي
شيخ الصوفية حج سنة ٦٢٨ ولقي ابن الفارض ؛ قال وَلَدُ ابن الفارض : « فاستأذن
السهروردي والدي أن يلبسني ويلبس أخي عبد الرحمن خِرقة الصوفية على طريقته فلم
يأذن له ، وقال له : ليست هذه طريقتنا ؛ فلم يزل يُعاوده إلى أن أذن له . فلبستُ منه أنا
وأخي ، ولبس معنا بإذن والدي رضي الله عنه أيضاً شهاب الدين بن الخيمي وأخوه
شمس الدين ، فإنهما كانا عند والدي في منزلة الأولاد » . ديوان ابن الفارض بشرح البوريني
والنابلسي (مصر ١٣٠٦) ص ١١ .

(☆☆) قصيدة ابن الخيمي في فوات الوفيات ٤٥٩/٢ - ٤٦١ . والوافي بالوفيات ٥١/٤ - ٥٣ . ولها قصة طريفة ، وفيها أن (نجم الدين بن إسرائيل) حجَّ فرأى ورقة ملقاة فيها القصيدة التي لابن الخيمي البائية فادّعاها . واجتمع الشاعران بحضرة جماعة من الأدباء ، وجرى الحديث ، فتحاكما إلى شرف الدين بن الفارض ، فسألها أن ينظما على الوزن والروي ، فنظم ابن الخيمي قصيدته :

لله قومٌ بجرعاء الحمى غُيبَ جَنَوْا عَلَيَّ ولما أنْ جَنَوْا عَتَبُوا
ونظم ابن إسرائيل :

لم يَقْضَ من حَقِّكم بعض الذي يَجِبُ صَبَّ مَتَى ما جَرَتْ ذِكْرَاكُمْ يَجِبُ
فلما وقف عليهما ابن الفارض حكم لابن الخيمي .

وتقل المقرئ في نفح الطيب (٢٦٢/٥) ملخصاً للخبر عن جده المقرئ الكبير ، عن أبي حيان الأندلسي ، عن ابن الخيمي ، ولكنه سَمَّاهُ ثمة (عمر بن الخيمي) . وانظر أيضاً النفح ٦١٩/٢ . وقال الصَّفْدي في الغَيْثِ المُسْجَم ١٧٨/١ : « أخبرني الشيخ الإمام الكامل القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود قال : قلت للشيخ نجم الدين بن إسرائيل : لأيِّ شيء قَصَّرَ قولك :

لَكَدْتَ تُشَبِّه بَرَقاً من تُغَوِّرِهِم يا دُرَّ دَمْعِي لولا الظِّلُّمُ والشَّنْبُ
عن قول ابن الخيمي :

يا بارِقا بأعالي الرُّقْمَتَيْنِ بَدَا لَقَدْ حَكَيْتَ وَلَكِنْ فَاتَكَ الشَّنْبُ ؟
فقال : لأنه شاعر جيّد تناول معنى بَكَراً فأجاد فيه ولم يدع فَضْلَةً لغيره . »

ونجم الدين هذا هو : محمد بن سوار بن إسرائيل ، أبو المعالي ، الشاعر المشهور . ولد بدمشق وبها توفي سنة ٦٧٧ عن أربع وسبعين سنة . وله ترجمة في الفوات ٤٣١/٢ ، والشذرات ٣٥٩/٥

[٨]

جَوَّ النَّصِّ :

في أصل المؤلف : وقال أيضاً يَحْمَسُ ، وفي الحاشية بخط المؤلف عندها : يَسْمَطُ . والمُسْمَطُ من الشعر : أشطارٌ من الشعر : لكل أربعة أو خمسة (أو أكثر) قافية مشتركة ثم تحيء الأخيرة بقافية أخرى . وهذه القافية الأخيرة تستمر مع المسطوب إلى آخرها (فكأنها قافية القصيدة) وأكثر التسميط مُحَمَّس (أربعة أشطار بقافية وخامس بقافية مخالفة) . ويكون

التسميط من شعر الشاعر ، وقد يسمط قصيدة غيره ، فيجيء بثلاثة أشرطة (في التسميط الخمس) من نظمته ثم يعقب بيت من أبيات القصيدة . وتكون أشرطة الثلاثة كل مرة موافقة لقافية صدر البيت . كالذي نراه في تخميس ابن خاتمة لقصيدة ابن الخيمي .
وقصيدة ابن الخيمي في ٣٢ بيتاً في الوفيات والوافي ، وهي في تخميس ابن خاتمة في ٣٣ بيتاً ؛ والزيادة بيت بين ١٨ و ١٩ .

وقصيدة ابن الخيمي من الشعر الوجداني الصوفي الرقيق ، البعيد عن غلو الصوفية المعهود وعن إشاراتهم الشاقة . والشاعر يستلهم نفحات نجدية وحجازية بألفاظ عذبة وعبارات مشرقة ، مناسبة ؛ وكأنها بسط لمشاعر الحبة عند شعراء الغزل العذري .
وقد جرى ابن خاتمة الأندلسي صاحبه ابن الخيمي المشرقي في سلوكه ونسج على منواله ، فخرج النص منسجماً بعضه إلى بعض ؛ في غاية الخفة والرقّة والعذوبة .

[٨]

الشروح :

- (٢) لم يرد بيت ابن الخيمي في فوات الوفيات . وفي الوافي : وما طمحت لمراى ...
- (٦) في ط : من منصفى من ردي .
- وفي فوات الوفيات : كلما كفكفت صييه .
- وفي ط : صوناً لحكمك . وفوقها إحالة على الحاشية بخط مرسوم ، ولم يظهر في الصورة كلام على حاشية الكتاب . وفي الوافي والفوات : صوناً لذكرك .
- (٧) في الوافي : فيجري وهو مختضب .
- (٨) يقال : نَجَلَه بالرُمح : طعنه فأوسع شقه ؛ والطعنة نجلاء .
- (٩) في ط : مالي ولفؤادي ... وخاطري .
- وراض المهرّ رياضاً ورياضة : ذلله . وعسا الشيء عسوّاً وعساءً : ييس واشتدّ وصلّب .
والوصبُ : المَرَض .
- (١٠) في الفوات والوافي : إن جزت .
- (١١) في ط ، والفوات والوافي : أجراءها . وفي الأصل المخطوط : أجرعها .
وفي كتب اللغة : الأجرع : المكان الواسع فيه خُسونة وحزونة . والأجارع جمع الأجرع : وهي الرملة المُنبتة لا وعوثة فيها ، والأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل .

(١٢) في النصّ عدد من أسماء المواضع في الجزيرة العربية : البان : موضع ، وهو من عن يمين طريق المُصْعِد من الكوفة على ميل من أفيعيه وأفاعية ؛ وكاظمة على سيف البحر (ساحله) من طريق البحرين من البصرة ؛ بينها وبين البصرة مرحلتان وهي اليوم في الكويت . ونَجْد : معروف . وسمة ؟

(١٣) في ط : زكت في اللطف .

(١٤) في الفوات والوافي : وخذ يميناً .

- والنُّجْبُ جمع النَّجِيب وهو الحسيب الكريم (والجمع أنجاب ونجباء ونُجب) . وناقاة نجيب والجمع نجائب . وفي الأساس : له نجيبة ونجائب ونُجب .

(١٥) في ط : قطعت .

- وفي الفوات والوافي : عاينت قدماً .

(١٦) في الفوات : حيث الرُّضاب . وفي الوافي : الأنواء والسُّحب .

(٢٠) في الفوات والوافي : « من حَبَّه إنا » . وهو معنى قول الشاعر :

تعجبين من سَقَمِي صِحَّتِي هِيَ الْعَجَبُ !

(٢١) في الفوات والوافي : لو أجدى .

- وفي الأساس : « وقد حَرِبَ ماله أي سَلَبَه (بالبناء للمجهول) ومنه : واويلاه وواحرَباه » .

(٢٢) الرَّقَّتَانِ تشية الرِّقَّة . وهما موضعان . وقد ذكرهما الشعراء .

- الشَّنْبُ : ماء ورقّة وعنوبة في الأسنان .

(٢٤) الذِّمَاءُ (وسهّلها الشاعر فحذف الهمزة) بَقِيَّةُ النَّفْسِ أو قوّة القلب . وفي الصحاح : الذمء : بقية الروح في المذبوح .

- والبان : شجر لحبه دهنٌ طيب . والغَرَبُ : شَجَرٌ تُسَوَّى منه الأقداح البيض .

وفي الفوات والوافي : البان والعَذْبُ .

(٢٨) هذا قريب من معنى قول أبي الطيب :

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا فلا لجرح إذا أرضاكم أثم !

(٢٩) في الفَوَات والوافي : يحتجب .

(٣٠) المحجّة : جادة الطريق .

(٣٢) الخِلال جمع الخَلَّة وهي الخَصْلَة .

- وفي الفوات والوافي : منتسب .

[٩]

وقال أيضاً مُسَمَّطاً : [من الطويل]

- ١ وعاذلة في الحبِّ أَرَى بها الجَهْلُ تُسَفِّهَ تَجْرِي حِينَ لم تَدْرِ ما الفَضْلُ
إِلَيْكَ فَمَا عَقْلٌ تَخَادِعُنْهُ عَقْلُ شَرَى وَصَلِهِم بِالرُّوحِ عِنْدِي لَا يَغْلُو
فَلَا لَوْمَ يَسْلِي عَنْهُمْ لَا وَلَا عَذْلُ
- ٢ وَكَيْفَ بَأْنُ أَصْغِي لِلْوَمِّ عَلَيْهِمْ وَكُلُّ نَعِيمٍ أَرْتَجِي فِي يَاسٍ دِيْهِمْ
وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعَيْشَ غَضًّا لَدَيْهِمْ خَرَجْتُ عَنِ الدُّنْيَا فَقِيراً إِلَيْهِمْ
وَفِي حُبِّهِمْ لَا مَالٌ يَبْقَى ، وَلَا أَهْلُ
- ٣ بِحَسْبِي أَنْ أُمْسِيَ رَهِيناً بِضَيْرِهِمْ وَلَا أَرْتَجِي خَيْراً سِوَى نَيْلِ خَيْرٍ
يَقُولُونَ : جَارُوا ! قُلْتُ : أَرْضَى بِجَوْرِهِمْ فَلَا تَحْسِبُوا مِنِّي فَرَاغاً لِغَيْرِهِمْ
فَعَنْ كُلِّ شُغْلٍ عِنْدَ قَلْبِي لَهُمْ شُغْلُ
- ٤ رَضِيتُ بَأْنِ أَقْضِي هَوَاهُمْ تَعَلُّلاً وَلَا يَهْتَفِ الْعُذَالُ أَنِّي مِنْ سَلَا
أَمْثَلِي يَرْضَى أَنْ يَنْكَبَ عَنْ عُلَا دَعَوْنِي عَلَى أَبْوَابِهِمْ مُتَذَلِّلاً
فَمِنْ بَعْدِ عِزِّي لَذَّ لِي فِيهِمُ الذُّلُّ
- ٥ هُمْ الدِّينُ وَالدُّنْيَا وَحَسْبُكَ خَلَّةٌ كُسِيتُ بِهِمُ لِلرَّقِّ أَشْرَفَ حُلَّةٌ
بِهَا قَامَتِ الْأَكْوَانُ نَحْوِي تَجَلَّةٌ وَأَعْجَبُ مِنِّي كَلَمًا زِدْتُ ذِلَّةً
إِلَيْهِمْ أَرَى فِي النَّاسِ قَدْرِي بِهِمْ يَغْلُو !
- ٦ هُمْ سُؤْلُ قَلْبِي لَسْتُ أَبْغِي سِوَاهُمْ وَإِنْ طَمَّ بِالْعُشَاقِ بَحْرُ جَوَاهُمْ
رَضِيتُ بِحَالِي قُرْبَهُمْ وَنِوَاهُمْ فَمَا شَاءَ فَلْيَحْكُمْ عَلَيَّ هَوَاهُمْ
فَفِيهِ تَسَاوَى الْجَوْرُ عِنْدِي وَالْعَدْلُ

- ٧ أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ سَبِيلَ لِقَرَبِهِمْ تَهَافَّتْ؛ حَسْبِيَ أَنْ أَمُوتَ جَوَى يَهُمْ
فَأَعْظَمُ قَدْرِي أَنْ أَكُنِّي بِصَبِّهِمْ تَحَيَّرْتُ لِمَا اخْتَرْتُ مَازَهَبَ حُبِّهِمْ
تَحْيِيرُ صَبٍّ هَجَرَهُمْ عِنْدَهُ وَصَلْ!
- ٨ حُرِمْتُ وَفَاءً فِي الْهَوَى إِنْ أَخْنُتُهُمْ خَضَعْتُ لَهُمْ لَمَّا بَدَا الْعِزُّ مِنْهُمْ
خُضُوعٌ مُعْنَى رُوحَهُ مِنْ لَدُنْهُمْ وَقُلْتُ لِقَلْبِي: أَيْنَ تَزْهَبُ عَنْهُمْ؟
وَمَا دُونَهُمْ مَاءٌ يَطِيبُ وَلَا ظِلٌّ
- ٩ أَيَا سَائِقَ الْوَجْنَاءِ يَرْمِي (مِنِّي) بِهَا ثَنَتْ عِطْفَهُ ذِكْرَى مَعَاظِفِ قُضْبِهَا
أَلَوْكَتْ صَبٌّ ضَاقَ ذَرْعاً بِرَحْبِهَا بَعِثْكَ إِنْ وَافَيْتَ نَجْدًا فَقِفْ بِهَا
فَإِنَّ بِهَا مَنْ قَدْ أَحَلَّوْا دَمِي حَلًّا
- ١٠ وَسَلَّمْ عَلَى ضَالٍ هُنَاكَ أَظْلَمَهُمْ تَرَفُّ عَلَيْهِ السُّحْبُ تَكْرِمَةً لَهُمْ
وَعَرَّضْ لَهُمْ بِأَسْمِي عَسَاهُمْ وَعَلَّهُمْ وَحَدَّثَهُمْ عَنِّي حَدِيثًا وَقُلْ لَهُمْ
بِأَنِّي عَنْهُمْ مَاسَلُوتٌ وَلَا أَسْلُو؟
- ١١ أَحْبَابَ قَلْبِي هَلْ يُفَكُّ أَسِيرُكُمْ أَضَرَّتْ بِي الْبَلَوَى فَكَمْ أَسْتَجِيرُكُمْ
لَقَدْ عَيْلَ صَبْرِي وَاسْتَمَرَّ مَرِيرُكُمْ مَتَى يَا عَرِيبَ الشَّعْبِ يَأْتِي بِشِيرُكُمْ
فَتَسْكُنَ أَشْوَاقِي وَيَنْتَظِمَ الشَّمْلُ؟
- ١٢ وَعَيْشِكُمْ مَا هَكَذَا حَقٌّ عَذْلِكُمْ أَهْيَمُ وَمَجْرَى النَّيْلِ فِي فَيْءِ ظِلِّكُمْ
هَبُّوا الْحَقَّ هَجْرِي أَيْنَ سَابِغُ فَضْلِكُمْ؟ صَلُّونِي - عَلَى مَا بِي - فَإِنِّي لِرِوَصْلِكُمْ
إِذَا لَمْ أَكُنْ أَهْلًا، فَأَنْتُمْ لَهُ أَهْلُ!

[٩]

الشروح :

(١) النَّجْرُ وَالتَّجَارَةُ بِمَعْنَى : يُقَالُ : تَجَرَ يَتَجَر . وَيُقَالُ : شَرَاهُ يَشْرِيهِ شِرَى وَشَرَاءً ؛ بِالْقَصْرِ وَالْمَدَّة .

- وَفِي ط : الْعَيْشُ عَزًّا .

- (٢) ضاره يضوره ضوراً ، ويضيره ضيراً : ضَرَّه .
- (٦) السؤال والسؤلة : ماسألتة من شيء .
- (٧) ماتَ جَوَى : ماتَ من الوجد .
- (٩) الوجناء : الناقة الشديدة .
- (١٠) الضَّال : نوع من الشجر .
- (١٢) هام على وجهه : يهيم هيماً وهيئاً : ذهب من العشق أو من غيره . والهيام - بضم الهاء - أشدُّ العطش . والهيمُ : الإبل العطاش .

القسم الثاني

في النسيب والغزل

وقال أيضاً :

[من البسيط]

- ١ إذا أَتَيْتَ أَتَيْتَ لَاتِ الحِمَى قَفِيفٍ
 - ٢ فَتَمَّ مَعْنَى جَمَالٍ رَاقٍ رَوْنَقُهُ
 - ٣ قَامَتْ سَمَاءُ الْعُلَا مِنْهُ عَلَى عَمَدٍ
 - ٤ رَوْضٍ وَشْتُهُ يَدُ الْإِبْدَاعِ فَاثْتِظَمَتْ
 - ٥ قَدْ صَنَّفَ الْحُسْنَ مِنْهُ كُلَّ مُتَفَوِّقٍ
 - ٦ مَا شِئْتَ مِنْ قَمَرٍ سَعْدٍ وَمِنْ كَرَمٍ
 - ٧ وَفِي الْقِيَابِ ظِبَاءٌ زَانَهَا خَفَرٌ
 - ٨ مَا إِنْ يُرَامُ بغيرِ الْفِكْرِ مَكْنُسُهَا
 - ٩ يَغْشَاكَ دُونَ سَنَا أَقْصَارِ أَوْجُهِهَا
 - ١٠ فَمَا لِأَرَامِ ذَاكَ الْخِذْرِ مِنْ دَرَرٍ
 - ١١ وَرَوْضَةٍ قَدْ وَطِئْنَا مِنْ رِيَا حِنِهَا
 - ١٢ أَرَحْتَ عَلَيْنَا سُتُوراً مِنْ خِمَائِلِهَا
 - ١٣ وَلِلْغُصُونِ اعْتِنَاقٌ تَحْتَ ذَيْلِ صَبَا
 - ١٤ قَدْ سَاجَعَ الطَّيْرُ تَرْجِيعُ الْقِيَانِ بِهَا
 - ١٥ وَلِلْمَذَانِبِ فِي أَفْيَائِهَا نُطْفٌ
 - ١٦ خَلَعْتُ فِيهَا وَقَارِي فِي رِضَا قَمَرٍ
 - ١٧ أَجْرُ ذَيْلِ التَّصَايِي فِيهِ مُحْتَسِباً
 - ١٨ عَهْدُ أَنْسِ عَسَاهَا أَنْ تَعُودَ فَمَا
 - ١٩ لَهْفِي عَلَى زَمَنِ فِي ظِلِّهِ سَلَفْتُ
 - ٢٠ مَا أَقْدَرَ اللَّهَ أَنْ تُثْنِيَ أَعْنَتَهَا
 - ٢١ لَنْ مَحْتَهَا أَكْفُ الدَّهْرِ عَنْ بَصْرِي
- وَعُجْ يَمِيناً تَجَاهُ الرَّوْضَةِ الْإِنْفِ
عَلَيْهِ مَعْنَى جَلَالٍ وَاضِحُ الشَّرَفِ
وَاحْتَلَّ طَيْرُ الْمُنَى مِنْهُ عَلَى شَرَفِ
فِيهِ الْحَاسِنُ مِنْ بَدْءٍ إِلَى طَرْفِ
وَأَلَّفَ السَّعْدُ مِنْهُ كُلَّ مُخْتَلِفِ
رَغْدٍ وَمِنْ حَسْبٍ عِدٍّ، وَمِنْ تَرْفِ
تَسْتَوْقِفُ الطَّرْفَ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالْهَيْفِ
إِذْ قَدْ غَدَتُ مِنْ أَسْوَدِ الْغَابِ فِي كَنْفِ
أَشِعَّةٍ مِنْ شَبَا الْخَطِيئَةِ النَحْفِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ صِفَاحِ الْهِنْدِ فِي صَدْفِ
فُرْشاً وَظُلْنَا مِنَ الْإِظْلَالِ فِي لُحْفِ
قَدْ طُرِفَتْ بِأَفَانِينَ مِنَ الطَّرْفِ
نَسِيهَا كَاعْتِنَاقِ اللَّامِ وَالْأَلْفِ
وَسَاجَلِ الْقُضْبِ رَقْصُ الْأَعْطَفِ اللَّطْفِ
كَأَنَّا سَبَكْتُ مِنْ ذَائِبِ النُّطْفِ
قَدْ جَلَّ فِي الْحُسْنِ عَنْ نَقْصٍ وَعَنْ كَلْفِ
أَجْرِي بَرْدٌ عَذُولٍ فِيهِ مُعْتَسِفِ
أَتَمَّ حُسْنِئاً وَأَحْلَى إِنْ ذَكَرْتُ بِفِي
لَمْ يُبْقِ غَيْرَ عَقَايِيلٍ مِنَ الْأَسْفِ
فَيَشْتَفِي كَلْفَ الشَّقِيقِ فِي كَلْفِ
فَإِنَّ مَشْهَدَهَا فِي الْقَلْبِ غَيْرُ خَفِي

جَوَّ القصيدَة :

موضوع القصيدة : الغزل ، ولكنَّ الشاعر يدرج غرضه الأصلي على مهادٍ مُتَقَن الصُّنْع من وَصَف الطَّبِيعَة .

يَتَنَسَّم الشاعر نفحات عطرة من خلال الرموز البدويَّة ، فيقف عند أَثْنِيات الحمى ، ويعرِّج على الروضة الأنف وقد وشتها يد الإبداع ويسترسل في وصف ما يرى من منظر حسن (١ - ٦) حتى يصل إلى وصف حِسان مَصُونات زاهنَ الجِمالِ والخَفَر (٧ - ١٠) . ومن عادة الشعراء أن يذكروا جماعة الفتيات وُغَرَضهم واحدة - ويجاوزهنَّ الشاعر إلى الرياض مرَّة أخرى يجول فيها ويتنَّسَّم نسيها ويستظل في أفيائها (١١ - ١٦) ويتذكَّر منها أياماً طيِّبة كانت في الزَّمان الخالي (١٧ - ١٩) ، ويَرْجُو أن تعود حقيقة مرَّة أخرى ، وإن قال إن ذكرياتها ماثلة في قلبه ووجدانه (٢٠ - ٢١) .

شروح :

- (١) الأثْنِيات : تصغير الأثْلاث ، وهذه جمع الاثْلة ، واحدة الأثْل ؛ وهو نوع من الشجر . والروضة الأنف : التي لم يَرْعها أحد .
- (٣) الشرف : المكان العالي .
- (٧) الهَيْف : ضُور البطن ورقة الخاصرة .
- (٩) الشَّبَا جمع الشَّباة : حدَّ كل شيء . والخطيَّة : الرماح (المنسوبة إلى الخطّ) . وقوله : النُّحْف ، يريد : النُّحاف ؛ وفي كتب اللغة : نَحِيفٌ يَنْحَفُ نَحَافَة ؛ وهو منحوف ونحيف والجمع نحاف ونُحَفاء ، ومعنى نحف : هَزَل ، أو : قَلَّ لُحْمُه خِلْقَةً أو هُزْالاً .
- (١٠) يجمع الرَّم على أرَام ؛ وقلِّبوا فقالوا - أيضاً - آرام ؛ والرَّم : ولد الطَّيِّ .
- (١١) في اللسان : الريحان كل بَقْل (نبت) طيب الريح واحدته رَيْحانة ، والجمع ريّاحين .
- (١٢) الخيلة : الموضع الكثير الالتفاف حيث كان . والجمع : خائل .
- (١٤) رَجَّع الصَّوت : ردَّده في حَلْقَه .

- (١٥) الْمَذَانِبُ جَمْعُ مَذْنَبٍ : وَهُوَ الْجَدُولُ يَسِيلُ عَنْ رَوْضَةٍ بِمَائِهَا . وَالنُّطْفَةُ جَمْعُ النُّطْفَةِ : الْمَاءُ الصَّافِي . وَالنُّطْفُ فِي قَافِيَةِ الْبَيْتِ جَمْعُ نُطْفَةٍ (بَفَتْحِ الطَّاءِ) : اللَّوْلُؤَةُ الصَّافِيَّةُ .
- (١٦) الْكَلْفُ : نَمَشٌ يَغْلُو الْوَجْهَ (كَالسَّمِّ) ؛ ثَقْلُهُ الشَّاعِرُ إِلَى وَجْهِ الْبَدَنِ وَكَانُوا لَا يَسْتَحْسِنُونَهُ ؛ عَلَى أَنَّ ابْنَ زَيْدُونَ يَقُولُ :

كَأَنَّا أَثْبَتْتُ فِي صَحْنٍ وَجَنَّتْهُ زَهْرُ الْكَوَاكِبِ تَعْوِيذًا وَتَزِينًا
(انظر شرح ديوانه بتحقيقنا في دار الفكر) .

- (١٨) بَفِي : أَصْلُهَا بَفِيٍّ (بِفَمِي) وَخَفَّفَ الشَّدَّةَ (مِنْ الْيَاءِ) ضَرْوَةً .
- (١٩) الْعَقَائِيلُ (جَمْعُ الْعُقْبُولِ وَالْعُقْبُولَةُ) : بَقَايَا الْعَلَّةِ ، وَالْعَادَاةُ ، وَالْعَشَقُ .
- (٢٠) الْكَلْفُ : الرَّجُلُ الْعَاشِقُ ؛ وَالْكَلْفُ جَمْعُ الْكَلْفَةِ : الْمَشَقَّةُ .

[١١]

وقال أيضاً : [من الطويل]

- | | | |
|----|--|--|
| ١ | تَهَبُ نُسِمَاتُ الصَّبَا مِنْ رُبَا نَجْدٍ | فَيَنْفَحْنَ عَنْ طَيْبٍ وَيَعْبِقْنَ عَنْ نَدٍّ |
| ٢ | وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُنَّ يَجْلُنَ فِي | مَعَاهِدِنَا بَيْنَ الْأَثِيلَاتِ وَالرُّنْدِ |
| ٣ | هُنَاكَ الثَّرَى يُرْبِي عَلَى الْمَسْكِ طَيْبُهُ | وَدَوَحَاتُهُ تُزْرِي عَلَى الْعَنْبَرِ الْوَرْدِ |
| ٤ | مَعَاهِدُ نَهَوَاهَا وَتَهْوَى لِقَاءَنَا | بِهَا قَدْ مَضَى حُكْمُ الْعَفَافِ عَلَى الْوَدِّ |
| ٥ | عَلَى حِينٍ لَا وَاشٍ يَفْوَهُ بِرَيْبَةٍ | وَلَا عَاذِلٌ يَعْدُو وَلَا كَاشِحٌ يُعْدي ! |
| ٦ | أَخَذْنَا مَعَ الْأَيَّامِ فِيهَا مَوَاتِقًا | فَحَالَتْ وَمَا زِلْنَا كِرَامًا عَلَى الْعَهْدِ |
| ٧ | كَذَاكَ سَبِيلُ الدَّهْرِ نَقْضُ عَهْوِهِ | فَنَعْمَاهُ لِلْبَلَوَى وَلُقْيَاهُ لِلصَّدِّ |
| ٨ | أَلَا لَيْتَ شَعْرِي وَالْمُنَى غَايَةَ الْهَوَى | أَبْصِرْ نَجْدًا ، أَمْ أَحُلُّ رُبَا نَجْدٍ ؟ ! |
| ٩ | وَهَلْ أَنْتَقِعَنَّ مِنْ مَاءٍ ظُمِيَاءَ غَلَّةٍ | عَلَى كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى الْوَجْدِ ؟ ! |
| ١٠ | وَهَلْ أَنْزِلَنُ مِنْ حَيِّهَا - جَادَهُ الْحَيَا - | مَنَازِلَ قَدْ جَلَّتْ مَنَازِلُهَا عِنْدِي |
| ١١ | بِحَيْثُ الْقِبَابِ الْبَيْضِ وَالسُّمْرِ وَالطُّبَا | سَمَاءً وَأَنْوَارَ يُشْمَنُ عَلَى الْبُعْدِ |
| ١٢ | إِذَا مَا شَيَاطِينُ الْمُنَى طَفَنَ حَوْلَهَا | رَمَتْهَا رُجُومُ الْخَطِّ عَنْ ضَمْرِ جُرْدِ |

- ١٣ فَإِنْ خَفَّ خَطْوُ الْوَهْمِ عَنْ حَدِّ طَوْرِهِ
١٤ وَفِي الْقَبَّةِ الْبَيْضَاءِ بَيْضَاءٌ لَوْ بَدَتْ
١٥ تَطْلُعُ عَنْ صُبْحٍ مِنَ الْوَجْهِ نَيِّرٍ
١٦ تَقُولُ لَفَتِيَانِ التَّصَايِي إِلَيْكُمْ
١٧ إِذَا مَا الْوَعَى جَاشَتْ شَهْرُنَا عُيُونُنَا
١٨ حُرُوبُ الْهَوَى جَدَلْنَ كُلَّ مُجَالِدٍ
١٩ نَوَاهِدُهَا أَمْضَى طِعَاناً مِنَ الْقَنَا
٢٠ وَأَيْنَ ضِرَابُ السَّيْفِ مِنْ لَحْظٍ نَاطِرٍ
٢١ طَعِينُ الْقَنَا يُوسَى فَتَبَرَا كُلُّوْمُهُ
٢٢ وَمَخْضُوبَةُ الْكَفَيْنِ مَعْشُوقَةُ الْحُلَى
٢٣ نَهَانِي عَنْهَا عَذْلِي فَعَصَيْتُهُمْ
٢٤ حَرَامٌ عَلَى قَلْبِي غَرَامٌ بغيرها
٢٥ نَظَرْتُ إِلَى حُسْنٍ عَلَى خَدِّهَا، فَمَا
- فَتَمَّ سِهَامُ اللَّحْظِ مِنْ كَثْبٍ تُرْدِي
لَشَمْسِ الضُّحَى يَوْماً لِحَارَتْ عَنْ الْقَصْدِ
وَتَغْرُبُ عَنْ لَيْلٍ مِنَ الشَّعْرِ مُسَوِّدٍ
فِيْنَا - طِبَاءَ الْحِذْرِ - نَبْطِشُ بِالْأُسْدِ
صَوَارِمَ، وَالْقَامَاتُ كَالْأَسَلِ الْمُلْدِ
وَأَظْفَرْنَ رِيْمَ الْقَفْرِ بِالْأُسْدِ الْوَرْدِ
وَأَلْحَظْهَا أَنْكِي جِرَاحاً مِنَ الْهِنْدِ
وَأَيْنَ طِعَانُ الرُّمَحِ مِنْ قَائِمِ النَّهْدِ
وَلَيْسَ لِمَطْعُونِ النَّهْدِ سِوَى اللَّحْدِ!
بَدَتْ مِثْلَ بَذْرِ التَّمِّ فِي لَيْلَةِ السَّعْدِ
فِيَا غِيَّهِمْ فَمَا أَتَوْهُ، وَيَا رُشْدِي!
وَإِنْ جَلَّ مَا أَلْقَاهُ فِيهَا مِنَ الْوَجْدِ
وَجَدْتُ لِقَلْبِي فِي الْوَرَى عَنْهُ مِنْ بُدِّ

[١١]

جَوْ الْقَصِيدَةِ :

تبدأ هذه القصيدة الغزلية باستيحاء نفحات حجازية طيبة (١ - ٣) والكلام على ديار الأحبة التي يهفو إليها قلب الشاعر ، وعلى ذكرياتها العذبة أيام كان الزمان هاجعاً والعدول غائباً (٤ - ٧) ويظهر الحبيبة التي رمز لها باسم شعري قديم هو (ظُمِيَاء) من أسماء البدويات الأعرابيات (٩) ويتشوق إلى أيامها الخالية ومواطنها العبقّة بأريج الذكريات (٩ - ١٤) ويخرج إلى وصف جمال الفتاة وصفاً فيه تفصيل وتطويل (١٥ - ٢٢) ويذكر لوم اللائمين في هواها وإعراضه عنهم (٢٣) وإخلاصه نفسه لحبها مدى حياته (٢٤ - ٢٥) .

الشروح :

- (١) الندّ : عود طيب الرائحة يُتَبَخَّرُ به .
- (٢) الأثيلات وردت في القصيدة السابقة . والرّند : نبات طيّب الرائحة .
- (٥) الكاشح : المبغض ؛ والمضمر عداوة .
- (٦) حالت : تغيّرت .
- (٩) قع فلان من الماء : روي ؛ وقعه الماء : أرواه وأذهب غلّته . وظمياء : اسم فتاة (ينظر جوّ القصيدة) . وفي (ط) : ظمية .
- (١٠) جاده الحيا : دُعاء بالخير ، وأصله الدعاء بالمطر .
- (١١) الأصل في معنى شام للسيّف ، يقال : شام سيفه أي سلّاه (ويقال شام لمعنى أغمد ، فهي ضدّ) . واستعاره الشاعر للبرق الملتع .
- (١٢) رجوم جمع رجم : اسم ما يُرْجَمُ به . والخطّ موضع تنسب إليه الرّماح . والضُّمَرُ : المضمرة . والتضمير : أن تعلّفه حتى يَسْمَنَ ثم ترده إلى القوت ، وذلك في أربعين يوماً . والفرس الأجرد : الذي رقت شَعْرَتُهُ وَقَصُرَتْ (وهو مدح) .
- استفاد الشاعر من معنى آية كريمة ومن بعض لفظها ٥/٦٧ ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ .
- (١٤) حارت عن القصد : رجعت . وجدير أن تكون العبارة : لجارت عن القصد .
- (١٧) الأسل : الرماح ، والمُلد جمع الأملد والأملود : اللّين الناعم .
- (١٩) أنكى من فعل نكى القُرْحَة : قشرها قبل أن تبرأ فندبت (لغة في نكأ القرح والجرح) .
- (٢١) يوسى : يُداوى .

وقال أيضاً :

[من الكامل]

- ١ مَائِيْنَ فَاتِرَ طَرْفِهَا وَجَفُّونِي خَبَرَ تَمَازَجَ جِدَّةٍ بِمَجْجُونِ
- ٢ قُلْ لِّلِّي خَضَبَتْ بِيَاضَ بَنَانِهَا بَدْمَاءِ دَمْعِي أَوْ سَوَادِ غَيُونِي

- ٣ وَتَأْتَتْ فِي نَقْشِهَا وَكِتَابِهَا
٤ وَاسْتَخْلَصْتُ مِنْ فَحْمَةِ الْقَلْبِ الشَّجِي
٥ مِنْ أَيْنَ لِلْغِزْلَانِ وَهِيَ عَوَاطِلُ
٦ لَا كَانَ فِي حِلِّ رُعَاتِكَ مِنْ دَمِي
٧ قَدْ كَانَ فِي حُمْرِ الْمَقَانِعِ مَقْنَعٌ
٨ حَتَّى دُهِيتُ بِحُمْرَةٍ فِي سُرَّةِ
٩ مَا أَنْتَ لِي يَا ظِيَّ الْإِفْتِنَةِ
١٠ تِيهِي وَصُدِّي وَاهْجُرِي لَا مَغْضَبٌ
١١ إِنْ أَعْيَذَكَ خَيْفَةَ الْعَيْنِ الَّتِي
١٢ قَسَمًا بَطَّرِبِ الْبَنَانِ وَلَيْنِهِ
١٣ وَمَعَاطِفٍ قَدْ جُلْنَ بَيْنَ مَطَارِفِ
١٤ لَوْ أَنَّهَا يَوْمًا تَضُمُّ لَصَدْرَهَا
١٥ أَوْ لَوْ أَشَارَتْ نَحْوَهُ بَيْنَانِهَا
١٦ يَا أُخْتَ شَمْسِ الْأَفْقِ إِلَّا أَنَّهَا
١٧ وَشَقِيقَةُ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ وَمَنْ لَهُ
١٨ مَا بَالُ خَلْخَالِيكَ قَدْ صَمَتَا وَمَا
١٩ مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ هَذَا فِي لَظَى
٢٠ شَتَّانَ بَيْنَ مَبْعَدٍ وَمُقَرَّبٍ
٢١ مَنْ لِي بِهِفَاءِ الْمَعَاطِفِ أُشْرِبْتُ
٢٢ أَدْمَاءَ عَبَاسِيَّةٍ مِنْ دُونِهَا
٢٣ مَهْمَا خَضَعْتُ لَهَا تَعِزُّ، وَإِنْ أَلَنْ
٢٤ لَوْ كُنْتُ مُبْصِرْنَا غَدَاةَ لَقَيْتُهَا
٢٥ اللَّهُ يُنْصَفُ مُهْجَتِي مِنْ مُقْلَتِي
- من ذُوبِ أَكْبَادِي بِنَارِ شُجُونِي
صَبْغاً لِنُورِ الْحَاجِبِ الْمُقْرُونِ
صَبْغُ الْحَوَاجِبِ أَوْ خِضَابُ يَمِينِ !
هُمْ عَلَّمُوكَ لِشَقْوَتِي وَقُتُونِي
لِضَلَالِ شَأْنِي وَأَنْهَالِ شَوْوُونِي
كَالْخَمْرِ الصَّهْبَاءِ فِي تَلْوِينِ
نَفْسِي بِذَلِكَ فِي الْهَوَى تُفْتِنِي
كُلُّ الَّذِي تَرْضَيْنَهُ يُرْضِينِي !
تَخْشِينَ بِالْمَسْطُورِ فِي يَاسِينِ
وَقُتُورِ طَرْفٍ مُؤْذِنٍ بِفُتُونِ
لَوْ لَا الْعِنَاقُ تَفَطَّرَتْ مِنْ لَيْنِ
مِثْلًا لثَابَتُ نَفْسُهُ فِي الْحَيْنِ !
لَأَتَى إِلَيْهَا جَيَّةُ الْمُفْتُونِ
فَاقَتْ بِحُسْنِ سَوَالِفٍ وَجُفُونِ
بَسْنَا حُلَاهَا فِي اللَّيَالِي الْجُونِ
لِوَشَاحِيكَ الْجَوَالِ فِي تَخْنِينِ
قَلْقٍ، وَذَانِكَ فِي نَعِيمِ سُكُونِ
مَنْ أَيْنَ تَخْفَى نَفْسُهُ الْمَحْزُونِ ؟
تِيهَاءُ وَلَا تِيَّةُ الطَّبَّاءِ الْعَيْنِ
سَطَوُ الرِّشِيدِ وَنَحْوَةُ الْمَأْمُونِ
تَغْلُظُ عَلَيَّ، وَإِنْ أَصِلْ تُقْصِينِي !
لَرَأَيْتَ قَسْوَتَهَا، وَعِطْفَةَ لَيْنِي
فَهِيَ الَّتِي جَلَبَتْ هَوَايَ وَهُوْنِي !

جَوّ القصيدة :

في جَوّ القصيدة الغزلي يذكر الشاعر فتاته الحسنة الجميلة التي زاد من حُسْنها أنها اتخذت من الزينة ، ومن الأناقة ما يلفت النظر ويستميل القلب (١ - ٤) وينسب الشاعر المخاطبة إلى الغزلان ، ويسترسل في هذه المقارنة مع تفضيل حسنهما على حسن الطبي ، بما فيها من ملامح جمالية وسمات إنسانية (٥ - ١١) ويبالغ في بيان درجة تأثيرها في الحب العاشق (١٢ - ١٥) ويُوغّل فينقل التشبيه إلى الشمس والقمر (١٦ - ٢٠) ملاحظاً جوانب جمالية ذاكرة حبّه وتولّيه من جهة ، وتيهيها وتعزّزها من جهة ثانية (٢١ - ٢٤) ويقول إن جمالها الذي بهر عينيه أثر فيها فنقلا نظرة العشق إلى قلبه فاستسلم ، وكان صريع الهوى والهوان !

الشروح :

- (٤) فحمة القلب : يريد سواد القلب (وسويداءه) وحبّة القلب . نون الحاجب : شبه الحاجب بحرف النون (مقلوباً) ، وهو تشبيه شائع في أدب تلك المدّة في المشرق والأندلس .
- (٥) عواطل جمع عاطل : المستغنية بجمالها الطبيعي عن الزينة .
- (٧) المقانع جمع المقنع والمقنعة : ماتقنّع به المرأة رأسها .
- (١١) في ط : « ... تؤذيك بالسطور » . وفي متن الأصل : « تؤذيك » . وفي الهامش بخط المؤلف : « تخشين » وفوقها عبارة « صح » .
- سورة ياسين . وسيجيء التعويد بسورة ياسين أيضاً في الموشح [٤] وذلك قوله : « أعيذُ يا ربة الشّاحِ ذلك القوامُ من لحاقِ ذامٍ بسورة ياسين ! »
- (١٧) الجّون : السود .
- (١٨) صمت الخللخال كناية عن اكتناز السّاقين . وعدم استقرار الشّاح كناية عن ضهور الكشح وهيف القامة . ولم أجد كلمة (تخنين) .
- (١٩) في ط : وذلك في نعيم سكون .
- (٢١) هذه العبارة تشبه قول العرب في أمثالها : ماءٌ ولا كصدًا ومرعى ولا كالسّعدان . ولكنهم في المثل يريدون فضل الذي بعد عبارة (ولا) على ما سبقه .

- والعين : بقر الوحش . أوجع عيناء صفة للواسعة العينين مع حُسن .

(٢٥) هان هُون هُوناً وهواناً ومهانة : ذلّ .

[١٣]

وقال أيضاً :

[من الطويل]

- | | | |
|----|---|--|
| ١ | أشاقك سَلْعَ أم هَفَّتْ بك ذِكْرَاهُ | فَسَاعَاتُ هَذَا اللَّيْلِ عِنْدَكَ أَشْبَاهُ |
| ٢ | وهل ذا الْبَرِّيقُ التَّاحَ مِنْ نَحْوِ رَامَةٍ | وإِلَّا فَلِمَ بَاتَتْ جَفُونُكَ تَرْعَاهُ ؟ |
| ٣ | وهل مَاسَرَتْ مِنْ نَسَمَةٍ رِيحُ أَرْضِهَا | وإِلَّا فَهَذَا الْجَوُّ تَغْبِقُ رِيَّاهُ |
| ٤ | نَعَمْ شَاقَنِي سَلْعٌ وَذَكَرَى عَهْدِهِ | فَأَاهُ لَا يَامُ تَقْضَتْ بِهِ آهُ |
| ٥ | وما الْقَصْدُ سَلْعٌ أَنْ نَظَرْتَ وَرَامَةٍ | ولَكنْ لِحَجْرِي مِنْ غَدَا فِيهِ مِثْوَاهُ |
| ٦ | أَحِبُّ وَمِیْضَ الْبَرْقِ قَصْدَ جِهَاتِهِ | وَأَهْوَى نَسِيمَ الرِّيحِ مِنْ أَجْلِ مَسْرَاهُ |
| ٧ | وما بِي إِلَّا نَظْرَةٌ حَاجِرِيَّةٌ | رَمَى سَهْمَهَا عَمْدًا فَوَادِي فَأَصْهَاهُ |
| ٨ | حَسِبْتُ اغْتِرَارًا أَنْ جُنَّةَ صَبْرِهِ | تَقِيهِ فَأَغْشَاهُ الَّذِي كُنْتُ أَخْشَاهُ |
| ٩ | أَحِبَّةَ قَلْبِي أَهْلَ نَجْدٍ بَعِيشِكُمْ | تُرَى يَبْلُغُ الْمُشْتَاقُ مَا يَتَمَنَّاهُ ؟ |
| ١٠ | نَشَدْتُكُمْ الْعَهْدَ الْقَدِيمَ تَرْفَقُوا | عَلَى رَمَقٍ لَمْ يَثْبِقَ مِنِّي إِلَّاهُ |
| ١١ | أَعِنْدَكُمْ إِنْ بَنَيْتُمْ أَنْ مَقْلَتِي | تَنَامُ وَأَنْ الْقَلْبَ تَسْكُنُ بِلَوَاهُ |
| ١٢ | إِذَنْ قُرَحْتُ عَيْنِي وَلَا قَرَّ خَاطِرِي | وَكَانَ حَسِيبِي أَوْ حَسِيبَكُمْ اللَّهُ |
| ١٣ | قُضَاةُ الْهَوَى رِفْقًا بِشَاكِ بَكْمَ لَكُمْ | وَلَوْلَا انْبِثَاتُ الصَّبْرِ لَمْ تَبْدُ شَكْوَاهُ |
| ١٤ | أَلَا فَارْحَمُوا ذَا عِزَّةٍ ذَلَّ لِلْهَوَى | وَمَا كَانَ يَرْضَى قَطُّ بِالذَّلِّ لَوْلَاهُ |
| ١٥ | وعَاذِلِي لَمْ تَدْرِ قَدَرِ بَلِيَّتِي | أَلَا يَدْمُ الْمُشْتَاقِ مَنْ ظَلَّ يَلْحَاهُ |
| ١٦ | أَعَاذِلْ لَا عَيْنِيكَ تَجْرَحُ أَذْمُعِي | وَلَا أَنْتِ تَلْقَيْنَ الَّذِي أَنَا أَلْقَاهُ |
| ١٧ | ذَرِينِي لِأَوْجَالِي فَرَوْحِي سَلِيمَةٍ | فَرَبَّمَا أَعْدَى الطَّبِيبِ مُعَنَّاهُ |
| ١٨ | خَلِيلِي مِنْ نَجْدٍ بِوُدِّكُمَا انْشَقَا | نَسِيمَ الصَّبَا، هَلْ عَطَّرَ الْبَانَ رِيَّاهُ |
| ١٩ | وهل جَرَّ أُرْدَانًا عَلَى أَجْرَعِ الْحِمَى | فَأَهْدَى تَحَايَا رَنْدِهِ وَخُزَامَاهُ |

- ٢٠ ألا هَلْ إلى نَجْدٍ سَبِيلٌ لَذي هَوًى سَقَى مَدْمَعُ العُشَّاقِ نَجْدًا وَحَيًّا
٢١ ولا بَرَحَتْ أَنْفَاسُهُمْ تَفْضَحُ الصَّبَا هُبُوبًا لَدَى أَسْحَارِهِ وَعَشَايَا

[١٣]

جَوَّ القَصِيْدَةِ :

يبدأ الشاعر باستلھام المَواطِنِ الحجازية والنجدية ، والاستنْجَادُ بالأنفاس البدوية ، ويظهر حينه إلى تلك البقاع الموحية بأطيب الذكريات (١ - ٢) ويوضح أن ذلك كلّه مستشار بنفحة من أرض فتاته التي تشغل - منه - البال والخطر (٣ - ٦) ولحّة من نظرة حاجريّة (٧ - ٨) . ويسترسل من ذلك في شكوى ، بعد ذلك ، في الشكوى من حُبّه وأرقه وبلاء قلبه وقرحة أجفانه ، ونفاد صبره وذّله في هواه (٩ - ١٢) . ويخاطب قضاة الهوى ليرحموا ذلّ هواه (١٣ - ١٤) ويخاطب العواذل ليرحموا دمع عينيه (١٥ - ١٧) ويلتفت إلى صاحبيه من نجد يسألها أن ينشقا - معه - نسيم الصّبا المعطر الذي يهبّ من جهات نجد لعلها يُفيدانه : إن كان ذلك النسيم قد مرّ على (أجرع الحِمى) حيث ديار الأحبة النافحة بعطر الرند والخزامى . ويختم بتساؤل المَشُوق : هل من سبيل لذي هوى (فيستريح نفساً أو يهدأ بالاً أو يَرْضَى حُبّاً) ؟

[١٣]

الشروح :

- (١) سلع : جبَلٌ متّصل بالمدينة المنورة .
- (٢) رامة : موضع بالعقيق (في طريق البصرة إلى مكة) .
- (٣) الرّيا من كل شيء : طيبٌ رائحته .
- (٤) في الأصل : لجري وفي ط : لجري (غير واضحة) . وفي هامش ط : ذكرى .
- (٧) حاجر : (موضع في ديار بني تميم) و : أضى الصيد : قتله في مكانه .
- (١٢) قرّت عينه : رأت ما كانت متشوّقة إليه .
- (١٥) يلحاه : يلومه .
- (١٧) أوجال جمع وَجَل . والمُعَنَى : الذي بلغ منه الجهد .

(١٨) البان : شجر لِحَبِّ ثمره دهن طيب .

(١٩) الرُند : شجر طيب الرائحة من شجر البادية . والخزَامى : نبت أو هو خيرى البرّ زهره
أطيب الأزهار نفحة .

[١٤]

وقال أيضاً :

[من الطويل]

- ١ جَلَّتْ عَنْ حِجَابِيْ خَجَلَةٍ وَتَنْقَبِ
 - ٢ فِتَاةٌ غَدَا دَهْرِيْ يُمَاطِلُنِيْ بِهَا
 - ٣ مَهْدَتْ لَهَا مِنْ فَضْلِ وَدِّيْ جَانِباً
 - ٤ نَضَتْ عَنْ مُحَيَّا الصُّبْحِ سِجْفَ غَمَامَةٍ
 - ٥ فَصَدَّتْ لِحَاطِيْ عَنْ سَنَاهَا مَهَابَةً
 - ٦ أَتَتْ تَتَهَادَى بَيْنَ أَثْرَابِهَا صِبَاً
 - ٧ مَهَاةٌ جَرَى مَاءُ الْحَيَاةِ بِثَغْرِهَا
 - ٨ خَصِيْبَةٌ طَيِّ الْأَزْرِ، جَدْبٌ وَشَاحُهَا
 - ٩ تَزَرُّ عَلَى الْبَدْرِ الْمُنِيرِ جُيُوبَهَا
 - ١٠ مُنْعَمَةٌ الْأَطْرَافِ تَعْبَثُ بِالنُّهَى
 - ١١ إِذَا مَا اعْتَزَتْ فِي الْحُسْنِ بَانَ اعْتَزَّازُهَا
 - ١٢ مِنْ الْوَاضِحَاتِ الْغُرِّ لَوْ أَنَّهَا سَرَتْ
 - ١٣ فَمَا الشَّمْسُ قَدْ لَاحَتْ ضَحَى وَسْطَ مَشْرِقِ
 - ١٤ جُويريةٌ تَجْرِي دَمَاءً فِي مَفَاصِلِيْ
 - ١٥ تُرِيكَ أَنْعَاطَ الْقُضْبِ وَالطَّيْرِ سَاجِعُ
 - ١٦ أَيَا جَنَّةٍ مِنْ رِيْقِهَا كُوْثِرُ لَهَا
 - ١٧ نَهَضْتُ بِفَرَضِ الْحَبِّ أَبْغِي تَنْعَمًا
 - ١٨ ثَقِي بُوْدَادِي حَالِي السُّخْطِ وَالرَّضَى
- كَمَا لَاحَ بَدْرٌ عَنْ سَحَابٍ وَعَيْهَبِ
فَأُعْتَبِيْهِ حَتَّى أَتُنْثَى لِلتَّعْتَبِ
إِلَى أَنْ دَنَتْ مِنْ بَعْدِ طُولِ تَجَنُّبِ
وَلَا حَتَّ بَرَأَى فِي الْمَلَا حَةِ مُغْرِبِ
بِهَا حَجَبُهَا عَنِّي إِذَا لَمْ تَحْجَبِ
فَقُلْ طَبِيَّةٌ قَدْ أَقْبَلَتْ وَسْطَ رَبْرَبِ
رُضَاباً أَعَادَتْهُ الْمَنُونُ بِعَقْرِبِ
فَرْدَفَ لِبَغْذَاذٍ وَعِطْفَ لِيْثْرِبِ
فَلَا حُسْنَ إِلَّا ضَمْنَ ذَاكَ الْمُتَنْقَبِ
كَأَعْبَثَ أَيَّامُ هَجْرِي بِأَرْبِي
بِشَّمْسِ الضُّحَى أُمٌّ وَبَدْرِ الدُّجَى أَبِ
بِأَكْمَةٍ لَيْلًا مَازَهَا عَنْ تَنْقَبِ
بِأَمْلَحٍ مِنْهَا قَدْ تَجَلَّتْ بِمُغْرِبِ
فَقَدْ ذَهَبَتْ بِي فِي الْهُوَى كُلَّ مَذْهَبِ
إِذَا مَا انْتَشَتْ رَقْصاً بِصَوْتِ مُطَرَّبِ
تُرَى مَشْرِقِي فِي الْحُبِّ مِنْكَ مُقَرَّبِي
لَدَيْكَ، فَمَنْ نَعْمَتِهِ لَمْ يَعْذَبِ !
فَلَيْسَ لِقَلْبِي فِي الْهُوَى مِنْ تَقْلَبِ

- ١٩ أَجْنَحُ مِنْ بَعْدِ الْهُدَى لِضَلَالَةٍ
 ٢٠ وَهَبْتُ دَمِي عَنْ طِيبِ نَفْسِي لِلْهُوَى
 ٢١ ذُنُوبُ الْعُيُونِ النُّجْلُ مَغْفُورَةٌ لَهَا
 ٢٢ أَيَا رَحْمَةً إِلَّا لِمَشْغُوفٍ حُبُّهَا
 ٢٣ صَدُوقٌ كَأَفَّاكٍ ، وَفِي كِنَاكِثٍ
 ٢٤ هَبْنِي وَلَوْ إِغْفَاءَةً مِنْ كَرَى عَسَى
 ٢٥ خُذِي يَدَيَّ تُنْجِي غَرِيقاً مِنَ الرَّدَى
 وَأَطْلُبُ بَعْدَ الْحَقِّ أَكْذَبَ مَطْلَبٍ
 وَأُهْدِيتُ أَجْرِي لِلْبَنَانِ الْمُخْضَبِ
 فَمَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلْفُؤَادِ الْمَعْدَبِ
 خَنَائِكَ فِي صَبٍّ أَهِيلَ مَغْرِبِ
 كَتُومٍ كَبَوَّاحٍ ، بَرِيءٌ كَمْ ذَنْبِ
 أَرَى طَيْفَكَ السَّارِي فَذَلِكَ مُحْسِي !
 وَلَا تَكْلِينِي لِلرَّجَاءِ الْمُخَيِّبِ

[١٤]

جَوْ الْقَصِيدَةِ :

يبدأ الشاعر قصيدته الغزلية فيرسم صورة للمحجوبة ، وقد كشفت عن وجهها واستأنست بعد حياء وخجل ، ويذكر تعلقه بها واستغراقه في محبتها (١ - ٣) ويدخل في حديث طويل عن مفاتيحها : من مهارة مصونة الجانب ، محمية النفس والبدن والحال ، ويذكر محاسنها في تفصيل وتدقيق مسجلاً صوراً جمالية واضحة لها ، ويقارنها بما يكفل لديه إقناع القارئ بأنها في الذروة من الحسن والجمال وأنها تتفوق على ما شبهها به من أجزاء الطبيعة الصامتة والحياة معاً (٤ - ١٣) وينقلب الشاعر إلى حاله ليذكر أثر المحبوبة فيه وعمق محبتها عنده ومكانتها في نفسه (١٤ - ١٧) ويلتفت بالخطاب إليها ويسألها أن تثق به ، وتعلم أنها منه بمكانة لا يصل إليها أحد ، ولم يعرفها حبيب من حبيب (١٨ - ٢٠) ويخضع لها في إشفاق المدنف ولهفة الحب (٢١ - ٢٣) ويتمنى لو التفتت إليه أو مرت به - ولو في طيف الخيال - لعلها تنقذه من عاقبة حال العاشق المحروم والأمل المضيع ! (٢٤ - ٢٥) .

[١٤]

الشروح :

- (١) الغيب : الظلمة ، والليل الشديد السواد .
 (٢) أعتبه : أزال عتبه وأرضاه . والتعجب : العتاب .
 (٤) السجف : الستر .

- (٥) في ط : فسدت .
- (٦) الررب : القطيع من بقر الوحش .
- (٧) يعني ثني خصلة من الشعر على شكل عقرب ، كانوا يستحسنون ذلك من تصفيف شعر .
وفي العبارة تورية (ينظر كتاب : رائق التحلية في فائق التورية ؛ وهو من شعة ابن خاتمة
جمعه تلميذه ابن زرقاله) من تحقيقي .
- (٨) في الشطر الثاني إيضاح كنايات الشطر الأول .
- (٩) في ط : وشاحها .
- (١١) اعتزى : انتسب .
- (١٢) الأكمه : الذي ولد أعمى . وقوله : مازها عن تنقب ، أي عرفها وهي متنقبة ؛ وهذا على
سبيل البالغة .
- (١٦) في ط : ترى مشرقى في الحب مغربي . (يأسقاط منك ، ويغين بدل القاف) .
- (٢٢) آخر كلمتين في عجز البيت مطموستان تقريباً في النسخة الأم ، وهكذا رسمها في ط .

[١٥]

وقال أيضاً :

- ١ أحنُّ إلى نجدٍ إذا ذُكرتُ نجدُ
ويَعْتَلُ جِسمي أن يَهَبَ نَسِيمُها
- ٢ وما مقصدي نجدٌ ولا ذُكرَ عَهْدِها
رَمَتْنِي النوى قَصْداً فأصمتَ مقاتلي
- ٣ ألا هل لأيامٍ تَقْضَيْنَ بالحِمَى
إذِ الدَّهْرُ سَعَدَ والزَّمانُ مُسَاعِدُ
- ٤ سقى الله أكنافَ الحِمَى كُلَّ وَاكِفٍ
وَحَيَّ وُجوهَ الحَيِّ من جانبِ الغُضا
- ٥ أحبَّابَ قَلْبِي ، وَالْهَوَانُ أَخُو الْهَوَى
خَذُوا بِيَدِي قد ضِقتُ ذرعاً بِصَدُكُمُ
- ٦ وَيَعْتَادُ قَلْبِي مِنْ تَذَكُّرِها وَجُدُ
عَلَيْلاً لَهُ بِالْأَثَلِ أَثَلُ الْحِمَى عَهْدُ
- ٧ وَلَكِنْ لِحِجْرِي مَنْ عَدَتْ دَارُهُ نَجْدُ
وَلِلْبَيْنِ سَهْمٌ لَيْسَ يُخْطِي لَهُ قَصْدُ
- ٨ سَبِيلَ لِيذِي وَجْدٍ تَنَاهَى بِهِ الْجَهْدُ
فَلَا الصَّبُّ مَصْدُودٌ وَلَا الْبَابُ مُنْسَدُ
- ٩ مِنْ الدَّمْعِ يَرُويها إِذَا أَخْلَفَ الرَّعْدُ
بِكُلِّ حَيًّا يُعْدي بِخِصْبٍ وَلَا يَعْدُو
- ١٠ وَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى لِفَوْقِ الَّذِي يَبْدُو
وَالْأَفْجَاهُ زَاراً وَمِنْ بَعْدِ ذَا صُدُّوا !

- ١١ إذا أنتم لم تَرْحَمُوا ذلَّ مَوْقِفِي
١٢ صِلُوا أَوْ قَصُّدُوا أَنْتُمْ الْأَمْنُ وَالْمُنَى
١٣ أَقُولُ وَعَبْرَاتِي غَوَادٍ رَوَائِحُ
١٤ بَعِيشِكُمَا إِنْ جِئْتُمَا أَجْرَعَ الْحِمَى
١٥ فَإِنْ تُسَالَا مَنْ ذَا الَّذِي تَنْدَبَانِهِ
١٦ خَلِيلِي وَالْعَشَّاقُ فِي الْحُبِّ أُضْرَبُ
١٧ نَشَدْتُكُمَا اللَّهَ أَصْدَقَانِي هَلْ لِمَا
١٨ تَأَلَّى عَلَيَّ الدَّهْرُ نَقْضَ عَزَائِمِي
١٩ أَعَاذِلْتِي إِنْ كَانَ لَوْمِي عَلَى الْهَوَى
٢٠ عَسَى اللَّهُ أَنْ يُخَيِّ سُرُورِي بِقُرْبِهِمْ
٢١ فَيَصْبَحَ قَلْبِي وَهُوَ بَيْنَ جَوَانِحِي
- فَقُولُوا: لِمَنْ آتَى فَأَرْجُوهُ مِنْ بَعْدِ!
عَلَى كُلِّ حَالٍ لَيْسَ لِي عَنْكُمْ بُدٌّ
لِخِلِّينِ أَقْصَانِي وَإِيَّاهُمَا الصَّدُّ
قِفَا فَاثْبِكِيَا مَنْ لَيْسَ يَرْجِي لَهُ رُشْدُ
فَقُولَا: مَشُوقَ خَانَةِ فِي الْهَوَى الْجَدُّ
وَلَكِنِّي فِي لـــــــوُعَتِي عَلِمْتُ فَرْدُ
بَدَا لَكُمَا مِنْ حَالَتِي فِي الْهَوَى نِدُّ
فَأَصْبَحْتُ لَا حَلَ لَدَيَّ وَلَا عَقْدُ
فَلَيْسَ لِقَلْبِي فِيهِ أَخْذٌ وَلَا رَدُّ
فَقَدْ نَالَ مِنِّي فَوْقَ مَا شَاءَ الْبُعْدُ
وَقَدْ دَانَتْ الدُّنْيَا وَقَدْ سَاعَدَ السَّعْدُ

[١٥]

جَوَّ الْقَصِيدَةِ :

يبدأ الشاعر قصيدته الغزلية بالحنين إلى نجد وبيان تعلق قلبه بذكرىات منها ، وتأثره بالنسيم الذي يهب من جهتها ، ويقول تصريحاً لا تلويحاً إن مقصده هو مَنْ سَكَنَ نَجْدًا (يعني المحبوبة) لا أرض نجد وحدها (١ - ٣) ويشكو من البين المشتت للشمْل . ويستعيد أطياف أيام الحمى وقت الإقبال ومساعدة الزمان ويدعو للديار بالسُّقْيَا (٤ - ٨) ويخاطب المحبوبة بصيغة الجمع (أحباب قلبي) ويستعطف استعطاف المحب المُنْدَنَفِ ويرجو الوصل (٩ - ١٢) ويلتفت إلى صاحبيه أن ييكيا عند ديار الأحبة في نجد وأن يندباه ثمة فقد يؤس وصار حياً كَيْتَ ؛ لبعده عن الأحبة (١٣ - ١٥) ويسألها هل عرفاً عاشقاً في مثل تولَّهه وسوء حاله ونقض الدهر عزائمهُ ؟ (١٦ - ١٨) ويعلن إصراره على تعلقه وحبه وهواه - على رغم غدل العواذل - ويتعلّق بأمل بعيد عسى أن تتحقّق آماله في الحبّ فيهدأ بالاً وينعم حالاً (١٩ - ٢١) .

في التخرّيج :

في مسالك الأبصار ٥٠٢/١١ - ٥٠٣ روى ابن فضل الله العمري في ترجمة ابن خاتمة الأبيات
١ ، ٤ ، ٧ ، ١٦ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٩ ، على هذا الترتيب .

الشروح :

- (١) الأثل : شجر عظيم لا ثمر له مستطيل الحَبّ ليس له شوك تُصنع منه الآنية . الواحدة أثلة
والجمع أثلات وأثول . (وهو نوع من الطرفاء) . وسُميت مواضع بأسماء من مادة (الأثل)
منها أثلة ، وذو الأثل ، وذات الأثل . (معجم البلدان ومعجم ما استعجم) .
- (٤) أضى الصيد : رماه فقتله مكانه .
- (٨) الغضا من شجر البادية ، وهناك مواضع سُميت باسمه منها وادٍ بنجد (معجم البلدان ومعجم
ما استعجم) .
- (١٦) أضرب : أنواع .
- وفي مسالك الأبصار : العَلَمُ الفرد .
- (١٨) نألى : أقسم .

[١٦]

وقال أيضاً :

[من الكامل]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | حَيَّا الرِّبْعَ بِنَرَجِسٍ وَبَهَارِ | فَارْدُدْ تَحِيَّتَهُ بِكَاسِ عَقَارِ |
| ٢ | لَا تَجْنِ زَهْرَتَهُ لِغَيْرِ سُلَاقَةٍ | تَصْرِيفُكَ الدِّينَارَ بِالدِّينَارِ |
| ٣ | وَأَنْفُ لَا يَأْمُ الرِّبْعِ وَقَضْلُهَا | فَضْلاً سِوَى فِي الْكَاسِ وَالْأُوتَارِ |
| ٤ | أَوْ مَا تَرَى وَجْهَ الزَّمَانِ قَدْ اكْتَسَى | كَعِذَارِ آسٍ أَوْ كَاسِ عِذَارِ |
| ٥ | وَالْأَرْضُ قَدْ لَبَسَتْ مَطَارِفَ نَبْتِهَا | وَتَوَشَّحَتْ بِصَوَارِمِ الْأَنْهَارِ |
| ٦ | وَالدَّوْحُ أَمْثَالُ الْمَنَابِرِ فَوْقَهَا | خُطْبَاءُ بِالْإِسْحَارِ فِي الْأَسْحَارِ |
| ٧ | فَأَقْدَحْ زِنَادَ الْكَاسِ عَنْ لَهْيِيَّةٍ | تُغْشِي ظِلَامَ اللَّيْلِ ضَوْءَ نَهَارِ |
| ٨ | وَلْتَجْلُهَا بَدراً عَلَى بَدْرِ، لَدَى | بَدْرِ، تَفْزُ بِثَلَاثَةِ أَقْهَارِ! |

- ٩ مِنْ كَفِّ بَارِعَةِ الْجَمَالِ بَدِيعَةٍ
 ١٠ فِي لَيْلَةٍ كَسَتِ الشُّعُورَ سَوَادَهَا
 ١١ مَافَاحَ نَدُّ اللَّيْلِ عَنْ مِثْلِ الطَّلَا
 ١٢ أَفْدِي أَلَّتِي لَوْلَا سَوَادُ خِضَابِهَا
 ١٣ هَيْفَاءُ تُحْمَى عَنْ تَخَالُسٍ نَاطِرٍ
 ١٤ فِي لَيْلٍ طَرَّتْهَا وَلَيْلِ خِضَابِهَا
 ١٥ أُعْيَتْ عَلَى الْعُشَّاقِ طُرُقَ وَصَالِهَا
 ١٦ عَاطِيَتُهَا رَاحاً كَأَنَّ حَبَابَهَا
 ١٧ صَفْرَاءُ عَتَقَهَا الزَّمَانُ وَرَاضَهَا
 ١٨ فَاتَتْ كَمَا الْأَهْوَ بُ تَلْفَحُ نَارُهَا
 ١٩ مَازَلْتُ أَسْقِيهَا وَأَشْرَبُ رِيْقَهَا
 ٢٠ حَتَّى تَنْتَهِيَ الرَّاحُ طَوْعَ سَوَاعِدِي
 ٢١ فَاسْأَلُ بِطِيبِ حَدِيثٍ لَيْلَتِنَا وَلَا
- تُرْبِي عَلَى الْأَوْطَارِ وَالْأَطْوَارِ
 وَجَلَّتْ مِنَ الْوَجَنَاتِ ثُوبَ شِعَارِ
 قَدَحَتْ شَرَارَتَهَا بِصُوبِ قِطَارِ
 مَحَتِ الدُّجَا بِأَشْعَةِ الْأَنْوَارِ
 بِشِفَارِ سُمْرٍ أَوْ بِسُمْرِ شِفَارِ
 بَذْرَانِ مِنْ وَجْهِهِ، وَكَأْسِ عُقَارِ
 فَمَنَالُهَا بِالْوَهْمِ وَالتَّذْكَارِ
 تَحْتَ الدُّجَا فِي الْكَأْسِ عِقْدُ دَرَارِ
 طُولُ الثَّقَافِ بِذَنْهَا وَالْغَارِ
 حَرَى وَلَا عَهْدَ لَهَا بِالنَّارِ
 وَالسُّكْرِ يَعْطِفُنَا عَلَى مِقْدَارِ
 وَالرَّاحُ تَعْلَمُ كَيْفَ أَخَذَ الثَّارِ
 تُغْفِلُ عَفَافِي عِنْدَهَا وَوَقَارِي

[١٦]

جَوَّ الْقَصِيدَةِ :

ينحو الشاعر في هذه القصيدة الغزلية منحى القصائد التي تجمع وصف الطبيعة إلى ذكر مجالس الأنس إلى الغزل . تبدأ القصيدة بوصف الطبيعة في إبان الربيع وقد أزيّنت الأرض بأحلى حللها وأجمل ألوانها . وظهرت معالم الجمال في كل شيء من شجر ونبات ، ومن أنواع الطيور المختلفة مع ما حولها حسناً وطرباً وحيوية (١ - ٦) ويدعو إلى مجلس أنس (٧ - ١١) ويخرج إلى الغزل مازجاً معاني الغزل بالمعاني المألوفة في وصف الشراب ، ويصف مغامرة وهمية (١٢ - ٢٠) تنتهي في البيت (٢١) بإظهار عفافه ووقاره . وجعل الشاعر القصيدة كلها قصة قصيرة خيالية .

الشروح :

(١) العُقَار : الشراب .

- (٢) السُّلَافَةُ : الخمر أول ما تُعَصَّر ، أو ما سال من غير عصر ، أو أخلفها وأفضلها .
 - في الأصل (كتصارف) وغيرها في الأصل إلى (تصريفك) وبقيت في ط (كتصارف) .
- (٣) قوله : سوى في الكأس : كأن العبارة : في سوى الكاس والأوتار .
- (٤) العِذار من الشعر عند الوجه هو خطُّ اللَّحْيَةِ . ويشبهون العذار بالآس .
- (٦) الأسحار جمع السَّحَر (وقت) قبيل الصُّبح . ولم أقف على الإسحار ، وكأنه يريد معنى السَّحَر (يعني سحر البيان) .
- (١١) القَطَرُ ما قَطَرَ (يريد المَطَر) الواحدة قطرة والجمع قِطار .
- (١٢) في ط : لولا نضار خضائها .
- (١٣) الشِّفار (والشَّفَر) جمع الشفرة : السكين العظيمة العريضة .
- (١٥) في ط : فأناؤها .
- (١٦) الحَبَابُ : ما يكون على الكأس وغيره من حُبَابَات تعلوه (فقاعات) .
- (٢٠) يعني ظهور لون الحُمرة (حمرتها غالباً) في الخَدَّين (وغيرها) .

[١٧]

وقال أيضاً - وقد سئل إجازة البيت الأول - : [من الكامل]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | [مَنْ عَادِرِي ، مَنْ نَاصِرِي ، مَنْ مُنْصِفِي | هذا دَمِي سَفَكْتُهُ بِنْتُ الْمُنْصِفِ] |
| ٢ | بِفِرْنَدٍ خَدٌّ كَالْحُسَامِ مُذَرَّبِ | وَقَوَامٍ قَدْ كَالْقَنَاقَةِ مُتَّقِفِ |
| ٣ | وَسِهَامٍ لَحْظٍ عَنْ قَيْسٍ حَوَاجِبِ | تَرْمِي بِرِيْشِ الْهُدُبِ مِنْ طَرْفِ خَفِي |
| ٤ | سَفَكَتُ أَنْامِلَهَا الدِّمَاءَ فَقَدْ غَدَتُ | عَلِمًا بِرَخْصِ بَنَانِهَا الْمُطَرَّفِ |
| ٥ | إِيَّاهُ غَزِيلَةَ الْأَرَاكِ مِنَ الَّذِي | أَغْرَاكِ بِي ظُلْمًا ، وَلَمَّا يُنْصِفِ |
| ٦ | أَتْرَاكِ حِينَ سَبَرْتِ سُبُلَ تَصْبُرِي | أَلْفَيْتِ خَلْكَ قَدْ أَحَلَّ وَلَمْ يَفِ |
| ٧ | كَلًّا ، أَنْطِبَاعِي فِي هَوَاكِ طَبِيعَةٍ | أَضْحَى بِهَا كَلْفِي بِغَيْرِ تَكْلَفِ |
| ٨ | أُخْيَاةَ الْبَدْرِ الْمُنِيرِ ، وَضَرَّةَ الْغُصْنِ النَّضِيرِ ، وَرَبَّةَ الْقَلْبِ الْوَفِي | |
| ٩ | لِلَّهِ أَنْتِ مَهَاةٌ خِذْرٍ لَوْ بَدَتْ | لِلشَّمْسِ حَيْثُهَا ، وَلَمْ تَتَوَقَّفِ |

- ١٠ هَيْفَاءُ يَنْتَبِهَا الصَّبَا طَوَّعَ الصَّبَا
 ١١ دُرِّيَّةَ الْجِسْمِ اسْتَشَفَّ أَدِيمُهَا
 ١٢ لَأَنْتَ أَعَالِيهَا لِعَظْمَةٍ سَقَلِهَا
 ١٣ حَسَنَاءُ قَدْ جَلَّتْ بِفَضْلِ جَمَالِهَا
 ١٤ غَنَاءُ مَعْنِيَةٍ بِحُسْنِ غِنَائِهَا
 ١٥ إِنْ تَشَدُّ فَالْأَسْمَاعُ زَهْنُ تَشَوُّفٍ
 ١٦ مِلءُ الْمَسَامِعِ وَالنَّوَاطِرِ بَهْجَةٍ
 ١٧ طُبِعَتْ عَلَى طَبْعِ النُّفُوسِ فَشَخَّصَهَا
 ١٨ يَا شَمْسَ حُسْنٍ قَدْ شَدَّتْ شَمْسَ الضُّحَى
 ١٩ يَا خُوطَةَ مَهْمَا انْتَنَتْ ثَنَّتِ النَّهْيُ
 ٢٠ أَوْ مَا تَرَقُّ عَلَى مُحِبٍّ مَالَهُ
 ٢١ هَلَّا أَقْتَدَيْتَ بِمَعْطَفِيكَ فَتَعْطَفِي
 ٢٢ مَا أَنْتَ مُنْصِفَةٌ وَلَا ابْنَةُ مُنْصِفٍ
- تَلْتَاخُ عَنْ مِثْلِ الصَّبَاحِ الْمُشْرِفِ
 فَيَكَاذُ مُضْمَرٌ سِرُّهَا لَا يَخْتَفِي
 يَا جَوْرَ رِدْفَيْهَا وَحَمْلَ الْمُعْطَفِ !
 عَنْ زَيْنَةِ بَتَطَوُّوقٍ وَتَشْنُفِ
 عَنْ لَذَّةِ الْمَغْنَى وَطِيبِ الْمَأْلُفِ
 أَوْ تَبْدُ فَالْأَبْصَارُ زَهْنُ تَوْقُفِ
 مَامِثْلُهَا، حَدَّثُ بِذَا ثُمَّ احْلِفِ
 قَصْدُ الْمُحِبِّ، وَطُرُقَةُ الْمُتَطَرِّفِ
 إِنْ شَتَّتْ فَالْتَّاحِي وَإِنْ شَتَّتْ اخْتَفِي !
 هَلْ عَطْفَةٌ تُشْفِي صَبَابَةَ مُتَلَفِ
 أَمَلٌ سِوَاكِ أَجَلٌ وَمَا فِي الْمُصْحَفِ
 هَلَّا ارْتَدَيْتَ حَلَى أَيْبِكَ فَتَنْصِفِي
 كَذَبَ الْهَوَى إِنْ كُنْتَ بِنْتُ الْمُنْصِفِ !

[١٧]

(٥٢) في ترجمة أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن مشتعل الأسلمي المعروف بالبلياني (الإحاطة ٣٦٤/٢)
 أَنَّهُ سُئِلَ إِجَازَةَ الْبَيْتِ : (مِنْ عَازِرِي .. إلخ) فَأَنْشَدَ قَصِيدَةً مِنْ سِتَّةِ عَشْرَ بَيْتاً . وَهُوَ مِنْ
 أَهْلِ (الْمَرْيَةِ) ؛ فَهُوَ مَوَاطِنُ لَابْنِ خَاتَمَةٍ ؛ وَهُوَ أَيْضاً مُعَاوِلُهُ ، فَقَدْ تَوَفَّى سَنَةَ ٧٦٤ -
 وَمِنْ قَصِيدَتِهِ :

كَمْ ذَا أَبَيْتُ وَلَيْسَ لِي مِنْ مُسْعِدٍ فِي حَالَتِي غَيْرَ الدُّمُوعِ الدُّرُفِ
 يَا هَلْ تَرَى هَذَا الزَّمَانَ وَصَرْفَةً هَلْ يَسْمَحَانِ بِعَوْدَةٍ وَتَأْلُفٍ ؟ !

جَوَّ الْقَصِيدَةِ :

فِي الْقَصِيدَةِ اسْتِحْضَارُ لِمَعَانٍ غَزَلِيَّةٍ مَلَأَتْهُ لَاجَازَةُ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ الْمَقْتَرَحِ إِجَازَتَهُ . فَهِيَ تَبْدَأُ
 - بَعْدَ الْمَطْلَعِ الْمُجَازِ - بِمَحْدِثٍ عَنْ جَمَالِ الْفَتَاةِ الصَّارِخِ وَعَرَضٍ لِعَدَدٍ مِنْ مُحَاسِنِهَا (١ - ٥) ثُمَّ
 يَلْتَفِتُ الشَّاعِرُ إِلَى الْفَتَاةِ نَفْسِهَا الَّتِي تُشَبِّهُ غَزَالَ الْأَرَاكِ الْفَتِيَّةِ (٦ - ١١) وَيَتَحَدَّثُ عَنْهَا

بصيغة الغائب (هيفاء ..) ويعود إلى عدد من صفاتها : فهي ممشوقة القوام ، مشرقة الوجه ، درزية البشرة ... (١٢ - ١٤) ويتوقف عند صوتها الأغن المتميز (١٥ - ١٧) ويخاطبها مباشرة (يا شمسَ حُسْنِ ..) ويستطرد إلى نواحٍ جالية (١٨ - ٢١) ويختم بأن يرجع إلى ما بدأ به في البيت الأول لينقض قضية الإنصاف ويؤكد أنها ظالمة له (في حبه) وليست منصفة ولا ابنة مُنصف ! (٢٢) .

الشروح :

- (٢) المَذْرَب : المحدد .
(٤) الرُّخْص : الناعم . وطَرَفَت المرأة بنائها : خضبت أطراف أصابعها .
- حق الطاء من كلمة المطرف أن تكون مشددة ليصح وزن ضرب البيت .
(٥) الأراك نوع من الشجر (له عناقيد مثل العنب تسمى الكباث) يُسْتَاكُ بفروعه .
(١٣) تطوّقت : لبست الطوق (العقد) . وتشنفت : لبست الشنّف ؛ وهو ما عُلّق في أعلى الأذن (أي القرط الأعلى) ؛ وقيل : هو ما عُلّق في سفّ لها .
(١٥) في ط : توقف ... تشنّف . وتشوّف إلى الخبر (وإلى الشيء) : تطلع إليه .
(١٩) الخوطة : الغصن الناعم لسنّة .

[١٨]

وقال أيضاً :

- ١ اللَّهُ سِرُّ جَمَالٍ أَنْتِ مَعْنَاهُ حَسْبِي بِهِ وَكَفَى أَنِّي مَعْنَاهُ
٢ مَنْ لِي بِظَبْيٍ فَوَادِي دُونَ صَوْتِهِ عَنْ نَاطِرِي ، وَالثَّرِيَّا دُونَ مَثْوَاهُ
٣ غَزِيْلٌ غَزَلْتُ الْحَاظَةَ جَسَدِي أَرْقُ مِنْ غَزَلِي فِي لُطْفِ مَعْنَاهُ
٤ سَاجِي الْجُفُونِ وَقَاحُ الْوَجْهِ مَا جَنَّهُ مَفَرَّغُ الْبَالِ عَمَّنْ بَاتَ يَهْوَاهُ
٥ يَقْتَرُّ عَنْ مَبْسَمٍ يَا مَا أُمْلِحْهُ يَجُولُ فِيهِ رُضَابٌ مَا أَحْيَلَاهُ
٦ كَالْوَرْدِ وَجَنَّتُهُ ، وَالشَّهْدِ رِيْقَتُهُ وَالسَّلَكِ مَبْسِمُهُ ، وَالْمِسْكِ رِيَّاهُ
٧ بَدْرٌ ، وَلَكِنْ سَوَادُ الْعَيْنِ مَطْلَقُهُ ظَبْيِي وَلَكِنْ سُوَيْدَا الْقَلْبِ مَرْعَاهُ
٨ يَهْتَزُّ عَنْ قَامَةٍ سُبْحَانَ مَبْدِعِهَا قَدْ تَوَجَّتْ وَجْنَةً : تَبَارَكَ اللَّهُ !

- ٩ لولا تَجْنِيهِ قُلْتُ: الْخُلْدُ مَنْشُؤُهُ
 ١٠ شَوِيدَنْ صَاغَهُ بَارِيهِ مِنْ فِتَنِ
 ١١ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ بَلْ أَذْنَى مَلَامِحِهِ
 ١٢ يَا جَنَّةً عَذَّبْتُ قَلْبِي بِنِعْمَتِهَا
 ١٣ تَمَنَّتِ النَّفْسُ لَوْ تَحْطَى بِمُنِيِّتِهَا
 ١٤ مَنْ لِي عَلَى غَلَّتِي بِرَشْفِ ذِي أَشْرِ
 ١٥ دَبَّتْ عَلَى خَدِّهِ لِلصَّدُغِ عَقْرُبُهُ
 ١٦ يَا بَذْرَ سَعْدٍ هَدَى نَفْسِي لِضِلَّتِهَا
 ١٧ رُحْمَاكَ فِي عَاشِقِي قَدْ عَادَ أَمِيرُهُ
 ١٨ خَلَعْتُ فِيكَ عِذَارِي إِذْ بَدَأَ عُدْرِي
 ١٩ نَمِّ مِلءَ عَيْنِكَ يَا مَنْ ظَلَّ يُسْهِرُنِي
 وَأَنْ رِضْوَانَ فِي الْفِرْدَوْسِ رَبَّاهُ
 أَغْدَى الْخُطُوبِ عَلَى الْإِنْسَانِ مَرَاهُ
 أَلْذُ مَا حَوَتْ الدُّنْيَا وَأَشْهَاهُ
 فَمَا أَمَرَ جَنَاهَا لِي، وَأَحْلَاهُ
 أَعَزُّ مَا لِمَحَبٍّ مَا تَمَنَّاهُ
 كَأَنَّمَا أَشْرَبْتُ شَهْدًا ثَنَائِيَاهُ
 فَقَدْ حَسْتُ عَنْ جَنَى وَهْمٍ حُمِّيَاهُ
 وَطَبَّيْتُ بُعْدَ لِقَائِي سَاقَ بُلُوَاهُ
 بِالْحُبِّ مَنْ كَانَ جَهْلًا عَنْهُ يَنْهَاهُ
 فِي مَنَظَرٍ قَدْ وَشَى فِيهِ عِذَارَاهُ
 إِنْ رُمْتُ عَنْكَ سُلُوءًا زَادَنِي اللَّهُ!

[١٨]

جَوْ الْقَصِيدَةِ :

يتوجّه الشاعر في هذه القصيدة الغزلية بالخطاب - في البيت الأول - إلى المحبوبة مباشرة (١) ثم يلتفت ويجري الحديث بضمير الغيبة فيصفها وصفاً عاماً ويتوقّف عند تفصيلات مختلفة يحاول - من خلالها - أن يرسم صورة باهرة لها مستفيداً من معطيات الجمال المتعددة بوسائل التعبير المباشرة وغير المباشرة - وخصوصاً فن التشبيه - (٢ - ١١) ويصفها بأنها جَنَّتْهُ التي يَتَمَنَّاها ويطمح إليها أو إلى شيء يقربه إليها ، ويشكو من الحرمان الذي وصفه بأنه عذاب (١٢ - ١٥) ؛ ويعود الشاعر ثانية إلى المخاطبة يدعوها إلى الرّفق به وإسعافه بما يقنع به العاشق المندف (وإن قلّ) (١٦ - ١٨) ويختتم بإظهار تولّيه حتى صار حُبُّه شهرة بين الناس ، وتوكيد موالاة حُبّه على رغم عذابه وجرمائه ، وعدم السلو عنه .
 الشروح :

(١٤) أشر الأسنان : التحزير الذي يكون فيها خِلْقَةٌ ، ومُستعملاً .

(١٦) في ط : شاق بلواه !

(١٩) أي زاده الله عناء من الحبّ وسهر آمن العشق .

وقال أيضاً :

- ١ يا لَيْلَةً قَدْ كَسَاهَا النُّورُ سِرْبَالَا
- ٢ إِذْ مَعْطَفِي لِلصَّبَا لَدُنْ الْمَهْزَةِ إِنَّ
- ٣ وَإِذْ رِيَاضُ الْمُنَى تُجْلَى زَوَاهِرَهَا
- ٤ بَحِثْ أَجْرِي مَعَ اللَّذَاتِ فِي طَلْقِ
- ٥ يَا لَيْلَةً مَارَاتُهَا عَيْنُ شَائِبَةٍ
- ٦ تَخَلَّصَتْ عَنْ قَذَى شَوْبِ خُلَاصَتِهَا
- ٧ رَاقَتْ مُحَاسِنُ إِذْ رَقَّتْ شَائِلُنَا
- ٨ لَيْلُ أَعَارَ شُعُورَ الْغَيْدِ حُلُكَّتَهُ
- ٩ بَاتَتْ لِحَاطِظِ الْأَمَانِي فِيهِ تَلَحَّظْنَا
- ١٠ بَتْنَا مِنَ الْأُنْسِ فِي نَعْمَاءِ تَشْمَلُنَا
- ١١ فِي فِتْنَةٍ حُلُوةِ الْأَخْلَاقِ حَالِيَةٍ
- ١٢ نُدِيرُ لِلوُدِّ كَاسَاتٍ مُمَحَّضَةً
- ١٣ وَبَاتَ سَاقِي الْحُمَيَّا طَوْعَ سَلَوَتِنَا
- ١٤ قَدْ سَلَّ صَارِمَ رُمُحٍ مِنْ سُلَافَتِهِ
- ١٥ صَفْرَاءُ رَقَّتْ وَرَاقَتْ جَوْهَرًا وَسَنَاءُ
- ١٦ إِمَّا هَتَكُنَا بِكَفِّ الْمَرْجِ سُتْرَتَهَا
- ١٧ بَتْنَا بِهَا مِنْ رِيَاضِ الْأُنْسِ فِي دَعَةٍ
- ١٨ إِلَى أَنْ أَسْتَدْبَرَ الشَّرْقَ الْهِلَالُ سُرَى
- ١٩ وَأَقْبَلَ الصُّبْحُ فِي جَيْشِ الصَّبَا مَلِكًا
- ٢٠ كَأَنَّا اللَّيْلُ زَنْجِيٌّ غَدَا نَهْلًا
- ٢١ كَأَنَّا الْأَفُقُ كَأْسٌ لِلدُّجَا جَمَدَتْ
- ٢٢ يَا حُسْنَهَا لَيْلَةً لِلْأُنْسِ قَدْ ثَمَلَتْ
- جَرَزْتُ فِيهَا لِبَرْدِ الْأُنْسِ أَذْيَالَا
- هَبَّتْ صَبَّاهَبٌ ، أَوْ مَالِ الصَّبَا مَالَا
- قَدْ أُلْبَسْتُ مِنْ حُلَى أَزْهَارِهَا خَالَا
- وَأَثْنِي فِي بُرُودِ اللَّهِوِ مُخْتَالَا
- قَدْ أَشْكَلْتُ لِصُرُوفِ الدَّهْرِ إِشْكَالَا
- تَخَالُهَا فِي مُحْيَا دَهْرِهَا خَالَا
- وَالْحَالُ تَحْسُنُ إِمَّا نَاسَبَتْ حَالَا
- وَزَرَ مِنْ وَضَحِ الْوَجَنَاتِ سِرْبَالَا
- أَمْنًا ، وَأَغْفَى رَقِيبُ الدَّهْرِ إِغْفَالَا
- فِي صُحْبَةٍ سَحَبَتْ لِلْحُسْنِ أَذْيَالَا
- ذَوِي حَوَاشٍ رِقَاقٍ رُقْنِ أَحْوَالَا
- بَحِثْ نَجْنِي جَنَى الْأَشْمَارِ أَتْقَالَا
- يُدِيرُ بِالرَّاحِ رَاحًا دَرُّهَا سَالَا
- بِهِ عَلَى حَبَشِي اللَّيْلِ قَدْ صَالَا
- قَدْ رَاضَ أَحْوَالَهَا التَّقْيِيفُ أَحْوَالَا
- أُرْخَتْ لَنَا دُونَ صَرْفِ الْمَهْمِ أَحْجَالَا
- نَجْنِي قُطُوفَ الْأَمَانِي مِنْهُ أَمَالَا
- عَنْهُ ، وَلَبَّى دُعَاءُ الْغَرْبِ إِهْلَالَا
- عَنْتُ لَهُ سُرْبَةُ الظُّلَمَاءِ إِجْلَالَا
- فِي حُمْرَةٍ مِنْ سَنَا الْإِصْبَاحِ فَاخْتَالَا
- بَحِثْ ضِيَاءَ الصُّبْحِ جَرِيَالَا
- مِنْ عَشِقِهَا أَصْفَرَتْ الْأَيَّامُ أَصَالَا !

جَوْ الْقَصِيدَةِ :

يعود الشاعر بذاكرته إلى أطياف ليلة أنس ملأت عليه نفسه وقلبه : ليلة منيرة ذات أنس ؛ جرت فيها آماله بلا حدود ؛ ليلة مرّت لدن كان الشاعر يرفل في أثواب الصّبا السّابعة (١ - ٤) . ثم يفصل في مزايا تلك الليلة وخصالها ! لقد كانت ساعات أنس خالصة رائقة ، وكأنها قدّت من زمان أسطوري ، انطلقت فيها الأماني وغاب الرّقباء ، وانفسح مجال الأنس (٥ - ١٠) ، لقد كانت تلك اللّيلة ظرفاً التقى فيه أصحاب خلّص ذوو خصال متيّزة في سمر عذب ، رقيق الحواشي ؛ امتدّ من أوّل الليل إلى مطلع الفجر (١١ - ١٢) . واستعار الشاعر للتّمر وأحاديث الوّد عبارات مجالس الأنس ومفردات الخمرة وما يتعلّق بها ، مستفيداً من تراث شعراء وصف الخمرة ، ومن الشعراء الصّوفيّة الذين اتخذوا من ألفاظها أحياناً رموزاً لمعانهم (١٣ - ١٧) وتنتهي اللّيلة بظهور بشائر الصباح (١٨ - ١٩) . ويرسم الشاعر مشهد الوداع بين الليل وإطلالة الصباح (٢٠ - ٢١) ، ويختم بالتعجب من حسن تلك اللّيلة الغريبة .

الشروح :

- (٣) في ط : تُجلى أزاهرها . والخال : نوع من الثياب .
 (٥) هي ليلة حُسنها صرف لا تشوبه شائبة ، ومنعت صروف الدّهر من الاقتراب .
 (٦) يقال : شابه شَوْباً أي خلطه ومزجه .
 (١٢) النُّقل : ما يُنْقَلُ به على الشراب ، وردت الكلمة عند بعض اللغويين بفتح النون كما عند الأزهري وابن دريد ، وبالضم كما في الصّحاح . ولم أجد في جمعها صيغة أنقال .
 (١٦) في ط : لمّا هتكنا .
 - وفي اللسان : الحَجَلَةُ بيت يُستر بالثياب ويكون له أزرار كبار . وفي الحديث : (ليس لبيوتهم ستور ولا حجال) . والجمع حجل وحجال . ولم أجد (الأحجال) جمعاً لحجلة بهذا المعنى .
 (١٨) أهلّ (الهلال) : ظهر .
 (١٩) السُّربة : الجماعة ، وعنت الوجوه : خضعت .

(٢١) الجريال : صبغ أحمر . وجريال الذهب : حُمْرته .

(٢٢) في ط : قد شملت .

[٢٠]

وقال أيضاً :

[من الكامل]

- | | |
|---|----|
| هذي الحُدُوجُ فأَيْنَ عُفْرُ ظِبَائِهَا | ١ |
| غَرَبَتْ أُولَى وَتَغَرَّبَتْ هَاتِي فَلَا | ٢ |
| وَلَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى الدِّيَارِ مُسَائِلًا | ٣ |
| مُتَرَدِّدًا فِي مِثْلِ جِشْمِي فِي الْبَلَى | ٤ |
| دِمْنٌ مَحَتْ أَيْدِي الدُّرُوسِ طُرُوسَهَا | ٥ |
| نَوْيٌ تَرَأَى مِثْلَ عَطْفَةِ نُونِهِ | ٦ |
| يَاهْلُ تَبْلُغْنِي الْجِيَادُ مَنَازِلًا | ٧ |
| مِنْ كُلِّ أَشْوَسٍ لِلْعَوَاصِفِ يَنْتَمِي | ٨ |
| مِنْ أَشْقَرِ كَالْبَرْقِ فِي وَمَضَاتِهِ | ٩ |
| وَلَرَبَّ لَيْلَةٍ أَنْطَوْتُ مِنِّْي عَلَى | ١٠ |
| مُتَبَطِّنًا نَهْدًا أَحَمَّ رَفَعْتُ مِنْ | ١١ |
| مُتَكَبِّبًا زَوْرَاءَ مِثْلِ هِلَالِهَا | ١٢ |
| مُتَقَلِّدًا عَضْبًا كَوَثِرَ صَبَاحِهَا | ١٣ |
| أَعْدُوا وَأَخْتَرِقُ الْمَفَاوِزَ مُدْلِجًا | ١٤ |
| فِيحَ تَعَاوَرَهَا الْجَنَائِبُ وَالصَّبَا | ١٥ |
| قَدْ ظَلَّ فِيهَا النَّجْمُ رَهْنٌ مَضْلَّةٍ | ١٦ |
| هَيْهَاتَ مَا فِي الْأَرْضِ مَوْضِعُ رَاحَةٍ | ١٧ |
| أَنْى لَا يَأْمِي قَضَاءُ مَا رَبِّي | ١٨ |
| عَجَبًا لِأَزْمَانٍ تَسْرُ عَيْبِهَا | ١٩ |
- هذي البرُوجُ فأَيْنَ زُهْرُ سَمَائِهَا
أَثَرُ لِمَرَّأَهَا وَلَا لِرَوَائِهَا
أَطْلَالُهَا بِالْعَهْدِ عَنْ أَطْلَائِهَا
لَوْ لَا تَبَايُنَ وَجْدِهِ وَشَفَائِهَا
لَمْ يَبْقَ مِنْهَا غَيْرُ وَهْمٍ بَقَائِهَا
وَأَشَافٍ أَلْتَاحَتْ كَعُجْمَةٍ ثَائِهَا
قَلْبِي نَزِيلٌ فِي حِمَى نَزْلَائِهَا
فِي مَرَّهَا وَكَرُورِهَا وَعِدَائِهَا
أَوْ أَشْهَبَ كَالشُّهْبِ فِي أَضْوَائِهَا
مِثْلَ الصَّبَاحِ أَجُولُ فِي أَرْجَائِهَا
دَاجِيهِ مَا مَزَقْتُ مِنْ ظُلُمَائِهَا
مُتَأَبِّطًا زُرْقًا كَشْهَبِ سَمَائِهَا
ضَاهَتْ حَمَائِلُهُ ثَنَى جَوَازِهَا
أُرْمِي بِأَنْجِدِهَا إِلَى (أَحْسَائِهَا ؟)
فَنَجُومُهَا لَا يَهْتَدِي بِضِيَائِهَا
وَعَدَا يَتِيَهُ الذِّيبُ فِي تِيْهَا
ذُو رَاحَةٍ لِلنَّفْسِ مِنْ أَعْبَائِهَا
شَتَّانَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ قَضَائِهَا !
وَتُسَيِّءُ لِلْأَحْرَارِ مِنْ أَبْنَائِهَا !

جَوْ القصيدة :

يبدأ الشاعر القصيدة بطلع طلليّ فيه وقوف على آثار الحبيبة وترداداً للنظر في ذلك الباقي في ديار قومها بعد رحيلهم مثل الدمنة والنّوي (١ - ٦) ، ويتمنى لوتنقله الخيل إلى ديار المحبوبة الجديدة ، ويذكر بعض الجياد التي يطمح أن تكون وسيلته في الانتقال السريع (٧ - ٩) ، ويخرج إلى ملح حماسيّ يذكر فيه بعض مغامراته في ركوب الخيل واقتحام الآفاق بلباس الحرب غير هيّاب للمفاوز والقفار ، ولا اللّيل والظلمات (١٠ - ١٦) ، ويقول إن همته عالية لا تفي أيتامه - وإن طالت - بالوفاء بها لتشعب مطالبها وأهيتها (١٧ - ١٨) ؛ ويختم بيت أخير (١٩) فيه شكوى - من باب شكوى الشعراء - من حقه المهضوم ومكانته المضئعة !

الشروح :

- (١) الحدود جمع الحدج : مركب للنساء كالخفّة ؛ والأعفر من الظباء ما يعلو بياضه حُمرة .
- (٢) (أولى) من أسماء الإشارة للجمع . و (هاقي) للإشارة إلى المؤنثة . والرّواء : ماء الوجه وحسن النظر .
- (٣) الأطلاء جمع طلاء وطلّو : ولد الظبي ساعة يولد ؛ والصّغير من كلّ شيء .
- (٥) دمن جمع دمنة : آثار الدار ، والناس ؛ وما سوّد من آثار الناس والدواب وتلبّد .
- (٦) النّوي : الحفير حول الخيمة يمنع عنها ماء المطر ويُبعدة ؛ شبه النّوي بحرف النون لتجويفه واستدارته . ثم شبه الأثافي (وهي ثلاثة أحجار يوقد عندها أو حجران مع ثالث من الصّخر وغيره من أصل الأرض والجبل) فقال إنها تشبه ثلاث تقط حرف الشاء (من الأثافي) !
- (٨) الأشوس الذي فيه صفة الشّوس : إذا عُرف في نظره الغضب والحقد ، (ويكون ذلك من الكبر) ، والشّوس : النظر بمؤخر العين تكبراً أو تغيظاً . جعل الصفة للفرس .
- (٩) الأشقر من ألوان الفرس ، وهو أن يحمرّ لونه كلّهُ . والأشهب : الأبيض .
- (١١) الفرس النّهد : الحسن ، الجميل ، الجسم ، اللّجيم ، المُشرف . والأحَمّ : الأسود من كل شيء ، والأبيض (ضدّ) .

- (١٢) الزّوراء : القوس . الزّرق جمع أزرق : وهو النّصل . وفي الصّحاح قال ابنُ السّكّيت : نصلّ أزرق بين الزّرق ، إذا كان شديد الصّفاء .
- (١٣) العضب : السّيف ، والوتر : الفرْد .
- (١٤) أدلج : سار (مسافراً) من أول الليل .
- وقوله (أحسائها) رسمت في ط : أجناؤها . والكلمة مطموسة في الأصل تقريباً . وهي مقدّرة مني تقديراً .
- (١٥) الفَيْحُ : السّعة . والأفَيْحُ : ذو الفَيْح . والمؤنثة : فيحاء . والجمعُ : فيح . والجَنُوب : ريح تخالف الشمال والجمع جنائب .
- (١٦) المضلة : ضد الهدى . وأرضٌ مضلةٌ : يضل فيها الطريق . والتهيء من الأرض : المضلة .

[٢١]

وقال أيضاً :

[من الكامل]

- | | | |
|----|--|--|
| ١ | اللهُ يَكْفِي عَادِلِي وَرَقِيبَهَا | حَتَّى تُثِيبَ عَلَى الْهَوَى وَأُثِيبَهَا |
| ٢ | مَا كَانَ ضَرٌّ وَقَدْ عَصَيْتُ عَوَادِلِي | أَنْ لَمْ تَكُنْ تَعْصِي كَذَاكَ رَقِيبَهَا |
| ٣ | وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى اخْتِلَاسَةِ لَحْظَةٍ | مِنْهَا ، وَتَقْتُلُ بِالصُّدُودِ كَيْبَهَا |
| ٤ | أَمِنْ الْمُبَاحِ تَرَوْنُ فِي حُكْمِ الْهَوَى | أَنْ لَا تَرَى عَيْنُ الْمُحِبِّ حَبِيبَهَا |
| ٥ | قَسَمًا بِمَنْ تُحْدَى الرِّكَابُ لِبَيْتِهِ | فَتُبِينُ مِنْ أَلَمِ الْبِعَادِ نَحِيبَهَا |
| ٦ | مَا لِلنَّفُوسِ سِوَى الْأَحْبَةِ رَاحَةً | دَانُوا بِنُعْمَى أُمِّ رَضُوا تَعْذِيبَهَا |
| ٧ | مَنْ لِي عَلَى عَطَلِي بِبَاهِرَةِ الْخُلَى | تُنْسِي النُّجُومَ الطَّلَاعَاتِ غُرُوبَهَا |
| ٨ | صَمَتٌ خَلَاحِلُهَا وَأَنْ وَشَاحُهَا | وَكِلَاهُمَا مِثْلِي غَدَا مَوْصُوبَهَا |
| ٩ | تَلْوِي عَلَى لَدُنِ الْغُصُونِ بُرُودَهَا | وَتَشْقُ عَنْ بَذْرِ الدُّجُونِ جُيُوبَهَا |
| ١٠ | لَمِيَاءٌ تَبْسِمُ عَنْ عَقُودِ لَالِي | يَا بَرْدَ كَبْدِي لَوْ رَشَفْتُ شَنِيْبَهَا |
| ١١ | مَا خِلْتُ أَنَّ الرِّيقَ مِنْهَا خَمَرَةٌ | حَتَّى رَأَيْتُ بِخَدِّهَا الْهُوْبَهَا |
| ١٢ | أَوْ أَنَّ عَرَفَ الرُّوضِ مِنْ أَنْفَاسِهَا | حَتَّى شَمَمْتُ عَلَى الْأَزَاهِرِ طِيْبَهَا |

- ١٣ أو أنْ مُقْلَتَهَا تُغَيِّرُ عَلَى الْوَرَى حَتَّى غَدَوْتُ طَعِينَهَا وَسَلِيْبَهَا
 ١٤ ثُعْلَيْتُهُ الْأَلْحَاطِ أَصَمْتُ مُهْجَتِي بِظُبَا سِهَامٍ لَا عَدِمْتُ نُدُوبَهَا
 ١٥ خَضَبْتُ أَنْامِلَهَا النَّوَاعِمَ مِنْ دَمِي عَمْدًا ، وَقَلَّدْتُ الْفَوَادَ ذُنُوبَهَا
 ١٦ يَا رَبِّ إِنَّ حَالَتُ عَلَيَّ وَلَمْ أَحُلْ عَنْهَا فَكُنْ يَوْمَ الْحِسَابِ حَسِيبَهَا

[٢١]

جَوْ الْقَصِيْدَةِ :

يشكو الشاعر من عاذله ، ومن رقيب المحبوبة المذكورة في هذه القصيدة الغزلية (١ - ٤) ،
 ويقسم أن راحته لا تكون بغيرها - لا يحب غيرها - (٥ - ٦) ، ويخرج إلى وصف محاسنها
 في استطراد وإطالة بالقياس إلى عدد أبيات القصيدة (٧ - ١٥) ، ويرجو - وهو يدعو -
 ألا تحول عن عهده ولا تتحول عن محبته (١٦) .

الشروح :

- (٦) يقال : رضي الشيء وارتضاه ، ورضي به ، وعنه ، وعليه .
 (٨) الوصب : المرض .
 (٩) جيب القميص : طوقه ، وما ينفتح منه على النحر والجمع جُيوب وأجياب .
 (١١) في ط : بخذها أسلوها .
 - يريد بالأهدوب : التلُّهَب والتَّوهَج ، وقد استعملها مرّة أخرى (تُنظر القصيدة ١٦
 البيت ١٨) .
 (١٤) الظُّبَا جمع الظُّبَّة : حدّ سيف أو سنان أو نحوه .
 وقوله ثُعْلَيْتُهُ الْأَلْحَاطِ إشارة إلى قول الشاعر (وهو امرؤ القيس / ديوانه : ١٢٣)
 رَبِّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثُعْلٍ مَخْرَجَ كَفْيِهِ مِنْ سِتْرِهِ
 الأبيات . وبنو ثعل قبيلة من طيئ يُنسب الرُّمِي إليهم ، منهم عمرو صاحب القتر (وهي
 بيوت الصائد التي يكن فيها لئلا يفطن له الصيد فينفر منه) .
 (١٦) حال الشيء يحول : تحول أو تغَيَّر . وحال عن العهد : انقلب .

وقال أيضاً :

[من السريع]

- | | | |
|----|--|---|
| ١ | صَدَعَتْ أَكْبَادِي صَدْعَ الزُّجَاجِ | وَشُبَّتَ لِي الْعَذْبَ بِمِلْحِ أَجَاجِ |
| ٢ | وَسُمَّتَ قَلْبِي بَرْحَاءَ النَّوَى | فَمَا لَهَا خَاصَمَةٌ مِنْ عِلاجِ |
| ٣ | يَا أَيُّهَا الرَّاحِلُ يَطْوِي الْفَلَاحَ | تَرْمِي بِهِ الْفَيْحُ شُعُوبَ الْفِجَاجِ |
| ٤ | قَدْ لَاحَ كَالْبَدْرِ يَشُقُّ الدُّجَا | بِأَشْهَبِ كَالْبَرْقِ يَجْلُو الْعِجَاجِ |
| ٥ | وَنَظَّمَ الْأَنْجَمَ عَنْ شَكْوَى | فَلَلِدِّياجِي عَنْ سَنَاءِ انْفِرَاجِ |
| ٦ | مُشْتَرًّا عَنْ سَاعِدِ الْجَدِّ لَا | يَلْوِي عَلَى ذِي لَوْعَةٍ وَاهْتِيَاغِ |
| ٧ | لَيْسَ لَهُ قَصْدٌ سِوَى غَارَةٍ | يَشْنُهَا أَوْ خَوْضَةٍ فِي هِرَاجِ |
| ٨ | تَاللَّهِ مَا الْأَبْطَالُ مَظْلُومَةٌ | تُكَافِحُ الْأَبْطَالُ يَوْمَ الْهِجَاغِ |
| ٩ | فِي مَأْزِقِ ضَنْكٍ ، لِقَرَعِ الْقَنَاقِ | بِالْبَيْضِ فِيهِ ضَجَّةٌ وَارْتِجَاغِ |
| ١٠ | قَدْ صَافَحَتْ فِيهِ الصَّفَاحُ الطُّلَا | وَاسْتَتَبَعَتْ سُمُرَ الرِّمَاحِ الزُّجَاجِ |
| ١١ | أَسْوَأَ حَالًا مِنْ مُحَبٍّ لَهُ | فِي الصَّدْرِ مِنْ حُبِّكَ أَدْنَى اخْتِلَاجِ |
| ١٢ | يَا رَشَاءَ مُفْتَرِسًا لِلنُّهَى | مِثْلَ افْتِرَاسِ الْأُسْدِ سِرْبَ النَّعَاجِ |
| ١٣ | أَصْبَحْتَ كَالْبَدْرِ فَلَا غُرُوَانَ | تُمِيسِي مَـبَايِنَ سُرَى وَادِّلاجِ |
| ١٤ | أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ حَبِيبًا نَأَى | عَنِّي فَدَهْرِي بَعْدَهُ فِي لَجَاجِ |
| ١٥ | إِنْ تَجَمَّعَ الْأَيَّامُ شَمْلِي بِهِ | لَمْ تَبْقَ لِلنَّفْسِ عَلَى اللَّهِ حَاجِ |

جَوَّ القصيدة :

القصيدة غَزَلٌ ملفوفٌ بالحماسة : يبدأ الشاعر بيتين يتوجه الخطاب مباشرة إلى المحبوبة (بصيغة الحبيب) يذكر فيها حبّه ولوعته ، ثم يتوجه بالخطاب إلى رجل موصوف بصفات الفروسية والبطولة والشجاعة والجِدِّ والإقدام (٣ - ٧) وحديثه هنا عن نفسه ؛ ثم يتابع في استدارة تشبيهية ليقول إن حال المحارب في أقسى أوقات القتال واللقاء أخف وطأة من حال

المحبّ وقد خالجه حبّ المحبوبة (يعني المخاطبة بالمطلع ١ ، ٢) ، ثم يخاطب المحبوبة مباشرة بصفة الرّشأ (يارشأ) (١٢) مستغلاً بعض الصّور (١٣) ، ويختم بيتين آخرين يذكر فيها الحبيبة البعيدة ، ويدعو الله أن يحميها ، ويتمنى لو أتيّح له اجتماع الشمل ، فإن كان له ماتمّنّى ، فقد استنفد أماله وأمانيه !

الشروح :

- (١) الصّدُع : الشّقّ (في شيء صلب) . وشابّ : خلط . والأجاج : الملح المرّ من الماء كماء البحر . وهذا البيت هو صياغة لبيت لابن عبد ربّه على وزن مختلف ، وهو قول ابن عبد ربّه (ديوانه : ٤٣) :
- (٢) صدّعت قلبي صدع الزّجاج ماله من حيلة أو علاج
سامّة الأمر : كلفة إيّاه وألزمه به . والبرحاء : شدة الأذى . والنوى : البعد . وخامرة الداء : خالطة .
- (٣) الفيح : جمع الأفيح والفيحاء ، بمعنى الواسع . والفيجاج : جمع الفجّ ، وهو الطريق الواسع بين جبلين .
- (٤) الأشهب : الأبيض المختلط بالسّواد ؛ يريد قرساً . والعجاج : الغبار .
- (٥) شكّ الشيء بالرمح : انتظمه . والسنا : الضوء الساطع .
- (٦) لا يلوي عليه : لا ينتظره .
- (٧) هرّج الناس هرّجاً : وقّعوا في فتنة واختلاط .
- (٨) الضنك : الضيق . القنا : الرّماح ، جمع قنّاة . والبيض : السيوف .
- (٩) الصّفاح : السيوف ، جمع الصّفيحة . والطلا : جمع الطلّاة ، وهي العنق . والزّجاج : جمع الزّجّ ، وهو الحديد التي في أسفل الرّمح .
- (١٠) الرّشأ : ولد الطّبية إذا قوي وتحرك ومشى مع أمّه . والنهى : العقل .
- (١١) أدلج القوم إدلاجاً : ساروا من آخر الليل . وسرى : سار عامة اللّيل .
- (١٢) لجّ لجاجاً : تمادى في العناد إلى الفعل المزجور عنه .
- (١٣) الحاج : جمع الحاجة .

وقال أيضاً :

[من الخفيف]

- | | | |
|----|---|--|
| ١ | أَيُّ حُسْنٍ عَلَى ظَهْرِ الْمَهَارَى | قَدْ تَوَلَّى وَأَيُّ نُورٍ تَوَارَى |
| ٢ | أَقْمَرُ مَا أَنْجَلَتْ لِعَيْنِي دُجَاً | إِلَّا وَغَارَ الصَّبَاحُ مِنْهَا فَغَارَا |
| ٣ | قَطَعَ الْقَلْبُ فِي هَوَاهَا زَمَاناً | وَقَضَى لِلصَّبَا بِهَا أَوْطَارَا |
| ٤ | أَزْمَنْ قَسْدٍ مَضَتْ بِيَرْدٍ نَعِيمٍ | غَادَرْتُ بَعْدَهَا الضُّلُوعَ حِرَارَا |
| ٥ | لَمْ تَكُنْ غَيْرَ لُحْجٍ بَرَقَ تَرَاى | أَوْ خِيَالٍ قُرْبِ الصَّبِيحَةِ زَارَا |
| ٦ | بَارِقَاتٍ أَعْرَنَ قَلْبِي خُفُوقاً | وَبُودُورٍ أَوْرَثَنَ جِسْمِي سِرَارَا |
| ٧ | قَدَحَ النَّارِ نُورُهَا فِي فَوَادِي | وَامْتَرَتْ مَقْلَتِي حَيّاً مِثْرَارَا |
| ٨ | أَهْ مِنْ ذَا الْبِعَادِ قَدْ ضَاقَ ذَرْعِي | أَسْأَلُ اللَّهَ حِسْبَةً وَاصْطَبَارَا |
| ٩ | يَا نَسِيّاً سَرَى لِأَقْرَبِ عَهْدٍ | بِحِمَاهُمْ حَدَّثَنِي الْأَخْبَارَا |
| ١٠ | كَيْفَ غَرْنَاطَةٌ وَمَنْ حَلَّ فِيهَا | حَبْذا السَّاكِنُونَ تِلْكَ السَّدْيَارَا |
| ١١ | كَيْفَ أَحْبَابٌ مُهَجَّتِي رُوحَ رُوحِي | نُورَ عَيْنِي ؛ الْجَاذِرَ الْأَقْمَارَا |
| ١٢ | هَلْ لَهُمْ مِنْ تَشَوُّفٍ لِإِيَابِ | أَمْ أَنَاخُوا بِهَا وَقَرُّوا قَرَارَا |
| ١٣ | وَعَلِيمَ الْغُيُوبِ لَا حُلَّتْ عَنْهُدَا | عَنْ هَوَاهُمْ وَلَا خَفَرْتُ ذِمَارَا |
| ١٤ | مَنْ رَسُوْلِي إِلَى حُبِّبِ قَلْبِي | بُعْثِي حَيْثُ مَا شَوَى وَاسْتَطَارَا |
| ١٥ | لِيُوَدِّيَ تَحِيَّةً مِنْ مُحِبِّ | يَفْضَحُ الرَّنْدَ نَشْرُهَا وَالْعَرَارَا |
| ١٦ | وَيُعِيدَ السَّلَامَ مِنْهُ أَرْجَاً | طَيِّبَ الْعَرْفِ نَافِحاً مِعْطَارَا |

جَوَّ الْقَصِيدَةِ :

تبدأ القصيدة بالإشادة بحسن الفتاة (المقصودة) التي رحلت يوم أن رحل قومها ، فغاب
 برحيلهم الأقرار (١ - ٢) ل ويتذكر من المحبوبة أياماً مضت سريعاً ولم تكن غير ملح
 برق ... أو خيال (٣ - ٧) ، ويشكو البعد والفراق (٨) ، ويلتفت إلى غرناطة التي

احتوت الأحبة وضمتهم إليها ، وقد مال قلبه إليها ، ويسألها عن الأحبة ما حالهم ؟ وهل في نيتهم العودة إلى حيث يقيم الشاعر (وبلده مدينة المريّة) (٩ - ١٣) ، ويتساءل هل يجد رسولاً ثقةً يحمل منه تحية طيبة إلى حبيبة القلب ، ويرجع منها تحية عاطرة تملأ الشم والقلب عباقراً وشذى (١٤ - ١٦) .

الشروح :

- (١) المهارى : جمع المهرية وهي إبل منسوبة إلى مهرة بن حيدان .
- (٢) دجاً : منصوب على الظرفية الزمانية . وغار (الأولى) : أظهر الغيرة . وغار (الثانية) : غاب .
- (٣) الأوطار : جمع الوطر ، وهو الحاجة .
- (٦) السّرار : آخر ليلة في الشهر يستبرئ فيها القمر .
- (٧) امترى الشيء : استخرجه . وألحياً : المطر .
- (٨) ضاق ذرعاً بالأمر : شق عليه ، وعجز عنه . والحسبة : ادّخار الأجر عند الله .
- (١٠) غرناطة : كانت عاصمة آخر مملكة إسلامية في الأندلس تحت ظل أمراء بني الأحمر وسلاطينهم ، وكانت في أول العهد الأندلسي تابعة لمدينة البيرة ، ثمّ صارت هي الحاضرة : وهي مدينة عظيمة صارت إحدى مدن الأندلس المشهورة عمراناً وأهميةً ، ولا يزال قصر الحمراء آيةً تدلّ على عظمة تلك المدينة وتقدمها ؛ تقع المدينة في منطقة جميلة غنيّة بالمياه وللزروع ، ويشقّها نهر (حدّاره) . وتطلّ على المدينة جبال (شلير) التي تكسوها الثلوج ؛ وتقل لسان الدين بن الخطيب في (الإحاطة) عن الرازي قوله في وصف غرناطة : إنّ فحَصَهَا (السهل المحيط بها) لا يُشَبَّه بشيء من بقاع الأرض طيباً وشرفاً إلا بالغوطة ، غوطة دمشق .
- وكانت هذه المدينة آخر قلاع المسلمين سقوطاً بيد الإسبان القشتاليين وحلفائهم . وقد ألف لسان الدين بن الخطيب كتابه (الإحاطة في أخبار غرناطة) للتعريف بها . وذكرها في كتابه (اللمحة البدرية في الدولة البصرية) وفي رسائله وكتبه الأخرى ، وانظر أيضاً : (الرّوض المعطار في خبر الأقطار) للحميري : ٢٣ - ٢٤ ، و (المغرب في حلى المغرب) لابن سعيد ١٠٢/٢ - ١٠٤ ، و (معجم البلدان) لياقوت : ١٩٤/٤ - ١٩٥ .
- (١١) الجاذر : جمع الجؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

(١٢) التَّشَوُّفُ : التَّطَلُّعُ ، وَالطَّمُوحُ لِلأَمْرِ .

(١٣) حَالَ عَهْدًا : تَغْيِيرَ عَهْدًا . وَخَفَرَ الْعَهْدُ : تَقَضَّه . وَالذَّمَارُ : مَا يَنْبَغِي الذُّودُ عَنْهُ .

(١٥) الرُّنْدُ : شَجَرٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ ، وَالْعُودُ ، وَالنَّشْرُ : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ . وَالْعَرَارُ : بَهَارٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ .

(١٦) الْعَرَفُ : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَتُسَمَّى الرَّائِحَةُ أَيًّا كَانَتْ عَرُفًا .

[٢٤]

وقال أيضاً :

[من الخفيف]

- ١ لَاحَ مَرَأَى فَقُلْتُ : بَدَّرَ الدُّجُونِ
 - ٢ وَرَنَا لِي فَقُلْتُ : ظَبْيِي كِنَاسِ
 - ٣ أَيْنَ ، لَا أَيْنَ مِثْلُ ذَاكَ الْمُحَيَّا
 - ٤ مَنْ لِفُصْنِي بِلَيْنِ ذَاكَ التَّثْنِي
 - ٥ مَنْ لَأُسْدِ الشَّرَى بِذَاكَ التَّعْدِي
 - ٦ مَا أَظُنُّ الْإِلَهَ أَبْدَعَ شَخْصًا
 - ٧ يَاطْوِيلَ الْمَطَالِ مِنْ غَيْرِ عُذْرِ
 - ٨ لِي عَلَى مُقْلَتَيْكَ قَدَمًا دِيُونُ
 - ٩ بَيْنَ عَيْنِي وَوَجْتَيْكَ حَدِيثُ
 - ١٠ مَنْ نَصِيرُ الْفَوَادِ مِنْ صَدِّ ظَبْيِي
 - ١١ لَمْ يَكُنْ فِيهِ اللَّحَاءُ حَتَّى إِذَا مَا
 - ١٢ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ أَنْ لَمَحْنَاهُ يَثْدُو
 - ١٣ فَتَنَاسَوْا مَلَامَتِي بِشَجَاهُمْ
- وَتَنَنَّى فَقُلْتُ : بَعْضُ الْعُصُونِ
فَسَطَا بِي فَقُلْتُ : لَيْثُ عَرِينِ !
أَيْنَ ، لَا أَيْنَ مِثْلُ تِلْكَ الْجُفُونِ
مَنْ لِبَدَّرِ بُورِ ذَاكَ الْجَبِينِ
مَنْ لِظَبْيِي النَّقَا يَتْلُكَ الْعُيُونِ
مِنْكَ أَحْلَى حَالِي جَفَاءٍ وَلَيْنِ
مَعَ فَقْرِي ، خَفَ دَعْوَةُ الْمُسْكِينِ !
سَوْفَ أَقْضِي وَلَا أَقْضَى دُيُونِي
مُقْتَضَاهُ شَرْحُ الْمَوَى وَالْفَتُونِ
دَائِمِ التِّيهِ مُسْتَمِرَّ الْمُجُونِ
حَسِبُوا أَنَّهُمْ قَدِ اسْتَخْلَصُونِي
فَعَشِقْنَاهُ كُلُّنَا فِي الْحِينِ
وَتَنَاسَيْتُ لَوْمَهُمْ بِشَجُونِي

[٢٤]

جَوَّ الْقَصِيدَةِ :

تبدأ أبيات القصيدة بالحديث عن محبوبة موصوفة بأوصاف هي الغاية فهي : بدر في

الظلام ، وغصنَ لَيْنَ ، وظبيّ من الإنس ، ولكنها في السطوة ليث عرين (١ - ٢) ،
ويسترسل - وهو يجعلها فوق نظيراتها - ليتحدث عن الجفون والمُحَيَّا والتشني (٣ - ٤) ،
ويؤكد أنه لا يعرف أجلَ منها - على كثرة ما رأى هو ورأى غيره ! - (٦) ، ويشكو النّفار
وللطال وكثرة دُيونه على الأحبة - وهي ديون المحبة ! - (٧ - ٩) ويقول إنّ اللّائمين كانوا
يلومونه على ما يعاني من المحبة ، فلما رأوا المحبوبة وجدّوا له العذر لما عانوا من الوجد مثل
ما يُعاني ! (١١ - ١٢) ، فسي القوم لومه وتناسى لومه - لكثرة شجونه ! - (١٣) .

الشروح :

- (١) في الصّاح : الدُّجَن : إلباس الغيم السّماء . ويقال : دَجَنَ يومنا دُجْنًا ودُجُونًا والدَّجَنَة :
الظلمة والجمع دُجَن ودجّات . ولم أجد الدُّجون بمعنى الظلمة كما أراد الشاعر . ولكن وردت
الدُّجَن - على وزن عُتْل - كما في القاموس واللسان .
- (٢) كناس الطّبي : مستترة في الشجر . العرين : مأوى الأسد .
- (٧) قوله (مع فقري) فيه تورية ، فالمعنى الظاهر فقر الحال والمال ، وهو يريد شوقه إليها !
- في الأصل وفي ط : يا كثير المطال ، وفوقها في الأصل (ياطويل) مع كلمة صحّ ؛
فاعتدناها .
- (٨) أقضي : أموت . أَقْضَى : أَوْفَى .
- (١٢) في ط : غير أن محيّاك .

[٢٥]

وقال أيضاً :

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | إِذَا بَدَا الْأَحْسَنُ فَوْقَ الْحِصَانِ | إِيَّاكَ إِيَّاكَ ، الْأَمَانُ الْأَمَانُ ! |
| ٢ | إِنَّ لَهُ مِنْ قَدِّهِ صَعْدَةً | قَدْ رُكِبَ اللَّحْظُ عَلَيْهَا سِنَانُ |
| ٣ | يَرْمِي فَيُضِي كُلَّ قَلْبٍ بِهَا | فَمَا لَخَلَقِي بِظُبَاهَا يَدَانُ |
| ٤ | خُذُوا لَهُ أَهْبَتَكُمْ وَاخْذَرُوا | فَمَا عَلَيَّ فِي قَتِيلٍ ضَمَانُ |
| ٥ | مَا أُمْلَحَ الْفُرْسَانُ لَوْ لَمْ يَكُنْ | خَصْلُهُمْ قَلْبِي وَفِيهِ الرَّهْانُ |
| ٦ | يَا لَامِحَ الرُّزْبِ مُسْتَمْلِحاً | بُدُورَ تِمِّ فَوْقَ كُتْبَانِ بَانُ |

- ٧ حَذَارِ مِنْ عَفْرِ الطَّبَا إِنَّهَا
تَبْطِشُ بِالْأَسَدِ عِيَاناً يَيَانُ !
٨ يَا أَبَايَ أُسْمَرُ مِثْلُ اللَّمَى
مِنْ دُونِهِ لِلسُّمْرِ حَرْبٌ عَوَانُ
٩ شَوَيْدِنَ طَاوِي الْحِشَا مُفْعَمُ الـ
أُرْدَافِ قَاسِيِ الْقَلْبِ رَخْصُ الْبَنَانِ
١٠ إِذَا بَدَا يَخْتَالُ فِي مَشْيِهِ
فَالشَّمْسُ وَالْعُصْنُ لَهُ يَسْجُدَانُ
١١ قَدْ حَالَ مَا بَيْنَ قُلُوبِ الْوَرَى
وَبَيْنَهُمْ ، فَهُمْ بِهِ فِرْقَتَانُ !

[٢٥]

جو القصيدة :

في القصيدة غزل بن اتخذ صفة الفروسية وهو غزل يتوجه إلى فتاة فارسة : وقد مزج الشاعر بين الكلام على الفروسية ومُعطياتها وبين الغزل وفنونه .

الشروح :

- (٢) الصُّعْدَةُ : القناة تَنْبَتُ مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف ، يُتَّخَذُ منها الرُّمَح . والسَّنَان : فصل الرَّمَح .
(٣) أَصَاهُ : أَنْفَذَ فِيهِ السَّهْمَ وَنَحَوَهُ . وَالطُّبَا : جمع الطُّبَّةِ ، وهي حَدَّ السَّيْفِ والسَّنَانِ والخَنْجَرِ ونحوها .
(٤) الْأُهْبَةُ : الْعُدَّةُ ؛ وَتَأْهَبَ لِلأَمْرِ : اسْتَعَدَّ .
(٥) الْخَصْلُ : الرَّهَانُ الَّذِي يُرَاهَنُ عَلَيْهِ ؛ وَتَخَاصَلَ الْقَوْمُ : تَسَابَقُوا ، وَتَرَاهَنُوا عَلَى الرُّمِيِّ وَالنُّضَالِ .
(٦) الرَّبْرَبُ : الْقَطِيعُ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ . وَبَدَّرَ تِمَّ : الْبَدَّرَاتِمَ مَا يَكُونُ فِيبِهِرِ بَنُورِهِ . وَالكَثْبَانُ : جمع الكَثِيبِ ، وهو الرُّمْلُ الْمُسْتَطِيلُ الْمُحْدَوْدِبُ . وَالْبَانُ : ضَرْبٌ مِنَ الشَّجَرِ ، سَبَطُ الْقَوَامِ ، لَيِّنٌ ، وَرَقُهُ كَوَرَقِ الصَّفْصَافِ ؛ يُشَبَّهُ بِهِ الْحِسَانُ فِي الطُّولِ وَاللَّيْنِ .
(٧) الظَّبْيِيُّ الْأَعْفَرُ : الَّذِي يعلو بِيَاضَ حُمْرَةٍ . وَعِيَاناً : مُوَاجَهَةً . وَقَوْلُ الشَّاعِرِ : « عِيَاناً يَيَانُ » يَجْرِي مَجْرَى الْإِتْبَاعِ ؛ وَلَمْ تَرِدِ الْعِبَارَةُ فِي كِتَابِ (الْإِتْبَاعِ) لِأَبِي الطَّيِّبِ اللَّغَوِيِّ ، وَانْظُرْ مَقْدَمَةَ كِتَابِ الْإِتْبَاعِ - تَحْقِيقَ الْمَرْحُومِ عَزَّ الدِّينِ التَّنُوخِيِّ ، دِمَشْقَ ١٣٧٠ هـ / ١٩٦١ م .
(٨) اللَّمَى : سُمْرَةٌ فِي الشَّفَةِ تُسْتَحْسَنُ . وَالْحَرْبُ الْعَوَانُ : الَّتِي قُوَّتِلَ فِيهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى .

- (٩) شَوَيْدِن : تصغير شادين ، وهو وَلَدُ الطَّبِيبَةِ إِذَا اسْتَفْنَى عَنْهَا . وطاوي الْحَشَا : مُضْمَرُ الْحَشَا .
ومُفْعَمُ الْأَرْدَافِ : مُمْتَلِئُ الْأَرْدَافِ ، مُكْتَنَزُهَا . وَالرَّخْصُ : اللَّيْنُ النَّاعِمُ .
- (١٠) اخْتَالَ : تَمَازَلَ وَتَكَبَّرَ . بنى الشاعر البيت على اقتباس قرآني من سورة الرّحمن ٦/٥٥ ، قال
تعالى : ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ والمراد بالنّجم في الآية الكريمة هو النّبات الذي
لا ساق له ، مِنْ قَوْلِهِمْ : نَجَمَ أَيِ ظَهَرَ وَطَلَعَ .
- (١١) حالَ بينهما : حَجَزَ .

[٢٦]

وقال أيضاً :

- | | | |
|----|---|---|
| ١ | بَدَتْ فَشَدَتْ فِي مَسَاقٍ حَسَنَ | فَأَحْسَنْتِ أَحْسَنْتِ أُمَّ الْحَسَنَ |
| ٢ | جَوِيرِيَّةٌ قَدْ جَرَتْ فِي النُّفُوسِ | مَجْرَى ظُبَا لَحْظِهَا فِي الْبَدَنَ |
| ٣ | تُغْنِي فَتُغْنِيكَ عَنْ بُلْبُلٍ | وَتُثْنِيكَ إِمَّا اثْنَتْ عَنْ فَنَنْ |
| ٤ | تُرِيكَ وَتُشْمِعُ مَا تَشْتَهِي | بِقَدْ رَطِيبٍ وَصَوْتٍ أَعْنُ |
| ٥ | كَأَنَّ مَفَاصِلَهَا الْخَيْزُرَانُ | فَتَبْدُو مِنْ الرَّقْصِ فِي كُلِّ فَنَ |
| ٦ | فَتَاةٌ يَفُوتُ النُّهْيَ حُسْنُهَا | بِهَافَتْنِ الْحُبِّ مَنْ قَدْ فَتَنَ |
| ٧ | تَجَلَّتْ فَجَلَّتْ ضُحَاً فِي دُجَاً | فَوَجْهَهُ أَنْارَ وَشَعْرَ دَجَنَ |
| ٨ | لِخَلْخَالِهَا ضَمَّةٌ مَارَاهَا | سِوَاهُ مِنَ الْحَلِيِّ إِلَّا وَأَنَّ |
| ٩ | أَيَا ظَبْيِيَّةً فِي ظُبَا لَحْظِهَا | وَفِي وَجْنَتَيْهِمَا ضُرُوبُ الْمِحَنَ |
| ١٠ | تَلَا فِي مُحِبِّاً قَضَى نَجْبَهُ | وَإِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَضَى فَكَأَنَّ |
| ١١ | إِذَا لَمْ تَجُودِي لَهُ بِالرِّضَا | وَلَمْ تَرَحْمِيهِ بِوَصْلٍ فَنَنْ؟! |

[٢٦]

جَوَّ الْقَصِيدَةِ :

في القصيدة غزل بمن تغني فتطرب الأسماع وتشنف الآذان ويشبه الشاعر تلك الفتاة
بالطائر المعروف بِالْحَسُونِ (أُمِّ الْحَسَنِ) ويقول إن حُسنها غير مقصور على شذوها وجمال

إيقاعها ، ولكنه حسن شامل ؛ فهي طيبة الصوت ؛ بارعة الشدو ، حلوة القد مشرقة الوجه .

الشروح :

(١) شَدَّتْ : تَغَنَّتْ . وَأَمَّ الحَسَن : أنثى الطائر المعروف في المشرق بـ « الْحَسُون » ، والذي يسميه الأندلسيون : « أبا الحسن » ؛ وفي الحيوان للتميري : « الْحَسُون : عصفور ذو ألوان بجمرة وصفرة وبياض وسواد وزرقة وخضرة » ، قال : وهو يَقْبَلُ التَّعْلِيمَ (حياة الحيوان الكبرى ٢٨٥/١) ؛ وانظر كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لابن الكتّاني الطبيب ، تحقيق : د . إحسان عباس : ٨٨

(٢) الظُّبَا : جمع الطُّبَّةِ ، وهي حَدَّ السيف والسَّنان والخنجر وما أشبهها .

(٣) البيت ساقط من (ط) .

(٧) جَلَّتْ : كَشَفَتْ . وَدَجَنَ : أَظْلَمَ .

(١٠) أي : فكأنه قضى .

[٢٧]

وقال أيضاً ، وقد سئل التوطئة للبيت الأخير منها : [من البسيط]

- | | | |
|----|--|--|
| ١ | أَوْدَى بِقَلْبِكَ صَدْعٌ لَيْسَ يَلْتَمِمْ | وَحَانَ صَبْرُكَ دَمْعٌ لَيْسَ يَنْكَتِمُ |
| ٢ | فَصَارَمُوكَ حِذَاراً أَنْ تَنِمَّ بِهِمْ | وَمَا انْتِفَاعُكَ بِالدُّنْيَا إِذَا صَرَمُوا |
| ٣ | أَحْبَابَ قَلْبِي وَالْأَسْقَامُ تُقْعِدُنِي | وَلَسْتُ مِمَّنْ مَدَاهُ فِي الْهَوَى أَمَمٌ |
| ٤ | هَلْ تُسْتَعَادُ لِيَا لَيْنَا الَّتِي سَلَفَتْ | أَوْ تُسْتَجَدُّ بِكُمْ أَيَّامُنَا الْقَدَمُ |
| ٥ | إِذْ مَعْطَفِي لِلصَّبَا لَدُنْ الْمَهْزَةِ لَا | يَزَالُ تَجْذِبُهُ الْآدَابُ وَالْكَرَمُ |
| ٦ | عَهْدُ أَنْسَى تَقْضَاهَا الزَّمَانُ رَضَى | كَأَنَّهَُا فِي حَاوِشِي بُرْدِهِ عَلَمٌ |
| ٧ | مَرَّتْ بِمَا السُّحْبُ لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي كَبْدِي | مِنْ بَارِقَاتِ أَمَانِي عَوْدُهَا ضَرَمٌ |
| ٨ | لَئِنْ نَسُوها عَهْوداً كُرِّمَتْ لَهُمْ | حَدِيثُ سِرِّي وَجَهْرِي فِي الْأَنَامِ هُمْ |
| ٩ | مَا ضَرَّمُ وَبَصْدُرِي لِلْأَسَى حُرَّقَ | لَوْ أَنَّهُمْ بِسُرُورٍ مِنْهُمْ رَحِمُوا |
| ١٠ | [هُمْ عَلَّمُونِي الْبُكَ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ | يَا لَيْتَهُمْ عَلَّمُونِي كَيْفَ أُبْتِسِمُ] ! |

جَوْ القصيدة :

تجري الأبيات مجرى غزلياً رقيقاً ؛ فالشاعر يتحدث عن صدع في القلب ، وصبر نافذ ترك
الدمع يبوح بالمكتوم ؛ ويتذكر أياماً ماضية وليالي سارة ويتساءل هل تعود تلك الأيام
وتتجدد الآمال فيها ؟ ويقول - بشيء من أسى الحب الذي انقضت أيام حبه بالبعد أو الهجر
أو الفراق - : ماضٍ الأحبة لو رحموا بأن جددوا شيئاً من دواعي السرور ؟ ..
ويختم البيت المطلوب التوطئة له : هم علموني البكا ..

الشروح :

- (٢) صارموك : قاطعوك .
(٣) الأُمم : اليسير ، والقُرب .
(٤) هذا البيت يذكر بالموشحة المشهورة التي فيها :
هل تستعـاذاً أيا منـا بالخليج وليـالينا
أو يـستفـاذاً من النسيم الأريـج مسك دارينا ؟
(٥) اللدن : اللين .
(٧) الضرم : لهب النار .

وقال أيضاً :

[من البسيط]

- | | | |
|---|---------------------------------|--------------------------------|
| ١ | في راحتك حياة الروح والبدن | وفي رضاك مجال السر والعلن |
| ٢ | وفي ضميري لكم مكنون سر هوى | لو رام ذهني عنه الكشف لم بين |
| ٣ | هوى تردد في مثل الهواء ضناً | مازلت أكمته صوناً فيكتن |
| ٤ | خفيت عن كل شيء غير عشقكم | من السقام، ولولا الطبع لم يرني |
| ٥ | بيني وبين الهوى أجلى مناسبة | فذاك أعرفه حقاً ويعرفني |
| ٦ | يا حافظاً بين قلبي والأسى ذمماً | وناقض العهد بين العين والوسن |

- ٧ عَذْبُ بَيْتِيهِكَ نَفْسِي يَكْتَمِلُ وَلَهِي وَرَعُ بَهْجِكَ قَلْبِي يَتَّصِلُ شَجَنِي
٨ فَمَا أَمْرَانِي إِلَّا أَنْ تُرَوِّعَنِي وَلَا نَعِيمِي إِلَّا أَنْ تُعَذِّبَنِي !!
٩ عَجِبْتُ لِلْحُبِّ يَا لِلنَّاسِ كَيْفَ عَدَا لِلنَّفْسِ مَغْنِيطِيسَ اللَّذَاتِ وَالْمَحَنِ !

[٢٨]

جَوَّ القصيدَة :

في القطعة غزل عام ، وليس فيها إشارة مباشرة إلى اسم المخاطبة أو شخصها . وتدور القطعة حول استئثار المحبوبة بجانب الروح والبدن من الشاعر فقد تملكه حبها ، ولزمه هواها . ويعلم الشاعر أنه يحتل من المحبوبة كل ما (تعذبه) به من أنواع الصّد والبعد كالتّيه وما يعانیه من الوجد والسّقم ...!

- ويمكن تأويل القطعة تأويلاً رمزياً .

الشروح :

- (٣) اكْتَمَنَ : اختفى .
(٤) يحكي بيت المتنبي في معناه حيث يقول :
كفى بجسمي نحولاً أنني رجُلٌ
لولا مخاطبتي إياك لم ترني !
(الديوان ١٨٦/٤ بشرح العكبري) .

(٦) الوَسَنَ : النّعاس .

(٧) الشَّجَنُ : الحُزْنُ .

[٢٩]

وقال أيضاً :

[من المتقارب]

- ١ إلى كم يُناديك داعي الوتر
٢ ونَبَّهَ جَفَوْنَكَ من غمضها
٣ أما تبصر الشَّهْبَ مِثْلَ الْعُقُودِ
٤ وَضَمَّ الدُّجَا ذَيْلَهُ خَيْفَةً
٥ وَرَوْضَتُنَا تُجْتَلَى كَالْعُرُوسِ
فَلَبَّ النَّدَاءَ وَدِنْ بِالسَّهْرِ
فَقَدْ نَبَّهَ الرُّوضَ قَطْرُ الْمَطَرِ
قَدْ نَهَبَ الصُّبْحُ مِنْهَا دُرَّ
عَلَيْهِ مِنَ الْفَجْرِ لَمَّا انْفَجَرُ
كَسَاهَا سَنَا الصُّبْحِ مِثْلَ الْخَفْرِ

- ٦ وَقَدْ نَظَّمْتُ مَائِلَاتِ الْغُصُونِ لَأَلَيْ طَلٍّ عَلَيْهَا انْتَشُرُ
٧ وَقَامَتْ سَمَاءٌ لَنَا دَوْخَانَةٌ تَطْلُعُ كَالزُّهْرِ فِيهَا الزَّهْرُ
٨ فَحَثَّ الْمُدَامَ، وَسَقَّ النَّدَامَى وَسَلَّ الْغَرَامَ، وَحَلَّ الْفِكْرُ
٩ وَخَالِسُ زَمَانِكَ غَفْلَاتِهِ فَقَدْ فَازَ بِالْعِيشِ مَنْ قَدْ جَسُرُ

[٢٩]

جَوْ القصيدة :

في القطعة غزلٌ في مهاد الطبيعة الأندلسية الجميلة : فالشاعر يتحدث عن يوم مشرق حسن سبقه ليلة ممطرة أنعشت الرّوض ولطفت الجوّ وهيأت المناسبة للانطلاق مع أنواع الجمال في الطّبيعة والحياة .

والقطعة تماثل الشعر الكثير الذي استغل فيه الشاعر محاسن الطبيعة بعد يوم الدّجن ؛ وتجاري شعراء مجالس الأُنس والطرب .

الشروح :

- (٥) الْخَفَرُ : الْخَجَلُ .
(٦) الطَّلُّ : النَّدى الذي تُرْسِلُهُ عُرُوقُ الشَّجَرِ إِلَى غُصُونِهَا .
(٧) الزُّهْرُ : جَمْعُ الْأَزْهَرِ ، وَهُوَ النَّيِّرُ ، يَرِيدُ بِهَا النُّجُومُ .
(٩) فِي هَذَا الْبَيْتِ مَعْنَى قَوْلِ بَشَّارٍ وَتَلْمِيذِهِ سَلَمُ الْخَاسِرِ ؛ قَالَ بَشَّارُ :
مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَازَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ
وَقَالَ سَلَمُ :
مَنْ رَاقَبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورِ

[٣٠]

وَقَالَ أَيْضًا :

[مِنْ الرَّمَلِ]

- ١ مَنْ عَذِيرِي مِنْ تَجَنِّي شَادِنٍ رَامِحِ الْقَامَةِ شَاكِي الْحَدَقِ
٢ مَاجِنِ الْبَالِ وَقَاحِ لَا يَرَى فِي دَمِ الصَّبِّ عِقَابًا يَتَّقِي

أَوْدَعْتُ الْحَاضِرَ فِي كَيْدِي	٣
سَلَسَلُ الْحُسْنِ بِخَدَّيْهِ جَرَى	٤
لِمَحْيَاةِ الْمُحْيَا رَوْنَقٌ	٥
خَلَعَ الرُّوضُ عَلَيْهِ مِطْرَفًا	٦
فَارْتَدَتْ خَدَّاهُ بَرْدِي وَرْدِهِ	٧
وَاسْتَبَى الثَّغْرَ مَنْ دَى زَهْرِهِ	٨
فَهُوَ رِيًّا وَرَوًّا وَرُؤْيً	٩
مَا أَطَاقَتْهُ وَمَا لَمْ تُطِيقِ	
عَجَبًا! سَاغَ، وَمِنْهُ شَرِيقِي	
يَا لَقَلْبِي وَلِذَاكَ الرَّوْنَقُ	
مِنْ بَدِيعِ النُّورِ سَارِي الْعَبَقِ	
وَكَتَسَى الشَّارِبُ صِبْغَ الْوَرَقِ	
وَاحْتَوَتْ عَيْنَاهُ سِرَّ الزَّرَقِ	
لِصَّدِّ أَوْ رَاءٍ أَوْ مُنْتَشِقِ	

[٣٠]

جَوَّ الْقَصِيدَةِ :

يكتفي الشاعر في هذه القطعة بذكر أوصاف جمالية متعددة في من وصفها بالشادن (!) ويسترسل في هذه الأوصاف حتى يستوفي عدداً منها تستنفد ما يخصّ الجسد بتفاصيل كثيرة ، ونفهم من خلال البيت الثامن أن الفتاة ذات عينين زرقاوين ... ولا يتجاوز الشاعر إلى أوصاف معنوية أو نفسية .

الشروح :

- (١) الشَّادَن : وَلَدُ الظُّبْيَةِ . وَرَجُلٌ شَاكِي السِّلَاحِ : أَي ذَوْ شَوْكَةٍ وَحِدَةٍ فِي سِلَاحِهِ .
(٤) السُّلْسَلُ : الْمَاءُ الْعَذْبُ الصَّافِي ، إِذَا شُرِبَ تَسْلَسَلَ فِي الْحَلْقِ . وَاسْتَفَادَ الشَّاعِرُ مِنْ قَوْلِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ (دِيَوَانُهُ : ٩٣) :

لَوْ بَغِيرَ الْمَاءِ حَلَقِي شَرِيقٌ كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي
يَعْنِي : لَوْ شَرِيقْتُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَسِيفُهُ بِالْمَاءِ ، فَإِذَا شَرِيقْتُ بِالْمَاءِ فِيمَ أَسِيفُهُ !
وَقَوْلِ يَزِيدَ بْنِ الصَّمِيقِ (شَرْحُ ابْنِ عَقِيلٍ ٦٠/٢) :

- فَسَاغَ لِي الشَّرَابُ وَكُنْتُ قَبْلًا أَكَادُ أَغْصُ بِالْمَاءِ الْحَمِيمِ
(٦) الْمَطْرَفُ وَالْمِطْرَفُ ، وَاحِدُ الْمَطَارِفِ ، وَهِيَ أَرْدِيَّةٌ مِنْ خَزٍّ مَرْبُوعَةٍ لَهَا أَعْلَامُ .
(٩) الصَّدِي : شَدِيدُ الْعَطَشِ .

[٣١]

وقال أيضاً :

[من المنسرح]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | مَا بَيْنَ نَجْدٍ وَتَلْعَةِ الْعَلَمِ | غَزِيلٌ سَيْفٌ طَرَفُهُ بِدَمِي |
| ٢ | كَلِيلٌ لِحُظْرِ الْجُفُونِ فَاتِكُهُ | فِي الْقَلْبِ فَتْكَ الْمُهَنَّدِ الْخَنَدِ |
| ٣ | إِنْ كُنْتَ لَمْ تَدْرِ مَا جَوَائِي بِهِ | فَسَلْ ظُبَانًا ظَرِيئَهُ عَنِ أَلْمِي |
| ٤ | بِاللَّهِ خُذْ صِحَّتِي فِدَاؤِهَا | مَادَبَّ فِي مُقْلَتَيْكَ مِنْ سَقَمِ |
| ٥ | وَحَمَلِ الرَّذْفَ - فَهُوَ مَتَعَبَةٌ - | جِسْمِي ، كَفَى الْخَضِرَ مَحْمَلُ الْهَضَمِ |
| ٦ | يَا رَشَاءُ فِي الْفَوَادِ مَكْنِسُهُ | لَمْ يَنْتَقِلْ عَنْهُ ، لَا ، وَلَمْ يَرْمِ |
| ٧ | أَفْدِيكَ ! أَنَّى أَبْحَثَ مِنْ كِبْدِي | مَا لَمْ تَزَلْ مِنْ حِمَاةٍ فِي حَرَمِ ؟! |
| ٨ | مَلَكَتْ رِقِّي فَرَقَّ يَمِينِي أَمَلِي | وَلَا تُحِلْ مُهْجَتِي عَلَى الْعَدَمِ ! |

[٣١]

الشروح :

- (١) التَّلْعَةُ : ما ارتفع من الأرض ، وما انخفض (ضِدَّ) .
 (٢) الْخَنَدِ : السيف القاطع .
 (٣) الظُّبَا : جمع الظُّبَةِ ، وهي حَدَّ السَّيْفِ وَالسَّانِ وَالخَنْجَرِ وَنَحْوَهَا .
 (٤) الْهَضَمُ : لَطْفُ الْكَشْحِ وَخَمَصُ الْبَطْنِ وَضُمُورُهُ .
 (٥) الْمَكْنِسُ : مُوَلِّجٌ فِي الشَّجَرِ يَأْوِي إِلَيْهِ الظُّبِيُّ لِيَسْتَتِرَ .

[٣٢]

وقال أيضاً :

[من السريع]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | بُغْنَجٍ تَلَكَ الْأَعْيُنُ النُّجْلِ | وَمَا حَوَتْ مِنْ فِتْنٍ قُلُوبِي |
| ٢ | أَشْعَرُكَ الْحَالِ كَأَمْ مُهْجَتِي ؟ | وَقَدْ كُنتَ الْمَائِلُ أَمْ عَقْلِي ؟ |
| ٣ | أَذْهَلَنِي الْحُبُّ فَلا ذِهْنَ لِي | يَمْتَارُ شَكْلُ فِيهِ عَلَى شَكْلِ |

- ٤ يَا رَشَاءَ يَعْطِفُنِي عِطْفُهُ هَلْ عَظْفَةٌ لِي مِنْهُ بِالْوَصْلِ
 ٥ أَسْرَفْتَ فِي الْهَجْرَانِ يَا مَاطِلاً يَكْفِيكَ بِاللَّهِ مِنَ الْمَطْلِ
 ٦ إِنْ كَانَ يُرْضِيكَ هَلَاكِي فَلَا تَصْنَعُ سِوَاهُ - اللَّهُ - مِنْ شَغْلِ
 ٧ إِسْفِكَ دِمَائِي وَانْتِهَبْ مُهْجَتِي وَأَنْتَ مِنْ أَجْرِي فِي حِلٍّ!
 ٨ تَاللَّهِ مَا غَيَّرَكُمُ بَغْيَتِي وَلَا سِوَى سُؤْلِكُمْ سُؤْلِي!

[٣٢]

الشروح :

- (١) (بَغْنَج) أي : أَسْتَحْلِفُكَ بَغْنَجِ أَعْيُنِكَ النَّجْلِ . وَالْأَعْيُنُ النَّجْلُ : الواسعة .
 (٤) الْعِطْفُ : جَانِبُ الْإِنْسَانِ مِنْ لَدُنْ رَأْسِهِ إِلَى وَرِكَهِ .
 (٧) فِي (ط) : وَأَنْتَ مِنْ ذَنْبِي ...
 - وَالرَّوَايَتَانِ مُتَقَارِبَتَانِ ، فَالْقَصْدُ فَأَنْتَ مِنْ أَجْرِي فِي عَذَابِكَ لِي فِي حِلٍّ .

[٣٣]

وقال أيضاً :

[من مجزوء الكامل]

- ١ قَدْ أُرْخِيتُ حُجْبُ الظَّلَامِ فَلْتَفْتَرَعْ بِكُرِّ الْمُدَامِ
 ٢ قَمِّ يَا غَلِيمَ هَاتِيهَا رُوحِي فَدَاؤُكَ مِنْ غُلَامِ!
 ٣ صَهْبَاءَ سِرِّ شَوْيْهِدِنِ مُتَمَاجِنِ خَيْثِ الْكَوَلَامِ
 ٤ هَذِي الرِّيَاضُ تَضَاحَكْتُ لِبُكَاءِ أَجْفَانِ الْغَمَامِ
 ٥ وَالْقَضْبُ قَدْ رَقَصَتْ بِهَا طَرَبَاءُ عَلَى شَذْوِ الْحَمَامِ
 ٦ فَاقْطِفْ لُبَابَ لُبَابِ عَيْشِكَ وَاطْرَحْ لَوْمَ اللَّوَامِ
 ٧ وَلْتُخْتَلِسْ غَفَّ لَاتِ دَهْرٍ لَا يَحِنُّ عَلَى الْكِرَامِ!

[٣٣]

الشروح :

- (١) افْتَرَعِ الْبُكَاءَ : افْتَضَّهَا .
 (٣) الصَّهْبَاءُ : الْخَمَرُ .

[٣٤]

وقال أيضاً : [من السريع]

- | | | |
|---|--|--------------------------------------|
| ١ | مَا زَهْرَةُ الدُّنْيَا سِوَى زَهْرَةٍ | أُطْلِعَهَا الْحُسْنَ عَلَى غُصْنٍ |
| ٢ | زَهْرٌ لِمَنْ شَمَّ وَغُصْنٌ لِمَنْ | صَمَّ، وَتَفَّاحٌ لِمَنْ يَجْنِي |
| ٣ | عَاطِلَةٌ قَدْ غَنِيَتْ عَنْ خَلٍّ | بِمَا بَمَرَاهَا مِنَ الْحُسْنِ |
| ٤ | لَوْ نَعَتِ النَّاعِيَتُ شَمْسَ الضُّحَى | مَا خِلَّتَهُ عَنْ غَيْرِهَا يَكْنِي |
| ٥ | قَدْ نَظَّمَ الْحُسْنَ بِهَا شَمْلَهُ | كَأَنَّهَا حَوْرَاءُ مِنْ عَدْنٍ |
| ٦ | جَادَبْتُهَا ضَمًّا إِلَى أَضْلَعِي | أُطْفِئُ عَنْهَا لَوْعَةَ الْحُزْنِ |
| ٧ | فَابْتَدَرْتُ وَجْنَتَهَا خَجَلَةً | غَطَّتْ مُحَيَّا حُسْنَهَا عَنِّي |
| ٨ | يَا عَجِبًا تَخْجَلُ مِنْ صَمِّهَا | وَلَا تُبَالِي كَيْفَ أَصَمَّتَنِي ! |

[٣٤]

شرح :

- (١) زهرة الدنيا : غزارتها وحسنها ومتاعها وزينتها .
 (٨) أضمي الصيّد : أصابه فوقع بين يديه .

[٣٥]

وقال أيضاً : [من الخفيف]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | كَمْ قَتِيلٍ مِنْ (عُذْرَةٍ) وَطَعِينٍ | بَيْنَ بِيضِ الطُّلَا وَسُمرِ الْعِيُونِ |
| ٢ | فِي حُرُوبٍ بِهَا الْكُفَاءُ ظِبَاءُ الْخِذْرِ | وَالشَّهْدَاءُ أَسْدُ الْعَرِينِ |
| ٣ | لَيْسَ حَرْبٌ أَمَرٌ مِنْ صَدِّ حَبٍّ | لَا وَلَا أَسْمَرٌ كَسْمَرِ الْجَفِّ |
| ٤ | أَيْنَ عَطْفُ الْجِيَادِ مِنْ عَطْفِ جَيْدٍ | وَأَنِعْطَافُ الرِّمَاحِ مِنْ عِطْفِ لِيْنٍ |
| ٥ | وَسَيُّوفٍ ضِرَابِهَا بَجْفُونٍ | مِنْ سَيُّوفٍ إِغْمَادِهَا بِالْجَفُونِ |
| ٦ | أَيْنَ سَهْمٌ مِنْ نَظْرَةٍ عَنْ فُتُورٍ | أَيْنَ قَوْسٌ مِنْ حَاجِبٍ مَقْرُونٍ |
| ٧ | قَاتَلَ اللَّهُ كُلَّ ظَبْيٍ خَلِيٍّ | يَتَصَدَّى لِقَتْلِ صَبٍّ حَزِينٍ ! |

الشروح :

- (١) الطُّلَا : جمع الطُّلَاة ، وهي صفحة العُنُق .
- (٢) الكُمَاة : جمع الكُمَيّ ، الشَّجَاع الجُرِّيَّ . وظِيَاء الحِذْر : النِّسَاء .
- (٣) الْأُسْمَرُ : الرَّمَح .
- (٤) الْعِطْفُ : جانب الإنسان مِنْ لَدُنْ رَأْسِهِ إِلَى وَرِكَه .

وقال أيضاً :

[من الرَّمَل]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | أَسْرَاةَ الْحَيِّ بِي مِنْكُمْ رُشْيَ | مُنْصَفَ الْأُرْدَاكِ مَبْخُوسُ الْحَشْيِ |
| ٢ | لَيْنُ الْمُعْطِفِ قَاسٍ قَلْبُهُ | فَاتِكُ بِاللَّحْظِ آسٍ بِاللَّمْيِ |
| ٣ | حَالٍ رَغْمًا بَيْنَ قَلْبِي وَالْحَشَا | يَوْمَ لَاقْتُ وَجْنَتَاهُ مُقْلَتِي |
| ٤ | أَهْ مِنْ عَيْنِي مَاذَا جَنَّتَا | لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا أَعْغَدَى عَلَيَّ |
| ٥ | أَسْرَاةَ الْحَيِّ كَفُّوا ظَبْيَكُمْ | وَاتَّقُوا الرَّحْمَنَ فِي قَتْلِ شَجِي |
| ٦ | يَجِدُ الذَّلَّ لَذِيذاً فِيكُمْ | وَيَرَى تَعْذِيْبَهُ أَعْذَبَ شَيْ |
| ٧ | قَدْ تَمَلَّكْتُمْ فَوَادِي فَاسْمَحُوا | وَاقْبَلُونِي ، أَوْ فَرِّدُوهُ إِلَيَّ ! |

الشروح :

- (١) السَّرَاةُ : جمع السَّرِي ، وهو السَّيِّدُ الْمُخْتَار . والرُّشْيُ : تصغير الرُّشَا ، وهو ولد الظبية .
- (٢) اللَّمْيُ : تصغير اللَّمَى ، وهو سُمْرَةٌ مُحَبَّبَةٌ فِي الشِّفَاه ، وَالْآسِي : الْمُدَاوِي .

وقال أيضاً :

[من الخَفِيف]

- ١ لَيْتَ شِعْرِي مَالِي وَمَا لِيَالِي ؟! قَدْ حَمَمْتَنِي حَتَّى طُرُوقَ الْخِيَالِ

- | | | |
|---|--|--|
| ٢ | فَرَّقَ الْهَجْرُ بَيْنَ قَلْبِي وَبَيْنِي | مَنْ شَفِيعِي إِلَى زَمَانِ الْوَصَالِ ؟ |
| ٣ | كُلَّ يَوْمٍ تَقَاطَعُ وَتَنَاقُ | كُلَّ يَوْمٍ تَهَاجَرُ وَتَقَالِ ! |
| ٤ | لَا أَذُوقُ الْمَنَامَ إِلَّا غِرَاراً | لَا أَنَالُ الْوَصَالَ إِلَّا أُمَالِي ! |
| ٥ | أَخَذَ اللَّهُ نَاطِرِيَّ بِقَلْبِي | وَقَصَّ لِلْكَرَى عَلَى أَوْجَالِي ! |

[٣٧]

الشروح :

- (٣) قَلَاةٌ : هَجَرَةٌ ، وَأُبْعَضَهُ .
 (٤) الْغِرَارُ : الْقَلِيلُ مِنَ النَّوْمِ .
 (٥) الْأَوْجَالُ : جَمْعُ الْوَجَلِ ، وَهُوَ الْخَوْفُ .

[٣٨]

وقال أيضاً :

[من الخفيف]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | أَقْبَلَ الْعَيْدُ فَابْتَدَرْتُ مُهْلًا | نَحَوًا أُمَّ الْعَزِيزِ أَبْغِي احْتِسَابًا |
| ٢ | أُخْتُ ظَبِي الْفَلَاةِ لَمْ تَنْظُرِ الْحَدَّ | حَيَّ وَلَمْ تَرْقُمْ الْبَنَانَ خِضَابًا |
| ٣ | عَانَقْتَنِي وَقَبَّلْتَنِي وَقَالَتْ : | قَدَسَ اللَّهُ مِنْ خُطَاكَ تُرَابًا |
| ٤ | فَاعْتَنَقَتْ الْقَضِيبَ مِنْهَا قَوَامًا | وَارْتَشَفَتْ الرَّحِيقَ مِنْهَا رُضَابًا |
| ٥ | لَيْتَنِي لَمْ أُمِدَّ خَطْوًا إِلَيْهَا | فَتَنَّتَنِي فَصَارَ أَجْرِي عَذَابًا ! |

[٣٨]

الشروح :

- (٢) رَقَمَ الشَّيْءَ : تَقَشَّاهُ .
 (٤) الرَّحِيقُ : الْخَمْرُ الْخَالِصُ الصَّافِي .

وقال أيضاً :

[من الرَّمَل]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | جَذَبْتُ حَاجِبَهَا حَتَّى انْدَمَجُ | وَرَمْتَنِي بِسَهَامٍ مِنْ دَعَجُ |
| ٢ | غَادَةً فِي وَجْهِهَا لِي جَنَّةُ | أَجَجْتُ مَا بَيْنَ أَضْلَاعِي وَهَجُ |
| ٣ | أُفْرِغِ السِّدْرَ عَلَيْهَا بَشْرًا | غَيْرَ شَعْرِ وَلِحَاطِ مِنْ سَبَجُ |
| ٤ | تُظْهِرُ التَّيِّبَةَ وَتُخْفِي مَقَمَّةَ | مَزَجْتُ حُسْنًا بِسُوءٍ فَاِمْتَزَجُ |
| ٥ | مَا دَعَوْهَا (مُهَجَّةً) إِلَّا لَهَا | قَدْ أَرَأَيْتُ مَقْلَتَاهَا مِنْ مُهَجُ! |

الشروح :

- (١) الدَّعَجُ : شدة سواد العين مع سعتها .
 (٣) السَّبَجُ : الْخَرَزُ الْأَسْوَدُ .
 (٤) الْمَقَّةُ : الْمَحَبَّةُ .
 (٥) الْمُهَجَّةُ : الدَّم ، أَو : دَمُ الْقَلْبِ ؛ جَمْعُهُ : مُهَج . و « مُهَجَّة » فِي أَوَّلِ الْبَيْتِ اسْمُ امْرَأَةٍ .

وقال أيضاً :

[من السَّرِيع]

- | | | |
|---|--|--------------------------------------|
| ١ | يَا قَمْرًا مَغْرِبُوه مُهَجَّتِي | وَأُفَقُّوه لَحْظِي إِذَا يَنْجَلِي |
| ٢ | قُلْ لِي بِحَقِّ الْوَدِّ يَا بُغْيَتِي | مَنْ دَلَّ عَيْنِيكَ عَلَى مَقْتَلِي |
| ٣ | مَلَكَتْ مِنْ رَقِّي فَلْتَعُدْ لِي | رِفْقًا وَمِنْ أَمْرِي فَلْتَعْدِلِ |
| ٤ | تَقْدِيسِكَ نَفْسِي فِي الْهَوَى مَا جِنًا | يُذِيقُنِي تَيْهًا جَنَى الْحَنْظَلِ |
| ٥ | إِنْ حُلْتُ عَنْ عَهْدِي لَكُمْ جَفْوَةٌ | لَا حَلَّنِي اللَّهُ وَلَا حَنَّ لِي |

شرح :

- (٢) الْبُغْيَةُ : الْحَاجَةُ .

[٤١]

وقال أيضاً : [من مجزوء الرمل]

- | | | | |
|---|-----------------------------|-------------------------------------|--|
| ١ | سَقْنِيهِـــــــــــــــــا | بـــــــــــــــــالكبيرِ | في هـــــــــــــــــوى رِيْمٍ صَغِيرِ |
| ٢ | رَاحـــــــــــــــــةً | في الرَّاحِ يَحْكِي | لَوْنُهَا خَدَّ الْمُدِيرِ |
| ٣ | لَطَفْتُ جِسْمًا | وَكُلسًا | لُطْفًا مَعْنَى فِي صَمِيرِ |
| ٤ | وَابْتَدَرْتُ | صِرْفَ الْحَمِيَّـــــــــــــــــا | سَابِقًا صِرْفَ الدُّهُورِ |
| ٥ | وَاعْتَنِمَ نَوْمَ | زَمَانٍ | ظَلَّ نَهَابَ السُّرُورِ |

[٤١]

شرح :

- (٤) الْحَمِيَّا : حدة الخمر . والصرف : الخالص الذي لم يشب بغيره . وصرف الدهر : حدثانه ونوائبه .

[٤٢]

وقال أيضاً : [من البسيط]

- | | | | |
|---|------------------------------|--------------------------|---|
| ١ | خُذُوا بَقِيَّةَ نَفْسِي | وَامْحَقُوا الْأَثْرَا | حَسْبِي رِضَاكُمْ وَدَعُ مَنْ لَامَ أَوْ عَذَرَا |
| ٢ | يَا نَازِحِينَ | وَأَمَالِي تَقَرَّبَهُمْ | فَمَا اخْتَفَى حُسْنُهُمْ عَنِّي وَلَا اسْتَرَا |
| ٣ | مَالِي أَرَاكُمْ تُوَالُونِي | مُقَاطَعَةً | هَبْنِي أَسَأْتُ فَهَاقَدْ جِئْتُ مُعْتَذِرَا |
| ٤ | أَنَا الْمُحِبُّ الْمَعْنَى | فَارْحَمُوا وَلَهِي | وَرَدَّدُوا فِي ضَنَا جُثَانِي النَّظْرَا |
| ٥ | تَرَوْا كَثِيبًا حَلَاةً | فِي الْهُوَى اشْتَهَرَتْ | يَا وَيْحَ مَنْ بِحُلَاهُ فِي الْهُوَى اشْتَهَرَا |

[٤٢]

وقال أيضاً : [من البسيط]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | يَا نَازِحِينَ وَهُمْ بِالْقَلْبِ سَكَّانُ | وَرَا حِلِينَ وَمَا سَارُوا وَلَا بَانُوا |
|---|--|---|

- | | | |
|---|--|--|
| ٢ | ذَوَاتِكُمْ بَيْنَ أَخْنَاءِ الضُّلُوعِ ثَوَتْ | فَكَيْفَ لِي مِنْكُمْ صَدٌّ وَهَجْرَانُ |
| ٣ | عَجِبْتُ ! تَشْتَاقُكُمْ نَفْسٌ وَنَاطِرُهَا | وَأَنْتُمْ فِيهِمَا رُوحٌ وَأَنْسَانُ |
| ٤ | أَنْتُمْ أَنَا ، وَأَنَا أَنْتُمْ مُطَابَقَةٌ | لَوْ افْتَرَقْنَا لَغَالَ الْحَبُّ نِسْيَانُ |
| ٥ | لَا تَطْلُبُونِي عَلَى عِشْقِي بَيِّنَةٍ | فَمَا يُقَامُ عَلَى الْمَحْسُوسِ بُرْهَانُ ! |

[٤٣]

شرح :

(٥) قال المعري :

قل للذي عُرِفَتْ حَقِيقَتُهُ بِهِ إِذْ لَا يُقَامُ عَلَى الدَّلِيلِ دَلِيلُ
 وشرحه ابن السِّيدِ البَطْلَيْوْسِيُّ في جملة شروحه على سقط الزند فقال : « وقول المعري : إذ
 لَا يُقَامُ عَلَى الدَّلِيلِ دَلِيلُ ، يريد أن البرهان لا يحتاج في صحته إلى برهان ، ولولزم أن
 يكون للبرهان برهان للزِّم أن يكون لبرهانه برهان ، ويستمر ذلك إلى ما لا نهاية له ، وهذا
 يوجبُ ألا يكون شيء معلوماً ؛ غير أن في هذا الموضع شيئاً يجب أن يبين ، وذلك أن
 المقدمات التي يَتَوَصَّلُ بها إلى معرفة الأشياء المجهولة أَوَّلُ وَثَوَانٍ ، فالمقدمات الأولى هي
 المعقولات والمحسوسات ... إلخ » ، شروح سقط الزند : ٨٧٤ - ٨٧٥ ، وانظر تاريخ النقد
 الأدبي في الأندلس : ٢٠٢

- وتتوجه القطعة على جهة الإشارة والرمز .

[٤٤]

[من الطويل]

وقال أيضاً :

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | أَلَا هَلْ دَرَى مَنْ بَاتَ غَيْرَ مُوَرِّقٍ | بَأَنَّ جُفُونِي مُذْنَأَى لَيْسَ تَلْتَقِي |
| ٢ | وَأَنَّ غَرَامِي مُنْذُ سَارَ مُلَازِمِي | وَأَنَّ اصْطِبَارِي مِنْذُ بَانَ مُطْلَقِي |
| ٣ | وَمَا سَاقَ أَشْوَاقِي وَهَاجَ بِلَابِلِي | سِوَى سَائِقِ الْأَطْعَانِ يَوْمَ التَّفَرُّقِ |
| ٤ | تَعَشَّقْتُ فِي قَوْمٍ غِرَابٍ فَوَدَّعُوا | فِيَا لَيْتَنِي مَيِّتٌ وَلَمْ أَتَعَشَّقْ |
| ٥ | وَيَا لَيْتَ عَيْنِي إِذْ رَأَيْتُهُمْ تَعَلَّقَتْ | سِوَاهُمْ وَلَوْ بِالْبَارِقِ الْمُتَالِقِ ! |

وقال أيضاً :

[من الخفيف]

- ١ مَا عَلَى مَنْ بَكَى لِبُعْدِ مَلَامٍ
- ٢ كَيْفَ يُلْحَى عَلَى الْبُكَاءِ مَعْنَى
- ٣ آهٍ مِنْ فَجْعةِ النَّوَى لَيْتَنِي لَمْ
- ٤ يَأْغْذُولِي عَلَى الْغَرَامِ وَمَنْ لِي
- ٥ ذَهَبَ الْوَجْدُ وَالْفَوَادِ جَمِيعاً

الشرح :

(٢) لَحَا فلاناً : لامةً وعذله .

وقال أيضاً :

[من الخفيف]

- ١ كُلُّ شَيْءٍ وَلَا قَطِيعَةً بَيْنَ
- ٢ لَيْسَ تَخْفَى إِلَّا وَشُرَكَ رُوحِي
- ٣ يَاضِيَاءِ الْقُلُوبِ إِنْ يَدْجُ خُطْبٌ
- ٤ لَا تُرَوِّعُ بِمَحْنَةِ الْهَجْرِ قَلْبِي
- ٥ نَاطِرِي قَادَ خَاطِرِي لِفُتُونِي

الشروح :

(١) كُلُّ شَيْءٍ : أَي أَفْعَلُ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْمَيْنُ : الْكَذِبُ . وَفِي أَقْوَالِ الْعَرَبِ : كُلُّ شَيْءٍ وَلَا شَتِيبَةَ حَرَّ .

(٣) دَجَا : أَظْلَمَ . وَالْخُطْبُ : الْأَمْرُ الشَّدِيدُ .

وقال أيضاً :

[من المنسرح]

- ١ بَاكِراً إِلَى رَشْفِ الثَّغْرِ وَالْكَاسِ
- وَاشْرَبُ عَلَى رَوْضِ الزَّهْرِ وَالْآسِ

- | | | |
|---|--|--|
| ٢ | وَلَتَسْقِيْنَهَا حَمْرًا صَافِيَةً | جَلَّتْ صَفَاءً عَنْ دَرْكِ إِحْسَاسِ |
| ٣ | بَيْنَا تَرَى فِي كَفِّ الْمُدِيرِ لَهَا | إِذْ تَتَجَلَّى فِي وَجْنَةِ الْحَاسِي |
| ٤ | مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ كَأَنَّـهُ قَمَرٌ | يَدُورُ مِنْ كُـسْهَا بِمِقْبَاسِ |
| ٥ | وَلَتَجْلُهَا جُذُودٌ عَلَى عِلْمٍ | لَا خَيْرَ فِيهَا اخْتَفَى عَنِ النَّاسِ |

شرح :

(٤) المِقْبَاسُ : شعلة نار تقتبس من معظم النار ، كالقَبَس .

[٤٨]

وقال أيضاً :

[من الكامل]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | يَا عُرْبَ كَاطِمَةٍ أَفِيكُمْ أَظْلَمُ؟ | وَالْعَبْدُ عَبْدُكُمْ، وَأَنْتُمْ أَنْتُمْ؟ |
| ٢ | مُشْتَاقُكُمْ عَبَثٌ بِهِ أَيْدِي الْهَوَى | دُمْعٌ يَصُوبُ وَلَوْعَةٌ تَتَضَرَّمُ |
| ٣ | كَمْ ذَا الصُّدُودِ، اللَّهُ فِي صَبٍّ شَجٍّ | شَفِيَّ الْعُدَاةِ بِهِ وَخَابَ اللَّوْمُ |
| ٤ | أَدُّوا زَكَاةَ جِبَالِكُمْ، مِسْكِينَكُمْ | مُلْكَكُمْ، فَهَبُوا، رُحِمْتُمْ فَارْحَمُوا |
| ٥ | مَا كَانَ قَطُّ الْبُخْلُ شِيمَةً مَاجِدٍ | حَاشَاكُمْ، يَا سَادَتِي، حَاشَاكُمْ! |

الشروح :

(٢) صَابَ المطر : انهمر ونزل .

(٣) الصَّبُّ : الْمَجِبُ . وَالشَّجِيُّ : الْمَشْغُولُ الْحَزِينُ . وَفِي (ط) : « وَطَابَ اللَّوْمُ » ؛ وَطَابَ نَفْسًا : ارْتَاخَتْ نَفْسُهُ .

[٤٩]

وقال أيضاً :

[من الكامل]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | شَهِدَتْ لِحُسْنِكَ آيَةٌ لَا تُنْكَرُ | خُطَّتْ بِهَا فِي صَفْحِ خَدِّكَ أُسْطُرٌ |
| ٢ | أَسْرَارٌ حُسْنٍ فِي صَحِيفَةٍ وَجْنَةٍ | تُوشِي بِأَقْلَامِ الصُّبَا وَتُحَبَّرُ |
| ٣ | فَنَعِيمُ كُلِّ مُتَيْمٍ وَشَقِيقَاؤُهُ | حَسْبُ الَّذِي قَدْ خُطَّ فِيهَا تُقَدَّرُ |

- ٤ يَآمَنُ أَغَارَ عَلَيْهِ مِنْهُ وَإِنِّي
٥ لَا تَصُدُّ عَنْ كَبِدِي بِجَبْرِ حَوَاسِدِي
مِنِّي عَلَيْهِ - عَلَى نَوَاهٍ - لِأَغِيرَ
فَلَطَالَمَا بَاتَتْ عَلَيْكَ تَفْطَرُ!

شرح :

(٢) تَوْشَى : تُزَيِّنُ .

[٥٠]

وقال أيضاً :

- ١ ظَنُّ أَنِّي أَفْقَتُ مِنْ أَشْـُـوَاقي
٢ فَتَصَدَّى لِخَبْرٍ مُضْمَرٍ صَدْرِي
٣ بِمَ يَشْكُو أَوْ كَيْفَ - قُلْ لِي - يَشْكُو
٤ أَمِ مِنْ ذَا النَّوَى وَذَا الْمَجْرِ أَهْأ
٥ كُنْ كَمَا شِئْتَ يَـَـا حَبِيبَ قَلْبِي
إِذْ رَأَيْتُ لَمْ أَشْكُ مِمَّا آلَاقِي
فَإِذَا بِي فِي زَقَرَةٍ وَسِيَاقِ
تَالِفٍ؛ نَفْسُهُ رَقَتْ لِلتَّرَاقِي
جَبَرَ اللَّهُ صَدْعَتِي بِالتَّلَاقِي
إِنِّي، وَالْهَوَى، عَلَى الْعَهْدِ بَاقِ

شرح :

(٢) سَاقُ الْمَرِيضِ سِيَاقًا : شَرَعَ فِي نَزْعِ الرُّوحِ .

[٥١]

وقال أيضاً :

- ١ سَائِلِي عَنْ تَوَحُّشِي وَهُوَ أَنَسِي
٢ مَا رَأَتْ فِيهَا عَيْنُهُ لَمَحَ نُورِ
٣ يَسْهَرُ اللَّيْلَ مِنْ مَدَاهِ بِوَجْدِ
٤ وَاضِعًا فَوْقَ قَلْبِهِ رَاحَتِيهِ
٥ قَدْ تَغْنَى فِيهِ الْعَوَازِلُ حَتَّى
كَيْفَ حَالُ مُتَيِّمٍ بَعْدَ خَمْسِ؟
غَيْرَ ضَوْءٍ مُصْبِحٍ أَوْ نُورِ شَمْسِ
مُسْتَطِيلٍ، وَمِنْ دُجَاهِ بَرْمَسِ
يَعْتَدِي فِي غَرَامِهِ كَيْفَ يُمَسِي
مَا يُحَسُّ كَلَامُهُمْ غَيْرَ هَمْسِ

وقال أيضاً :

[من الكامل]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | الدَّهْرُ يَحْكُمُ بَيْنَنَا يَا ظَالِمَهُ | ها حَالَتِي هَاتِي وَأَنْتِ الْعَالِمَهُ |
| ٢ | أَلْحَاطُكَ الدُّعْجُ الْوَقَاحُ ظَلَمَنِي | هَيْهَاتَ ، لا ، لَا بَلْ لِحَاطِي الظَّالِمَهُ |
| ٣ | طَرَفِي عَلَى قَلْبِي جَنَى لَوْ أَنَّي | حَارَبْتُ عَيْنِي مَا غَدَوْتُ مُسَالِمَهُ |
| ٤ | أَنْتِ الْأَمِيرُ وَأَنْتِ خَصَمِي فَاحْكُمِي | لِي أَوْ عَلَيَّ قَلْنُ أَسْأَلُ : ذَا لِمَهُ ؟ |
| ٥ | مَالِي لِمَنْ أَشْكُو سِوَاكِ ظُلَامَتِي | فَلْتَرْحَمِي صَبًّا شَكَكِ مَظَالِمَهُ |

الشروح :

- (٢) الدُّعْجُ : جمع الدَّعْجَاء ، وهي العين شديدة السَّوَادِ مع اتساعها .
- (٣) تَبَدَّى لي في فهم البيت وَجْهَانِ ، الأول : مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الطَّبَاقِ بَيْنَ (حَارَبْتُ) و (مُسَالَمَةً) ، وأنه استسلم للمحبة والمحبوب بعد أن خذلته عيونه .
- والثاني : مُسْتَفَادٌ مِنْ كَلِمَةِ (مُسَالَمَةً) فِي الْمَفْهُومِ الْأَنْدَلُسِيِّ ، وَالْمُسَالَمَةُ هُمْ أَهْلُ الْبِلَادِ الْإِسبَانِيَّةِ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ وَتَرَكُوا دِيَانَتَهُمُ السَّابِقَةَ (رَاجِعْ دُوزِي : سَلَمَ) ، وَيَكُونُ فِي النَّصِّ تَوْرِيَّةً .
- (٤) معنى هذا البيت من قول المتنبي :
- يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتِ الْخَصْمُ وَالْحَكَمُ

وقال أيضاً :

[من الخفيف]

- | | | |
|---|--|-------------------------------------|
| ١ | مَا تَصُمُّ الْجُيُوبُ وَالْأَطْوَاقُ | لَا الَّذِي قَدْ سَمَتْ بِهِ آفَاقُ |
| ٢ | ذَاكَ يُعْشِي الْعَيُونَ مِنْهُ وَهَذَا | بِحَنَايَا الْحَشَائِلِ إِشْرَاقُ |
| ٣ | لَيْسَ شَيْءٌ أَبْهَى وَأَبْهَرَ مَرَأَى | مِنْ بُدُورِ تَدِيرِهَا أَغْنَاقُ |

وقال أيضاً :

[من الخفيف]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | مَنْ عَذِيرِي مِنْ هَازِيءٍ بِي هَازِلُ | قَاطِعٍ لِي ، وَلِلصُّدُودِ مُوَاصِلُ |
| ٢ | سَائِلٍ كَيْفَ حَالَتِي وَهُوَ يَدْرِي | أَنْ دَمْعِي مِنَ الصَّبَابَةِ سَائِلُ |
| ٣ | لَيْسَ شَيْءٌ أَنْكِي لِفَرَحٍ قَلْبِي | مِنْهُ ، يُصْبِي الْفَوَادَ ثُمَّ يَسَائِلُ ! |

شرح :

(٣) أصمى الصَّيْدَ : أصابَهُ في مَقْتَلٍ أو أصاب مَقْتَلَهُ في مكانه .

وقال أيضاً :

[من المنسرح]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | أَيَا مُشَارِكِ الرُّوحِ فِي جَسَدِي | بَلْ يَا مُخَلِّصِي مِنْ يَدَيِّ جَلَدِي |
| ٢ | مَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي ذِمَّا دَنَفٍ | لَمْ يَبْقَ مِنْهُ شَيْءٌ سِوَى الْكَمَدِ |
| ٣ | مَهْمَا يَرُمُ عَنْكَ الصَّبْرَ مَالٌ بِهِ | الْحَاطُوكَ (النَّفَاثَاتُ فِي الْعُقَدِ) |

شرح :

(٢) الذِّمَاءُ : بَقِيَّةُ الرُّوحِ فِي الْمَذْبُوحِ وَغَيْرِهِ . وَالذَّنْفُ : الْمُشْرِيفُ عَلَى الْمَوْتِ .

وقال أيضاً :

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | وَعَايِنِي تَغْنِينًا فَتَغْنِي | بِمَنْطِقِهَا الْأَعْنَ عَنِ الْأَغَانِي |
| ٢ | تَثْنَتْ فَانْثَنْتُ مَثْنَى شُجُونٍ | تَهَيَّجَهَا الْمَثَالُثُ وَالْمَثَانِي |
| ٣ | وَشَى قَلَمُ الْجَمَالِ بِوَجْنَتَيْهَا | «لَقَدْ ضَلَّتْ مَسَاعِي مَنْ يَرَانِي!» |

الشروح :

(٢) المَثَالِثُ وَالْمَثَانِي : مِنْ أَوْتَارِ الْعُودِ ؛ يَرِيدُ : تَهَيَّجَهَا الْأَلْحَانُ وَالْمَوْسِيقَى .

(٣) وَشَى : زَخَرَفَ وَزَيَّنَ .

وقال أيضاً : [من الكامل]

- ١ أوفى كما زار الخيال الطَّارِقُ وبدا كما التَّاحَ البريقُ الخافِقُ
- ٢ ما كانَ بَيْنَ إِيَابِهِ وَذَهَابِهِ إلَّا كما رَجَعَ النُّوَاطِرَ رَامِقُ
- ٣ مُتَرَدِّدٌ ظَفَرَتْ بِهِ أَيْدِي النُّوَى كالْبَدْرِ إمَّا غَارِبٌ أَوْ شَارِقُ

الشروح :

- (١) أوفى : أشرف . والتَّاحَ : يريدُ (أَلَا ح) ، ظَهَرَ وَبَدَأَ .

وقال أيضاً مَسْمُوطاً قِطْعَةً لِأَحَدِ الْمَشَارِقَةِ ، وهي مِمَّا يَتَغَنَّى بِهِ (*) :

[من البسيط]

- ١ أَيَّامَنَا بِالْحِمَى مَا كَانَ أَحْلَاكِ كَمْ بَتُّ أَرْعَاهُ إِجْلَالًا وَأَرْعَاكِ
- لا تُنْكِرِي وَقَفْتِي ذَلًّا بِمَغْنَاكِ يَادَارُ لَوْلَا أَحِبَّائِي وَلَوْلَاكِ
- لَمَّا وَقَفْتُ وَقُوفَ الْمَائِمِ الْبَاكِ
- ٢ أَحْبَابَ أَنْفُسِنَا كَمْ ذَا النُّوَى وَكَمْ وَيَا مَعَاهِدَ نَجْوَانَا بِذِي سَلَمِ
- تَاللَّهِ مَا شَبْتُ دَمْعِي لِلْأَسَى بِدَمِ وَلَا لَثَمْتُ تُرَابَ الْأَرْضِ مِنْ كَرَمِ
- إِلَّا مُرَاعَاةَ خِلِّ بَاتِ يَرْعَاكِ
- ٣ هَلْ مِنْهُمْ لِي عَظْفٌ بَعْدَ ذَلِّهِمْ أَهَّا لِقَلْبِي عَلَى تَبْدِيدِ شَمْلِهِمْ
- تَاللَّهِ مَا تَسَمَّحُ الدُّنْيَا بِمِثْلِهِمْ مَا كَانَ أَحْلَاكِ يَا أَيَّامَ وَصْلِهِمْ
- وَيَا لِيَالِي الرِّضَا مَا كَانَ أَضْوَاكِ !
- ٤ يَا بَدْرَ تِمِّ تَجَافَتْ عَنْهُ أَرْبُعُنَا وَلَمْ يَزَلْ تَحْتَوِيهِ - الدَّهْرُ - أَضْلُعُنَا
- مَا لِلنُّوَى بِضُرُوبِ الْوَجْدِ تُوجِعُنَا إِذَا ذَكَرْتُ زَمَانًا كَانَ يَجْمَعُنَا
- تَفَطَّرْتُ كَيْدِي شَوْقًا لِمَرَاكِ

٥ لعلَّ رَوْحَ الرِّضَا يَدْنُو بِهِمْ وَعَسَى
 قَيِّثُتُ الْقُرْبُ مَا بِالْبُعْدِ قَدْ دَرَسَا
 كَمْ ذَا أُنَادِي وَأَشْدُّوا الْأَرْبَعِ الدُّرُسَا
 يَا قَلْبِي الصَّبَّ أَيْنَ الصَّبْرُ؟ عَادَ أَسَى
 وَيَا مَنَازِلَ سَلَمَى أَيْنَ سَلَامِكَ؟

الشروح :

(٥٦) النصّ في نفح الطيب : ٢٤/١ - ٢٥ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٣) في النفح :

فهل لهم عطفة من بعد دَلَّهم تالله ماتسح الدنيا بمثلهم
 أهأ لقلبي على تبديد شملهم ما كان أحلاك ... إلخ

(٥) في النفح :

علَّ التعلَّل يُدْنِي مِنْهُمْ وَعَسَى فيعمر القرب ما بالبين قد درسا
 كم ذَا أُنَادِي بِرِيعِ النَّوَى طُمِسَا يا قلب صبرا فَإِنَّ الصَّبْرَ عَادَ أَسَى

القسم الثالث

في الملح والفكاهات

قال في محاسن الشتاء ، وما له من الفضل على كل فصل : [من الكامل]

- ١ جاء الشتاء بغيمة متحجباً
 - ٢ أعظم به ملكاً عليه مهابة
 - ٣ فصل توزع كل فصل فضله
 - ٤ فإذا الربيع تبرجت أنواره
 - ٥ وجلا حلى الزهر النضير مدبجاً
 - ٦ فترى انفتاح الورد خدّاً أحراً
 - ٧ وهفت قدود القضب هفوة منتش
 - ٨ وعلت على شم الغصون طيورها
 - ٩ وتسربل النهر المظيف بدرعه
 - ١٠ والورق تشدو والغدير مصفّق
 - ١١ وأتى المصيف بإثره متقيلاً
 - ١٢ فكسا الوجود ثياب دفء واغتدى
 - ١٣ يهدي من الثمرات كل طريفة
 - ١٤ وأتى الخريف بإثر ذاك معاوداً
 - ١٥ فوشى ثياب الروض من أوراقه
 - ١٦ وسرى النسيم مع الصبح مبشراً
 - ١٧ وتقهقهت وطف الغمام برغدها
 - ١٨ وتتابع كل الفصول بنسبة
 - ١٩ فمن الشتاء قوام ذاك وحسنه
 - ٢٠ كل بقدر مثاله من وبله
 - ٢١ والحق يشهد أن عقد نظامها
- أهلاً بسُلطانِ الفصولِ ومرحباً
عمّت كُتائبُه الأباطيحَ والرُّبا
فَمَا وآنقَ حُسنُه أو أخصبا
وتأرّجت أسحاره وتطيّبا
ومدملجاً ومفضّضاً ومذهّبا
وترى ابتسامَ الزهرِ ثغراً أشبّا
لَمَّا سقاها الطلُّ رِيّاً مُحسِبا
تشدوك سَجْعاً مُشجِياً أو مُطربا
لَمَّا انبرت لقراعِهِ خَيْلُ الصّبا
والقضبُ ترقّصُ والزمانُ استعْتبا
آثاره في الفصلِ ندباً مُحصِبا
يُسدي الهباتِ مُشرقاً ومُغربا
وينيلُ منها كُلَّ شيءٍ يُجْتبى
حُسنَ الرّبيعِ وطيبه المُستعذبا
وشياً تنوعَ صِبْغُه وتنسّبا
بدنوّ إقبالِ الشّتاءِ مرّحباً
لَمَّا تبيّنت البروقَ تطرّبا
حتّى تكمّلَ حُسنُها وترتّبا
وبها أنالَ مِنَ الحيا وبها حبا
أسدى ، وأبسى بهجةً وتهذبا
وملاكيها كانَ الغمامُ الصيّبا

جَوّ القصيدة :

تتحدث القصيدة عن فضل فصل الشتاء على سائر الفصول . تبدأ بأبيات تُخبر بمجيء فصل الشتاء بغيومه الكثيفة ، وبيان فضله المتوزع على سائر الفصول (١ - ٣) وينتقل الشاعر إلى الحديث عن فصل الربيع (٤ - ١٠) بعنفوانه وخضرته وعماسنه ومياهه المتدفقة وانبعاث الحياة بعد رقدة الشتاء ؛ وفصل الصيف (١١ - ١٣) وما فيه من الشمس والحرّ والثمرات اللبنة ؛ وفصل الخريف (١٤ - ١٨) وعودة الاعتدال في الدنيا ، وبشائر المطر فيه ؛ ويعود إلى الشتاء ثانية (١٩ - ٢١) .

الشروح :

- (٧) أحسبه : أراضه ، أو أعطاه ما يُرضيه حتى قال : حَسْبِي !
 (١١) تَقِيلُ فلانَ أباهُ : أشبهه . والنّـدب : الخفيف في الحاجة .
 (١٧) وَطَفَ جمع وَطْفاء . والسحابة الـوطفاء : المسترخية لكثرة مائها ؛ أو الدائمة السحّ ، الحشيشة ؛ طالَ مَطَرُها أو قَصُرَ .
 (٢١) الصَّيْبُ : السحابُ ذو الصّوب . وصاب المطر صوباً : نزل وانصبّ .

وقال في وصفِ شعبانيّة سَنِيّةٍ في رَوْضِ مَرِيحٍ ، أتى عليه عنفوان الربيع :

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | لِلّهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ | حَسْبِي بِهَا مِنْ جَمَلَةِ الْعُمُرِ |
| ٢ | سَمَحَ الزَّمَانُ بِهَا عَلَى بَخَلٍ | فِيهِ وَوَفَّاهَا عَلَى غَدْرِ |
| ٣ | لَمْ يَنْتَبِهْ طَرْفُ الْخَطُوبِ لَهَا | حَتَّى انْقَضَتْ فَدَرْتُ وَلَمْ تَذُرْ |
| ٤ | أَعْجَبُ بِهَا أَيَّامَ مَالِقَةِ | بَيْنَ الْأُمْنَى وَصَحَابَةِ عُرْ |
| ٥ | مَا شِئْتُ مِنْ حُسْنٍ وَمِنْ حَسَنِ | مَا شِئْتُ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ بَذْرِ |
| ٦ | مَا رُمْتُ مِنْ أَمْنٍ وَمِنْ أَمَلٍ | مَا رُمْتُ مِنْ بَشَرٍ وَمِنْ بَشَرٍ |
| ٧ | عَفْتُ ضَمَائِرُنَا فَظَاهِرُنَا | مُتَشَابِهَةَ الْإِغْلَانِ وَالسَّرِّ |

- ٨ وَصَفْتُ خَوَاطِرُنَا فَبَاطِنُنَا
٩ يَسْعَى عَلَيْنَا مُسْمِعٌ غَرْدٌ
١٠ يَشْنِي الْمَعَاظِفَ حُسْنُ نَفْمَتِهِ
١١ يَتَلَقَّفُ النَّغَمَاتِ عَنْهُ رَشَاءٌ
١٢ فَيَصُوغُهَا رَقْصاً عَلَى قَدَمٍ
١٣ قُلُّ لِلْقَضِيبِ يُقِيمُ مَعْطَفَهُ
١٤ فِي رَوْضَةِ جَرِّ الرِّيعِ بِهَا
١٥ مَطْرُوزَةِ الْأُدْوَاحِ بِالزَّهْرِ
١٦ تُهْدِيهِمْ مِنْ نُورِهَا قِطْعاً
١٧ لِكِنَّةِ حُسْنٍ تَلَوَّنَ لِي
١٨ عَبَثَ النَّسِيمِ بِقُضْبِهَا ثَمِلاً
١٩ وَالصَّمُّ يُغْدِي اللَّثْمَ فَاِبْتَدَرْتُ
٢٠ وَلَرَبَّ لَثْمٍ كَانَ أَوْلَاهُ
٢١ مَا أَحْوَلُ عَيْنُ الْبَاقِلَا عَبَثاً
٢٢ كَلّاً وَلَا صَاحَتَ بِلَابِلْهَا
٢٣ أَفْدِي لِيَا لَيْنَا الَّتِي سَلَبْتُ
٢٤ أَعْقَابَ شُعْبَانَ عَجِبْتُ لَهَا
٢٥ وَلَرَبَّ مَحْمُودٍ عَوَاقِبُهُ
٢٦ لَوْ لَا التَّحَرُّجُ قُلْتُ: رُبَّتْهَا
٢٧ مَا إِنْ ذَمَّمْتُ لَهَا سِوَى عَجَلٍ
- مَتَنَايَ كَالرَّاحِ وَالْقَطْرِ
يُغْنِيكَ عَنْ ثَقُلٍ وَعَنْ خَمْرِ
فِعْلَ النَّسِيمِ بَغْضِنِهِ النَّضْرِ
أُرَبَّتْ مُحَاسِنُهُ عَلَى الْحَضْرِ
كَادَتْ تُبَيِّنُ مَعَانِي الشُّعْرِ
إِنْ كَانَ لَا يَذْهَبُ كَمَا يَذْهَبُ
ذَيْلُ الْمُحَاسِنِ أَيْمَا جَرٍّ
مَحْفُوفَةِ الْأَكْنَافِ بِالزَّهْرِ
مَاصِغُنَ مِنْ وَرَقٍ وَلَا تَبْرِ
وَالْحُسْنُ الْأَوَانُ فَخَذُ غُذْرِي
فَتَعَمَّانَتْ حَضْرًا إِلَى حَضْرِ
أَزْهَارُهَا ثَغْرًا عَلَى ثَغْرِ
صَمٍّ، وَصَمٍّ جَاءَ عَنْ سَكْرِ
لَكِنْ لِمَا بَصُرْتُ مِنَ الْأَمْرِ!
قَبْلَ الْأَوَانِ سِوَى مِنَ الْقَهْرِ
فِي ظِلِّهَا بَعَوَارِفِ الدَّهْرِ
يُبْضُ نَصْلُنَ أَوَاخِرِ الشَّهْرِ
لَمْ يَجْرِ أَوْلَاهُ عَلَى ذِكْرِ
فِي الْقَدْرِ رُبَّتْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ
بِالْفَجْرِ قَبْلَ صَبِيحَةِ الْفَجْرِ

[٦٠]

جَوَّ الْقَصِيدَةِ :

يعرض الشاعر صورة حية لأيام (وليالٍ) رائقة ؛ أقيم الاحتفال اللطيف فيه لتوديع شهر شعبان واستقبال شهر رمضان ؛ قضاها الشاعر في مألقة في بستان بها .

تبدأ القصيدة بافتتاح من ثلاثة أبيات (١ - ٣) وتعريج على طيب أيام مألقة (٣ - ٦) ووقوف عند يوم بريء الاحتفال في صُحبة من خيار الناس (٧ - ٨) في جَوّ طبيعي رائع الحسن : يغرد فيه بلبلٌ - في جُملة أطيّار غرّيدة - تُحاكيه شادية حسنة الصّوت والإنشاد ، جيّدة الرّقص (٩ - ١٣) . ويصف الشاعر البيئة التي ركنوا إليها واحتفلوا فيها (١٤ - ٢١) ويذكر تلك الليالي والأيام ويُعلي من شأنها (٢٢ - ٢٧) .

الشروح :

(٢) في (ط) : بخلي منه ؛ وهي كذلك في متن الأصل ، وغيرها الشاعر بخطّه في هامش الكتاب .

(٤) مألقة : من مدن الأندلس ، كانت لها أهمية في عهد مملكة غرناطة (عصر المؤلف) واحتلت المرتبة الثانية بعد غرناطة . وتقع على البحر المتوسط (جنوبي شرقي إسبانية) قال ابن سعيد فيما نقله من وصفه مألقة : « ومألقة مما فضّلت به ما حفّها من شجر اللوز وشجر التين إذ هو طوفان تحمله الرّكاب والسّفين » .

ينظر الروض المعطار للمحميري ٥١٧ - ٥١٨ والمغرب لابن سعيد ٤٢٣/١ - ٤٢٥ ومشاهدات لسان الدين بن الخطيب (الدكتور أحمد مختار عبادي ٥٧ وما بعدها) ومعجم البلدان ٤٣/٥ (١٤) هذا البيت يذكر بمطلع موشحة أبي بكر الصيرفي (جيش التوشيح ١٢٣) :

جَرَّ السَّيْلَ أَتَيْتُ جَرَّ وَصَل السَّكْرَ مِنْكَ بِالسَّكْرِ

(١٥) الزُّهرة بالضم : البياض . ورجل أزهر : أبيض مشرق الوجه . والمرأة زهراء .

(٢١) نَوَّرَ الباقلاء من الأنوار التي دَرَجَ معظم وصّافي الأندلس على ذِكْرها (ينظر مثلاً البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري : ١٥٣ - ١٥٧) .

(٢٢) كذا أوردها الشاعر (بتقديم سوى) .

(٢٤) نصل الشعر نُصُولاً : زال عنه الخُضاب .

[٦١]

وقال ارتجالاً في يوم بديع من أيام الربيع : [من مخّلع البسيط]

غَيْمٌ سَمَاءٌ أَمْ دُخَانٌ نَدَدٌ قَطَرٌ هَمَى ، أَمْ مِيَاهٌ وَرَدٌ

٢	وَهَذِهِ رَوْضَةٌ تَجَلَّتْ	لِنَاطِرِي أُمِّ جِنَانٍ خُلِدِ
٣	وَقَضَّبُهَا الْمُلْدُ أُمُّ قَدُودٍ	وَشَحَّهَا زَهْرُهَا بِعِقْدٍ
٤	وَبَلْبَلِ الرُّوضِ مَا تَغْنَى	أُمُّ غَادَةٍ رُوِّعَتْ بِصَدِّ
٥	هَاجَ عَلَى النَّفْسِ مَا شَجَاهَا	وَرُبَّ هَزَلٍ أَتَى بِجِدِّ
٦	مَا بَدَمِي غَيْرَ خَدِّ وَرْدٍ	وَإِنْ دَهَى النَّاسَ وَرَدُ خَدِّ
٧	أَسْكَرَ هَذَا الْوُجُودُ عَقْلِي	فَاخْتَلَفَ الْأَمْرُ فِيهِ عِنْدِي !

[٦١]

الشروح :

- (١) الندُّ : نوع من الطَّيِّبِ يَتَّبَعُ رُبَّهُ .
(٣) المُلْدُ جمع الأملود : اللين الناعم من الناس ومن الغصون .
(٥) في ط ، ومتن الأصل : « أذكرت النفس ماشجأها » وغيَّرها الشاعر في نسخته بخطه من الهامش .
(٦) في ط : « مادمي » . ولم تتضح الكلمة في متن الأصل . والأقرب إلى قراءتها ما أثبتنا ولم تعجم الباء في الكلمة .

[٦٢]

وقال في البلبل :

١	وَوَرْدِيَّةِ الْجُلْبَابِ أَعْجَبَهَا الْوَرْدُ	فَغَنَّتْ وَمَا بِالْغَانِيَاتِ لَهَا عَهْدُ
٢	تُرِيكَ اضْطِرَابَ الرَّاكِصَاتِ إِذَا انْشَتَ	وَتُسْمِعُ لَحْنَ الْمُسْمِعَاتِ إِذَا تَشَدُو
٣	أَتَتْ وَبِطَاحِ الْأَرْضِ تُجَلَّى عَرَائِسًا	وَفِي كُلِّ غُصْنٍ مِنْ أَزَاهِرِهِ عِقْدُ
٤	وَقَدْ أَبَدَتْ الدُّنْيَا مُحَاسِنَ وَجْهَهَا	فَمِنْ زَهْرَةٍ تَغْبَرُ وَمِنْ وَرْدَةٍ خَدُّ
٥	وَسَاعَدَهَا طَيْبُ الْهَوَاءِ وَقَضَّلَهُ	وَفَضَّلَ الرَّيِّعَ الْغَضُّ وَالْمَنْزِلُ السَّعْدُ
٦	فَغَنَّتْ غِنَاءَ الشَّرْبِ أَنْشَتَهُمُ الطَّلَا	وَحَنَّتْ حَيْنَ الصَّبِّ بَاحَ بِهِ الْوَجْدُ
٧	أَكْلًا يَثِيرُ الْوَجْدُ كَأَمِنْ حُزْنِهِ	لَقَدْ جَازَى فِي حُكْمِ الْغَرَامِ بِنَا الْحَدُّ

[٦٢]

شرح :

(٦) الطلاء : الخمر . وفي الصباح : الطلاء ما طَبَخَ من عصير العنب حتى ذهب ثلثاه . وبعض العرب يسمي الخمر : الطلاء . والشُّرب جمع شارب ، مثل صُحْب وصاحب .

[٦٣]

وقال في المعنى : [من المتقارب]

١	وخرسَاءَ إِلَّا زَمَانَ الرَّيِّعِ	فَفِي سَجْعِهَا طَرْبٌ لِلْخَلِيعِ
٢	أَتَتْ تَمْدَحُ النُّورَ فَوْقَ الْغُصُونِ	كَمَا يَشْكُرُ الْحُرُّ حُسْنَ الصَّنِيعِ
٣	تُقِيمُ لَهُ عُرْساً فِي الرِّيَاضِ	عِنْدَ الْغُرُوبِ وَعِنْدَ الطُّلُوعِ
٤	تُغْنِي مَدِيداً وَمَهْماً يُقَلِّ	لَهَا بَدَلِي وَقَعْتُ فِي السَّرِيعِ
٥	وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ تَسْجِعَها	بَدِيعٌ وَلَمْ تَدْرِ «سَجْعَ الْبَدِيعِ»

[٦٣]

الشروح :

(٢) النُّور : الزَّهْر الأَبْيَضُ ؛ وتقال في غيره .
(٥) التورية هنا بسجع بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات .

[٦٤]

وقال في المعنى : [من المتقارب]

١	أَحْسَنْتِ أَحْسَنْتِ أُمُّ الْحَسَنِ	لَقَدْ جِئْتِ بِالْحُسْنِ فِي كُلِّ فَنٍ
٢	مُحَيِّاً عَجِيبٌ وَشَخْصٌ طَرُوبٌ	وَسَجْعٌ أَدِيبٌ وَصَوْتُ حَسَنٌ
٣	أَلَا بَدَلِي يَا ابْنَةَ الْحُسَيْنَيْنِ	فَصَلِ الرَّيِّعِ وَوَجْهَ الزَّمَنِ
٤	وَهَاكَ فُؤَادِي خَلْعاً وَمَا	أَرَاهُ يُـوَفِّي بِنِعْصِ الثَّمَنِ
٥	فَدَيْتُكَ مِنْ بُلْبُلٍ هَاجٍ مِنْ	بَلَابِلٍ وَجُدِي مَا قَدْ سَكَنُ

الشروح :

- (١) أم الحسن : الحُسُون (الطائر المعروف) وقد سبقت الإشارة إليه .
 (٥) البلبل : طائر معروف . والبلابل والبلبال والبلبله جميعاً بمعنى شدة الهم والوساوس .
 والشاعر يميل أحياناً إلى الجناس .

وقال في الخيري :

[من الكامل]

- ١ سَلْ نَفْحَةَ الْخَيْرِيِّ فِي غَسَقِ الدُّجَى مَابَالَهُ لَبَسَ الظَّلَامَ رِداءَ
 ٢ حَقّاً لَعَمْرُكَ أَنَّهُ ذُو رَبِيبَةٍ أَوْ لَا ففيمَ يَحْاذِرُ الرُّقْبَاءَ ؟
 ٣ كَالصَّبِّ يُخْفِي شَجْوَهُ حَتَّى إِذَا جَنَّ الظَّلَامُ تَنْفَسَ الصُّعْدَاءَ

شرح :

- (١) الْخَيْرِيّ : هو النبات المعروف في المشرق بالمشور ؛ وله زهر مختلف كالأبيض والأصفر .
 وللأندلسيين ولع بوصفه . (ينظر مثلاً البديع في وصف الربيع ١٠٩ - ١١٥) ، ومنه قول
 عبادة بن ماء السماء :

وَكأنَّ الْخَيْرِيَّ فِي كُتْمِهِ الطَّيِّدُ بَ فقيهَةٌ مُغْرَى بِطُولِ رِيَاءِ
 يُظْهِرُ الزُّهْدَ بِالنَّهَارِ وَيُمْسِي فَاتَكَ لَيْلُهُ مَعَ الظَّرْفَاءِ !

وقال في المعنى :

[من مخلع البسيط]

- ١ أَعْطِرْ بِخَيْرَيْنِنَا نَسِيماً كَأَنَّهُ فِي الظَّلَامِ نَدًى
 ٢ لَكِنَّهُ يَخْتَفِي نَهَاراً فَهُوَ لَزْهُرِ الرِّيَاضِ ضِدًى
 ٣ كَأَنَّهُ إِذْ يَضُوعٌ لَيْلاً مِنْ مِسْكَةِ الدَّجَنِ يَسْتَمِدُّ

[٦٧]

وقال ، وَبَعَثَ بِهَا مَعَ مُطِيبٍ خَيْرِيٍّ إِلَى سَيِّدِ سَرِيِّ :

- [من الطويل]
- | | | |
|---|---|--|
| ١ | وَدُونَكُهُ أَذْكَى نَدِيمٍ مُسَاعِدٍ | على الأُنْسِ فِي جَوْفِ الدُّجُونِ وَأَكْتَمَا |
| ٢ | يُنَاجِيكَ مَا امْتَدَّ الظَّلَامُ بِسِرِّهِ | فَإِنْ لَاحَ وَاشِيَ الصُّبْحُ أَبْدَى تَكْتُمَا |
| ٣ | قَدْ أَحْمَرَّتُمْ لَا عَنْ ضَعِيفَةٍ | وَلَكِنَّهُ هَابَ الْعُلَا إِذْ تَقَدَّمَا |
| ٤ | فَمَهَّدَ لَهُ جَنْبَ السُّرُورِ تَفَرُّ بِهِ | عَلَى قَلَّةِ النَّدْمَى نَدِيمًا مُسَلِّمًا |

[٦٧]

شرح :

- (٤) النَّدِيمُ ، فِي أَكْثَرِ اسْتِعْمَالِهَا عِنْدَهُمْ ، الْمُنَادِمُ عَلَى الشَّرَابِ وَالْمَجْمَعِ نَدَمَاءَ وَنِدَامٍ . وَمِثْلُهَا النَّدْمَانُ وَتَجْمَعُ عَلَى نَدَامَى . وَعَمَّتِ الْكَلِمَةُ فَقِيلَتْ فِي كُلِّ مَلَاذِمٍ صَاحِبٍ مُمْتَعٍ .
- وَلَعَلَّ (النَّدْمَى) فِي الْبَيْتِ هِيَ النَّدْمَانُ ، وَحَذَفَ الشَّاعِرُ النَّوْنَ تَجَوُّزًا أَوْ عَلَى سَبِيلِ الْإِكْتِفَاءِ .

[٦٨]

وقال فِي مُطِيبٍ خَيْرِيٍّ أَصْفَرٍ وَأَحْمَرَّ أَتَى بِهِ أَسْمَرَ :

- [من البسيط]
- | | | |
|---|--|--|
| ١ | يَا رَبُّ أَسْوَدَ وَافَانَا وَفِي يَدِهِ | مُطِيبٌ رَاقٍ مِنْ خَيْرِيٍّ بِهِ نَسَقُ |
| ٢ | لَا غُرُوْ أَهْدَى لَنَا رِيَاءَ عَاطِرَةٍ | فَنَفْحَةُ النُّورِ يُذَكِّي طِيْبَهَا الْغَسَقُ |

[٦٩]

وقال ، وَبَعَثَ بِهَا مَعَ بَاكُورَةٍ (*) وَرَدَّ إِلَى أَخِي صَدَاقَةَ وَوَدَّ :

[من مجزوء الكامل]

- | | | | |
|---|------------------------------------|-----------------------------------|-------------|
| ١ | حَيْثُكَ بَكَرٌ مِنْ بَنَاتِ الرَّ | وَضِيْ أَعْجَلَهُ | اِبْتِكَارُ |
| ٢ | طَلَعْتُ لِيْغَيْرِ أَوَانِهِ | فَلِذَاكَ مَا أَصْفَرَ الْبَهَارُ | |

- ٣ جَاءَتْكَ مُنْبَئَةً بِإِقْبَالِ الرَّيِّعِ لَهَا ابْتِدَارُ
٤ مَحْفُوفَةً بِالْأَسِ مِنْهُ عَلَى مَحَاسِنِهَا خِمَارُ
٥ فَكَانَهَا مَا يَنْبَغُ خَدُّ أَحَاطَ بِهِ عِذَازُ

[٦٩]

الشروح :

- (☆) الباكورة : الْمُعْجَلُ الإدراك من كل شيء .
(١) يقال : بَكَرَ وَبَكَرَ (بالتشديد) وَأَبَكَرَ وبَاكَرَ وابتكر : كل ذلك بمعنى .

[٧٠]

وقال ؛ وَوَجَّهَ بِهَا مَعَ تُحْفَةٍ تَفَاحَ إِلَى صِنُو مَجْدٍ (☆) وَسَمَاح :

[من المتقارب]

- ١ وَدُونَكُهَا مِثْلَ شَكْلِ النُّهُودِ وَقَدْ ضُمَّخْتُ بِأَحْمِرِ الْخُدُودِ
٢ كَرِيًّا الْحَبِيبِ وَمَرَأَى الْمُرِيبِ وَطَعْمُ الرُّضَى بَعْدَ طُولِ الصُّدُودِ
٣ أَتَتْكَ تَرْدُّدٌ طِيبَ ثَنَائِي وَإِنْ قَصَرْتُ عَنْ مَدَاهِ الْبَعِيدِ
٤ وَتَفَتَّرْتُ عَنْ مِثْلِ طَعْمِ وَدَادِي لِتِلْكَ الْحُلَى وَالْجَمَالِ الْفَرِيدِ
٥ فَإِنْ خَجَلْتُ أَوْ عَرَاهَا حَيَاءٌ فَمِنْ أَجْلِ تَقْصِيرِهَا عَنْ مَزِيدِ

الشروح

- (☆) الصُّو : المِثْل . (٤) افترّ : ضحك ضحكاً حسناً .

[٧١]

وقال ، وَبَعَثَ بِهَا مَعَ بَوَاكِرِ زَهْر :

- ١ وَدُونَكُهَا يَا رَوْضَةَ الْجُودِ وَالنَّدَى بَوَاكِرِ زَهْرٍ مِثْلِ نَشْرِكِ مِعْطَارِ
٢ بَعَثَتْ بِهَا عَنْ خَجَلَةٍ وَتَوَقُّفٍ فَمِنْ سَفَاهِ إِتْحَافِ رَوْضِ بَنُورِ!

[٧١]

شرح :

- (٢) النُّور : النُّور : الزَّهْرُ أَوِ الْأَبْيَضُ مِنْهُ . الواحدة نَوَّارَةٌ وَالْجَمْعُ نَوَاوِيرُ

[٧٢]

وقال ، وقد أهدى إليه أحدُ خُلصائه بهاراً : [من الخفيف]

- | | | |
|---|----------------------------|----------------------------|
| ١ | يا رياضاً أهدى لأنفي بهارا | وصباحاً أبدي لعيني نهارا |
| ٢ | وجناباً للمكرّماتِ رحيماً | قد زكا محتدأ وطاب نجارا |
| ٣ | وصلّتي هديّة منك أهدت | لفؤادي من المني أوطارا |
| ٤ | نفحتني بمثل ذكرك طيباً | دبّ طيب يعدي النفوس اذكارا |
| ٥ | أنت روض من الحاسن عَضُّ | فبحق تهدي لنا الأنوارا |

[٧٢]

الشروح :

- (٢) النّجار : الأصل .
(٥) الأنوار : ج النور وهو الزّهر الأبيض (وقد يُطلق مجازاً على كل زهر) .

[٧٣]

وقال ، وقد تاحفّته به ذاتُ زِيّ بهي ! : [من البسيط]

- | | | |
|---|--------------------------------|---------------------------------|
| ١ | أهلاً بنور بهار قد حبّتك به | شقيقة الروض في حُسن وفي عبق |
| ٢ | حكى لنا طيب رياها ومبسميها | فارشفه إن شئت أو إن شئت فانتشيق |
| ٣ | أوفى على قُضْب في لُين قامتها | لو أن في ضمّها رَوْحاً لمعتنق |
| ٤ | ريحانة في كُساها الخضر قد طلعت | كأنّها الغُصن في خُضر من الورق |
| ٥ | تكللت عمّة حمراء وانتقبت | تحكي الهلال كستّه حُمرة الشفق |

[٧٤]

وقال في إزراء ورْد الخدّ بجذّ الورْد : [من السريع]

- | | | |
|---|------------------------------------|---|
| ١ | رَمَيْتُهُ بِوَرْدَةٍ مُطْرِفَاً | فَرَدَّهَا وَتَاهَا بِالْخَدِّ |
| ٢ | فَعَادَتِ الْوَرْدَةُ فِي خَجَلَةٍ | تَبَدُّو عَلَيْهَا صَفْرَةَ الْحَقْدِ ! |

[٧٥]

وقال في حقلِ كَتَّانٍ مُنَوَّرٍ : [من السَّريع]

- ١ انْظُرْ إِلَى الْكَتَّانِ طَوْعَ الصَّبَا
- ٢ كَأَنَّهُ بَحْرٌ طَمًا مَوْجُهُ
- يَخْتَالُ فِي خُضْرِ بُرُودِ الشَّبَابِ
- نَوَّارُهُ مِنْ فَوْقِهِ كَالْحَبَابِ !

[٧٦]

وقال في باقِلَاءٍ (٢) تَخْلِلُهَا شَقِيرٌ (١) : [من السَّريع]

- ١ شَقَائِقُ النُّعْمَانِ وَالْبَاقِلَا
- ٢ كَأَنَّ هَذِي وَجَنَّةً خُمِشَتْ
- ٣ وَنَاطِرُ النُّورِ بِهَا نَاطِرٌ
- وَجْهَهُ بِكَفِّ الْحُسْنِ قَدْ رُقِّشَا
- وَذَا عِذَارٌ فَوْقَهَا قَدْ وَشَى
- يَرُومُ أَنْ يُبَصِّرَ مَا خُمِشَا

[٧٦]

الشروح :

(١) الباقلى : وهو نبات عشبي من فصيلة القطانيات (وهو الفول) .

(٢) الشَّقِيرُ : شقائق النعمان .

[٧٧]

وقال في دَبَّاءَةٍ (١) : [من البسيط]

- ١ لَلَّهِ خَزْيَةُ الْجَلْبَابِ صَوْنَهَا
- ٢ حَيَّى بِهَا الرُّوضُ يَنْدَى جِسْمَهَا تَرْفَأُ
- طُولُ الْحِجَابِ فَلَمْ يُمْدَدْ لَهَا ظَفَرُ
- كَأَنَّهَا سَاقُ خَوْدٍ غَالَهَا قَدَرُ

[٧٧]

الشروح :

(١) الدَّبَّاءُ : القَرَعُ .

(٢) الخُودُ : المرأة الحسننة الخلق ، الشَّابَّةُ ، أو الناعمة .

[٧٨]

وقال فيما يعترى الأشجار في الخريف من الاصفرار : [من السريع]

- | | | |
|---|---------------------------|----------------------------|
| ١ | أما ترى الأشجار كيف اكتست | أوراقها رقة ثوب الأصيل |
| ٢ | مما ذاك إلا أنها آذنت | عنا - ولا شك - بوشك الرحيل |

[٧٩]

وقال مستدعياً إلى روض مريع قد اخضرت فيه بُنيّات الربيع :

[من الوافر]

- | | | |
|---|---------------------------|-------------------------|
| ١ | هلم إلى الرياض فقد تردت | بأردية من الأوراق خضر |
| ٢ | وبات القطر يمشطها فوشى | بلبات الغصون عقود دُر |
| ٣ | وغنت فوقها الأطيّار سجعاً | فأغنت إذ شدت عن كل زمر |
| ٤ | وقامت كالعروس تروم كفواً | تروق النفس في مرأى وخبر |
| ٥ | ولا كفء كحسبك فلتجبهها | وإني ضامن إحضار مهر! |

[٨٠]

وقال في شمة :

[من المتقارب]

- | | | |
|---|---------------------------|---------------------------|
| ١ | وصفراء قد سوّيت صعدة | وركب فيها السن كالسنان |
| ٢ | رمت عن شباها الدجى فائثنى | وقد شمر الذيل يبغي الأمان |
| ٣ | كان الذي سال من رأسها | على جسمها من دماء الطعان! |

الشروح :

- (١) الصّعدة : القناة المستوية تنبت كذلك ، ولا تحتاج إلى تثقيف .
 (٢) الشّبا : جمع الشّابة ، وهي حدّ طرف السيف والسنان ونحوهما .

وقال ؛ وفيه من اللف والنشر^(٥) ما يندّر وقوع مثله في الشعر :

[من الطويل]

- | | | |
|---|--------------------------------|--------------------------------|
| ١ | وخاطرة كالطبي في خطوها بُعد | تكاد أعاليها من اللين تنقّد |
| ٢ | تمنيتها في حصرة وسط روضة | ينم علينا من خمائلها الند |
| ٣ | فصدت وقالت : ما لطبعك قد جفا | وأى رياض تبغني بعدما أبدو |
| ٤ | وفردوسها والقضب والعرف والندى | وأوراقها والورق والكشب والرنّد |
| ٥ | وحضرتها والراح والنقل والغنا | ونرجسها والزهر والاس والورد |
| ٦ | ثيابي وأعطاني ونشري ونعمتي | وقرطي وحلي والروادف والقصد |
| ٧ | ووجهي وريقي والنهود ومنطقي | ولحظي وثغري والغدائر والخد |
| ٨ | إذا لحت لاح الحسن طراً وإن أغب | فلا شجن يخفى ولا حسن يبدو |

الشروح :

- (٥) اللف والنشر : من ضروب البديع ، وهو (ذكر متعّد على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ، ثقة بأن السامع يردّه إليه) ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ﴾ .
- (١) تنقّد : تنقطع .

وقال ، وفيه من البديع تجنيس التصريح :

- | | | |
|---|-----------------------------|-----------------------------|
| ١ | بدّر تم بأفق قلبي تجلّى | جلّ في الحسن أن يُباعَ جلاً |
| ٢ | حرّم الوصل والصّدود أحلاً | وضروب الأسى بصدري أحلاً |
| ٣ | كيف قل لي : عن الهوى يتسلّى | من حشاه بوجده يتصلّى ؟ |
| ٤ | حسن خلق وحسن خلق فمن لا | يصطفيه وإن جفاه وملا |

- ٥ يَاعْذُولِي عَلَى تَجَنِّيهِ مَهْلًا لَا تَلْمُنِي فَقَدْ بَدَا الْعُذْرُ، مَهْ! لَا
٦ كُلُّ عَذْلٍ قَدْ صُغَتْ فِيهِ أَصْحَلًا عِنْدَ قَلْبِي، إِذْ لَا يُوَافِي مَحَلًّا

[٨٣]

وقال في ذلك المَهْيَعِ (☆) : [من مَخْلَعِ البسيط]

- ١ يَامَنْ بِأَوْصَافِهِ الْحَوَالِي رَقِّيَ فِي الْحُبِّ قَدْ حَوَى لِي
٢ أَنْوَارَ وَجُنَاتِكَ الْجَوَالِي جَلَبَنْ ذَا الْوَجْدَ وَالْجَوَى لِي
٣ وَفِي لَمَى ثَغْرِكَ الْـدَوَا لِي لَوْ عَلَّنِي بِأَبْنَةِ الدَّوَالِي
٤ هَلَّا جَعَلْتَ الرِّضَى نَوَالِي بَدِيلَ إِيْلَائِكَ النَّوَى لِي
٥ فَعَايَةَ السُّؤْلِ وَالْمُنَى لِي لَوْ كَانَ مِنْكَ الرِّضَى مَنَالِي

الشروح :

- (☆) الْمَهْيَعُ : الطريق الواسع البَيِّن . والمراد : تجنيس التصريح .
(١) حَلَيْتُ الْمَرْأَةَ حَلِيًّا : أَزَيَنْتُ ، فهي حَالِيَّة ، والجمع حَوَالٍ .
(٢) جَلَا السِّيفَ وَالْمَرْأَةَ : صَقَلَهَا ، وَالْوَجْنَةُ الْمَجْلُوءَةُ : الصَّقِيلَةُ النَّاعِمَةُ ؛ والجَوَالِي : جمع جَالِيَّة ، استعملَهَا بمعنى مَجْلُوءَةٌ .
(٣) الدَّوَالِي : جمع دَالِيَّة ؛ والدَّوَالِي : أي الدَّوَاءُ لِي .

[٨٤]

وقال ، والتزَمَ في قَوَافِيهِ نَوْعًا مِنَ التَّجْنِيسِ : [من مَخْلَعِ البسيط]

- ١ بِحَقِّ فَضْلِ الرَّسُولِ سُؤْلِي بَرِّدْ بِرُوحِ الْوِصَالِ صَالِي
٢ سَبَى سَنَا حُسْنِكُمْ فَوَادِي مَالِي وَمَا لِلْجَمَالِ، مَالِي؟
٣ يَاطْبِي هَبْ لِي رِضَاكَ عَلَيَّ أَثَرًا بِهِ مِنْ خَبَالِ بَالِي
٤ أَيَأْسْتُ فِيكَ الْعَذُولَ مِنِّي تَرْفُعًا عَنْ مَقَالِ قَالِي
٥ هَلْ أَقْتَمِي فِي الْمِإْلَاحِ لَاحِ وَأَهْيَفِي فِي الْعَالِ وَالِإِي

الشروح :

- (١) حقّها أن تكون (صالياً) لولا ضرورة الشعر ؛ وصليّ النار وبها : قاسى حرّها .
(٢) الخَبَال : العناء ، والفساد .
(٣) قال : أي مُبْغِض .
(٤) العَوَالِي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو رأسها ، أو النّصف الذي يلي السّنان . واللاحى : اللّائم . ويريد بالأهيف الضّامِر : الرُّمَح

[٨٥]

وقال ، وفيه نوعٌ من التجنيس ومعنى من التّوريّة : [من البسيط]

- ١ وشادِنِ باكَرَ الكُتّابَ مُحْتَضِناً لِلْوَحِيهِ ، خَاطِراً فِي صُورَةِ الْقَمَرِ
٢ سَأَلْتُهُ : يَا حَبِيبِي ! مَا بِلَوْحِكَ قُلْ فَقَالَ لِي : إِنِّي فِي (سُورَةِ الْقَمَرِ) !

[٨٦]

وقال في ذلك المهيع : [من البسيط]

- ١ وَمَجْدِبِ الْخَضِرِ غَضَّ الرَّذْفِ نَاعِمِهِ فَمِنْهُ لِي ظَمّاً وَمِنْهُ لِي وَرْدُ
٢ قَدْ ظَلَّ يُطْرِقُ لَمَّا شَتُّهُ غَضِباً تَعْنُو لِعِزَّتِهِ الضَّرَاعِمُ الْوَرْدُ
٣ كَأَنَّ أُنْمَلَهُ مِنْ فَوْقِ وَجْتَتِهِ سَوْسَانَةٌ قَدْ بَدَا خِلَالَهَا وَرْدُ

الشروح :

- (٢) الْوَرْد : الأسد ، وَتَجَمَّعَ عَلَى (وَرْد) . وَالضَّرْعَم وَالضَّرْغَام وَالضَّرْغَامَةُ : الأسد ، والجمع ضَرَاغِم .

[٨٧]

وقال ، وَتَنْشُدُ بَعْشِرِ قَوَافٍ (*) :

- ١ سَبْعَ لِي الْيَوْمَ أَيَا بُغَيْتِي لَمْ يَبْدُ لِي مَنْظَرُكَ الْأَقْمَرُ
الْأَبْدَعُ الْأَوْضَحُ الْأَعْجَبُ الْأَظْرَفُ الْأَسْعَدُ الْمَشْرِقُ الْأَوْسَمُ الْأَجْمَلُ الْأَحْسَنُ

٢ ماذا الجفَاءُ اللهَ في مُغْرَمٍ أذْمَعُهُ مِنْ لَوْعَةٍ تَقْطُرُ
تَهْمَعُ تَسْفَحُ تَسْكَبُ تَذْرِفُ تَنْفَدُ تَذْفُقُ تَسْجُمُ تَهْطِلُ تَهْتُنُ
٣ أَيَظْهَرُ الْبَدْرُ عَلَى بُعْدِهِ وَأَنْتَ بِالْقُرْبِ وَلَا تَظْهَرُ؟!
تَطْلُعُ تَلْمَحُ تَغْرُبُ تُسْعِفُ تُسْعِدُ تُشْرِقُ تُنْعِمُ تُفْضِلُ تُحْسِنُ

[٨٧]

الشروح :

(☆) تتألف هذه المقطوعة من ثلاثة أبيات ، وبعد كل بيت تسع كلمات متشابهات القافية
عمودياً ، بحيث تصلح كلها أن تكون قوافي للمقطوعة ؛ فالقافية مثلاً في النصِّ الرّاء ، وقد
تكون العين مع (الأبدع ، تهمع ، تطلع) ، أو الحاء مع (الأوضح ، تسفح ، تلمح)
وهكذا ؛ والشاعر هنا يُبدي براعته في المقدرة على تنويع القوافي ، والدلالة على السعة
اللغوية ، ويجاري الدارج مع ذوق عصره .
(١) وَجْهٌ أَقْمَرُ : مُشَبَّهٌ بِالْقَمَرِ ؛ يُجْمَعُ عَلَى : قَمَرٍ .

[٨٨]

وقال في خِلعةٍ مُوَيَّقةٍ على طلعةٍ مُشرقةٍ : [من البسيط]

١ مَرَاكَ مَا التَّاحَ فِي حَوْ السِّفَاسِيرِ أَمْ بَدْرٌ تِمَّ تَجَلَّى فِي الدِّيَاجِيرِ
٢ وَتِلْكَ فَوْطَتِكَ الزَّرْقَاءُ تُحْدِقُهُ أَمْ هَالَةٌ حَدَّتْ عَنْ ذَلِكَ النُّورِ
٣ وَسُمْرَةُ الْخَالِ ذِي أُمِّ وَشَمِّ غَالِيَةٍ فِي صَفْحٍ خَدَّ بِمَعْنَى الْحُسْنِ مَسْطُورِ
٤ وَسِطَ تَغْرِ شَهِيٍّ الرِّيْقِ عَاطِرُهُ أَمْ غُصْنُ زَهْرٍ بِمَاءِ الْوَرْدِ مَمْطُورِ
٥ وَقَدْكَ الْأَهْيَفُ الْمَمْشُوقُ غُصْنُ نَقَا يَهْفُو بِكُلِّ مَشُوقٍ الْقَلْبِ مَهْجُورِ

[٨٨]

الشروح :

(١) السِّفَاسِيرِ : جمع السِّفِيرِ ، وهو الخادم . وَالْحَوَّ : جمع الأحوى ، وهو الذي فيه حُمْرَةٌ إلى
سواد . والدِّيَاجِيرِ : جمع ديجور ، وهو الظلام .

- (٢) الفَوْطَةُ : وَاحِدَةُ الْفَوْطِ ، وَهِيَ مَازِرٌ مُخَطَّطَةٌ .
 (٣) الغَالِيَةُ : صَرَبٌ مِنَ الطَّيِّبِ .
 (٥) الْهَيْفُ : ضَمْرُ الْبَطْنِ وَرِقَّةُ الْخَاصِرَةِ . وَفِي هَامِشِ الْأَصْلِ ، عَلَى يَمِينِ السَّطْرِ ، بِحِطِّ دَقِيقٍ :
 « يَلْغَ السَّمَاعُ وَالْقِرَاءَةُ » .

[٨٩]

وقال في نحو ذلك المعنى :

- ١ قَدُّكَ فِي مَلْبَسِكَ الْوَرْدِي
 ٢ وَوَجْهُكَ الْأَسْعَدُ مِنْ فَوْقِهِ
 ٣ ظَبْيِي وَأَيْنَ الظَّبْيِي مِنْ تَيْهِهِ
 ٤ يَخْتَالُ إِذْ يَلْتَسَاخُ فِي مَلْبَسِي
 ٥ وَلَيْسَ صَبْغاً فِيهِ لَكُنْهُ
 أم آسَاءٌ تَخْتَالُ فِي وَرْدِ
 أم قَمَرٌ قَدْ لَاحَ بِالسَّعْدِ
 وَغُنْجِهِ وَالرَّدْفِ وَالْقَدِّ
 كَأَنَّا حَيْثُكَ مِنَ الْوَرْدِ
 عَكْسُ شُعَاعِ ذَلِكَ الْخَدِّ

[٩٠]

وقال في راكبٍ أشقرَ حسن المنظر :

- ١ يَا بَدْرٌ تَمُّ تُسَامِي الطَّرْفَ عَنْ أَفْقِي
 ٢ بِمُهْجَتِي عَائِدٌ عَادَ الزَّمَانُ بِهِ
 ٣ جَرَى بِهِ أَشْقَرٌ لِلْوَعْدِ فِي طَلْقِي
 ٤ حَتَّى إِذَا مَا أَتَى أَهْوَى يُعَانِقُنِي
 ٥ كَأَنَّا الطَّرْفُ أَفَقٌ شَمْسُهُ غَرَبَتْ
 أَوَّلَى لَكَ الْقَلْبُ أَفْقاً وَاضِحَ الْفَلَقِ
 فَعَادَ عِيدَ الرِّضَى وَالْبِشْرِ فِي نَسَقِ
 فَيَا لِحَرْيِ النَّهْيِ فِي ذَلِكَ الطَّلْقِ
 فِي الْأَرْضِ كَالشَّمْسِ إِذْ تُهْوِي عَنِ الْأَفْقِ
 فَذَلِكَ اللَّوْنُ فِيهِ حُمْرَةُ الشَّفَقِ

[٩٠]

ملاحظة :

في عدد من القطع التالية مُجَارَاةٌ لبعض أشعار المشاركة وقد حاكها الأندلسيون والمغاربية في عصر
 الموخدين خاصة ، واسترشيء من هذه الأوصاف الغلمانية على سبيل المجازاة والإحماض في أشعارهم .

الشروح :

- (١) التَّمَّ (مثلثة التاء) : التَّام . والفَلَقُ : الصَّبح .
 (٢) جرى الفَرَسُ طَلْقاً : أي شَوَّطاً .
 (٥) الطَّرْفُ : الكريم من الخَيْل .

[٩١]

وقال في راكبٍ دَهْماء :

[من مجزوء الوافر]

- ١ إذا الـدَّهْمَاءُ أَجْرَاهَا
 ٢ عَلَيْهَا مِنْ أَعْيَتْهَا
 ٣ تَقُولُ: اللَّيْلُ قَدْ وَافَى
 أَبُو زَيْدَانٍ فِي لَعِبِ
 تَمَائِمٍ صِغْنٍ مِنْ ذَهَبِ
 بَيْتِ دُرِّ التَّمِّ وَالشُّهْبِ

[٩١]

شرح :

- (١) الدَّهْمَاءُ : الفَرَسُ السُّوداء .

[٩٢]

وقال في غلامٍ سَابِح :

[من المتقارب]

- ١ وَظَبْيٍ تَجَرَّدَ عَنْ قُمْصِيهِ
 ٢ وَأَقْبَلَ يَسْبِجُ فِي الْمَاءِ تَيْهًا
 ٣ كَأَنَّ مُحْيَاةَ بَدْرٍ سَحَابِ
 وَقَدْ زَرَّ لِلْحُسْنِ أَضْفَى قَيْصُ
 فَيَبْدُو وَيَخْفَى كَمَعْنَى عَوِيصُ
 فَطَوْرًا يَلُوحُ وَطَوْرًا يَغُوصُ

[٩٣]

وقال في المعنى :

[من مجزوء الكامل]

- ١ بِأَيِّ غَزَالٍ غَاظَلْتُهُ مُقْلَتِي فِي الْمَاءِ عَائِمُ
 ٢ يَبْدُو وَيَخْفَى فِيهِ كَالشَّحْمِسِ أَنْجَلْتُ بَيْنَ الْعَبَائِمِ

[٩٤]

وقال في أسمرٍ وسيم :

[من الخفيف]

- ١ كَيْفَ يَصْحَوُ مِنْ سُكْرِهِ مُشْتَاقٌ فِي هِلَالٍ تَشْتَاقُهُ الْآفَاقُ

- | | | |
|---|---|---|
| ٢ | كَلَّفْتَنِي لِحَاطَهُ الصَّبْرَ حَتَّى | جَازَ عِنْدِي تَكْلِيفُ مَا لَا يُطَاقُ ! |
| ٣ | عَابَ مِنْهُ اللُّحَاةَ لَمَّا رَأَوْهُ | سُمِرَةً لِي فِي سِرِّهَا أَذْوَاقُ |
| ٤ | وَادَّعُوا أَنَّهَا ظَلَامٌ بَقْلِي | حَاشَ لِلَّهِ إِنَّهَا إِشْرَاقُ |
| ٥ | هَمْ أَجَالُوا لِحَاطَهُمْ فِيهِ حَتَّى | نَفَضْتُ فِيهِ صِبْغَهَا الْأَحْدَاقُ |

[٩٤]

شرح :

- (٢) في القرآن الكريم : ﴿ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ من الآية الشريفة (٢٨٦) من سورة البقرة (٢) . والشاعر يستفيد من بعض المسائل الكلامية .

[٩٥]

وقال في المعنى :

- [مجزوء الرمل]
- | | | |
|---|--------------------------------|--------------------------------|
| ١ | مَنْ عَازِلِي مِنْ عَازِلٍ | فِي رَشَاءٍ أَسْمَرَ شَيْئًا |
| ٢ | دُونَ صِبْغِ الْمِسْكِ لَوْنًا | وَهُوَ فَوْقَ الْمِسْكِ رَيًّا |
| ٣ | أَوْلَايَ عَازِلِي | أَنَّهَا مِمَّا تَزِيًّا |
| ٤ | مِنْ سَوِيْدَاءٍ فَوَادِي | وَسَوَادٍ مَقْلَتِيًّا |
| ٥ | إِذْ نَشَا بَيْنَ ضُلُوعِي | وَتَوَى فِي نَاطِرِيًّا |

[٩٥]

شرح :

- (٢) الْمِسْكُ : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيِّبِ ، لَوْنُهُ أَسْوَدُ .

[٩٦]

وقال في المعنى :

- [من الكامل]
- | | | |
|---|--|--|
| ١ | عَابَ الْعَوَازِلُ مِنْ حَبِيْبِي سُمِرَةً | كَلَّا ، فِرْنَدُ السَّيْفِ لَيْسَ بَعَائِبُهُ |
|---|--|--|

٢ لَمَّا جَرَى مَاءُ النِّعَمِ بِوَجْهِهِ لَاحَتْ بِصَفْحَتِهِ ظِلَالُ ذَوَائِبِهِ

[٩٧]

وقال في الاعتذار عن مساوئ العذار : [من البسيط]

- ١ تَطْرِيزُ خَدَّيْكَ بِالرَّيْحَانِ وَالرَّاحِ
 - ٢ عِذَارُ آسٍ عَلَى خَدَّيْنِ قَدْ جَمَعَا
 - ٣ تَبَارَكَ اللَّهُ بَارِيهِ عَلَى قَدَرٍ
 - ٤ أَمَّا الْعِذَارُ فَمَا أَوْفَى بِمَعْدِرَتِي
 - ٥ سَأَلِزِمَ النَّفْسَ حُكْمَ الصَّبْرِ مُحْتَسِبًا
- لَمْ يَبْقَ عَقْلًا صَحِيحًا ، لَا وَلَا صَاحِي
لِرَوْنَقِ الرَّاحِ تَرْوِيحًا لِأَرْوَاحِ
رَيْحَانَتَيْنِ عَلَى كَاسَيْنِ مِنْ رَاحِ
لَوْ كَانَ يَلْحَظُهُ عَنْ لَحْظِي اللَّاحِي
أَجْرِي عَلَى اللَّهِ فِي تَقْنِيدِ نَصَاحِي !

[٩٨]

وقال في المعنى : [من السريع]

- ١ مَنْ عَاذِرُ الْمُشْتَاكِ مِنْ عَاذِلٍ
 - ٢ قَالَ : بَدَا عَارِضُهُ فَاسْأَلُهُ
 - ٣ لَمَّا غَدَتْ وَجُنَّتْهُ جَنَّةٌ
 - ٤ وَجَالَ فِيهَا رَيْقُهُ كَوْثَرًا
 - ٥ فَكَيْفَ لَا أُبْغِي خُلُودًا بِهَا
- فِي حُبِّ ظَبْيٍ أَشْنَبِ أَلْعَسِ
كَيْفَ وَرَوْضُ الْحُسْنِ مِنْهُ كَيْسِي ؟
مَحْفُوفَةٌ بِالْوَرْدِ وَالنَّرْجِسِ
أَكْمَلَهَا الرَّحْمَنُ بِالسُّنْدُسِ
وَالْخُلْدُ أَقْصَى مُبْتَغَى الْأَنْفُسِ ؟ !

[٩٨]

شرح :

(١) اللَّعْسُ : سَوَادٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي الشَّقَةِ .

[٩٩]

وقال في المعنى : [من المنسرح]

- ١ قَالُوا مَحَتْ عَارِضَاهُ بَهْجَتَهُ
- فَبَدُرَ مَرَاهُ لِلْغُرُوبِ جَنَحُ

- ٢ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَيْسَ ذَاكَ عَلَى مَنْظَرِهِ نَاضِرُ الْعِذَارِ وَضَحُ
٣ وَإِنَّمَا شَمْسٌ حُسْنِيهِ سَطَعَتْ فَلَاحَ فِي وَجْنَتَيْهِ قَوْسٌ قُرْخُ

[١٠٠]

وقال في المعنى : [من الخفيف]

- ١ لَا زَوْرُدُ الْعِذَارِ فَوْقَ نُضَارِ الْخَدِّ يَحْكِي تَارِيخَ عَهْدِ الْجَمَالِ
٢ قَدْ وَشَّتْهُ أَيْدِي الْمَحَاسِنِ سَطْرًا مُحْكَمَ الشَّكْلِ مُعْجَبًا بِالْغَوَالِي

[١٠١]

وقال في دَمِّ الْعِذَارِ (*) :

- ١ يَا مَنْ تَعَجَّبَ فِي اصْطِيبَارِ عَشَاقِهِ عَنْهُ وَحَارِ
٢ مِنْ بَعْدِ مَا كَسَفَتْ ذُكَا ءُ وَأَزَعَجَ اللَّيْلُ النَّهَارِ
٣ لَمَّا بَدَا فِي رَوْصِ خَدَيْكَ النَّدَى صِلُ الْعِذَارِ
٤ ارْتَاعَ طَاوُوسُ الْجَمَا لَ فَمَدَّ أَجْنَحَةً وَطَارَ
٥ فَلِذَا الْقُلُوبُ الطَّائِرَا تَ إِلَيْهِ قَرَّ بِهَا الْقَرَارُ

[١٠١]

الشروح :

- (*) الْعِذَارُ : جَانِبُ اللَّحْيَةِ ، وَعَذَرُ الْغَلَامِ : نَبَتَ شَعْرِ عِذَارِهِ .
(٢) ذُكَا ، غَيْرُ مَصْرُوفٍ : اسْمٌ لِلشَّمْسِ ، لَا تَدْخُلُهُ الْأَلْفُ وَاللَّامُ .
(٣) الصَّلَّ : الْحَيَّةُ الَّتِي لَا تَنْفَعُ مِنْهَا الرُّقِيَّةُ .

[١٠٢]

وقال في الْإِنْذَارِ بِسَوَادِ الْعِذَارِ :

- ١ يَا لَاهِيَاءَ عَنْ غَرَامِي وَمُعْرِضَاءَ عَنْ سَقَامِي

وَجْهًا لِمَا لَيْسَ يَتَنِي	٢
تَعُودَ سَهْلَ الْمَرَامِ	٣
عَلَيْكَ أَيَّ زَمَامِ	٤
يَنْقَادُ طَوْعَ اللَّجَامِ	٥

[١٠٢]

شرح :

(٥) في معنى هذا البيت ينظر إلى قول بشار (ديوانه ٩٨/٢) :

لَا يُؤَيِّسَنَّكَ مِنْ مُخَدَّرَةٍ قَوْلٌ تَغْلَظُ بِهِ وَإِنْ جَرَحَا
عُشْرُ النَّسَاءِ إِلَى مِيَاثَرَةٍ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَهَا جَمَحَا

[١٠٣]

وقال مُتَنِيًا بِكَلَامِ بَدَأَ نَبَاتٌ دَقْنَهُ قَبْلَ عَارِضِهِ : [من السريع]

وشادن ذي لَمَةٍ قَدْ غَدَتُ	١
فَقُلْ لَذِي الْعَذْلِ الَّذِي عَابَهُ	٢
أَضْحَى مِنْ الْأَفْلَاكِ بَذْرِئِهَا	٣

[١٠٣]

شرح :

(٣) كلٌّ مستدير فلَك ، والفلَك : مدار النجوم الذي يَضُمُّها

[١٠٤]

وقال :

قالوا: عَلِقْتَ بِهِ كَبِيرًا سِنَّةً	١
فَأَجَبْتَهُمُ وَالْقَلْبُ رَهْنٌ بَلَابِلُ	٢
إِنَّ الْقُلُوبَ عَلَى الْمِلَاحِ قَوَالِبُ	٣

بَادِي الْعِذَارِ، وَإِنَّ ذَا لَنَكِيرٍ
وَبَطِيٌّ صَدْرِي لَوَعَةٌ وَزَفِيرٌ
مَا لَمْ يَضِقْ عَنْهُ الضَّمِيرُ صَغِيرٌ

[١٠٥]

وقال في أرمذ : [من الكامل]

- ١ رَمِدَتْ لَوَاحِظُهُ فَقَالَ طَبِيبُهُ : أَضْفُوا عَلَيْهِ غَلَائِلًا زُرْقَا
- ٢ مَا إِنْ تَكَادُ تُبِينُ وَهُوَ مُغْلَلٌ بَيْنَ الْهَلَالِ وَيُنْنُهُ فَرْقَا
- ٣ يَا مَنْ رَأَى فِي الْأَرْضِ بَذْرًا مَاشِيًا أَمَا أَنَا فَرَأَيْتُهُ حَقًّا !

[١٠٦]

وقال في المعنى : [من الوافر]

- ١ عَزِيزِي مِنْ سَقِيمِ الْمُقْلَتَيْنِ فَمَا بِهِمَا لِخَلْقٍ مِنْ يَدَيْنِ
- ٢ مَرِيضِ اللَّحْظِ مِنْ رَمَدٍ وَغُنْجٍ بَلَا قَلْبِي الْمَشُوقَ بِمَرْضَتَيْنِ
- ٣ وَمَا عَجَبِي لِصَوْلِهَا شَهِيرَيْنِ لَكِنْ كَيْفَ صَالَا مُغْمَـدَيْنِ !

[١٠٧]

وقال في المعنى : [من الكامل]

- ١ قَالُوا : بِمُقْلَتِهِ احْمَرَّ شَانَهَا هَيْهَاتَ ! عِنْدِي عِلْمٌ مَا لَمْ تَعْلَمُوا
- ٢ لَمَّا أَغَارَ عَلَى الْقُلُوبِ بِلَحْظِهِ أَصْدَا فِرْنَدَ حُسَامِ مُقْلَتِهِ الدَّمُ

[١٠٨]

وقال في غلام يرتقب هلال الفطر : [من البسيط]

- ١ يَا حُسْنَهُ لِهَلَالِ الْفِطْرِ مُرْتَقِبًا كَالْبَدْرِ أَشْرَقَ فِي دَاجٍ مِنَ الْغَسَقِ
- ٢ أَوْمَى إِلَيْهِ بَعَيْنِيهِ وَغَارَ لَنِي فَقُلْتُ وَالصَّبُّ مَفْطُورٌ عَلَى الْقَلْقِ
- ٣ لَقِيَاكَ عَيْدِي وَمَرَاكَ الْهَلَالَ وَفِي لِهَاكَ فِطْرِي فَمَا أَبْغِي لَدَى الْأَفْقِ ؟ !

[١٠٩]

وقال في المعنى : [من الخفيف]

- | | | |
|---|---------------------------|-----------------------------|
| ١ | بأبي شادين على البذر يزري | قد كساه الصيام أثواب هجر |
| ٢ | ظلت أشدو تعجباً منه لما | قام مستوضحاً هلال الفطر: |
| ٣ | أنت بذر - وهبك لاح هلال - | كيف يبغي الهلال من بعد بذر؟ |

[١١٠]

وقال في تلون الحب والحبيب عند اللقاء : [من البسيط]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | تَحْمَرُ وَجْنَتُهُ مَهْمَا مَرَرْتُ بِهِ | وَيَسْتَحِيلُ دَمِي أَيْضاً مِنَ النَّظَرِ |
| ٢ | حَتَّى كَأَنَّ الدَّمَ الْمَفْقُودَ مِنْ جَسَدِي | هُوَ الَّذِي قَدْ بَدَأَ فِي خَدِّهِ النَّضْرُ! |

[١١١]

وقال في الوشاح والتأئم : [من البسيط]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | وَذِي تَأْئِمٍ تَبْرِي مِنْ وَسَاوِسِهِ | قَدْ نَضَّدْتُ بَوْشَاحٍ مِنْهُ وَسَوَاسِ |
| ٢ | كَأَنَّ حُلُكَّتَهُ فِي صُبْحٍ لَبَّتِهِ | سَطَّرَ مُوَشَّى بَدَأَ فِي صَفْحٍ قِرْطَاسِ |

[١١٢]

وقال في زيارة الطيف : [من الكامل]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | يُؤْدِي خَيْالاً مِنْكَ زَارَ خَيْالَهُ | صَبَّ يَرَاكَ مِنَ الْوُجُودِ كَالَهُ |
| ٢ | هَيْهَاتَ بَلْ يَفْدِيكَ يَا شَرِكَ النُّهَى | مِنْ كُلِّ مَا تَخْشَى النُّفُوسُ مَنَالَهُ |
| ٣ | لَوْلَا سَاحُكَ بِالنَّمَامِ لَهَا سَرَى | فَلَكَ التَّفَضُّلُ بِالزِّيَارَةِ لَا لَهُ! |

[١١٣]

[من مخلع البسيط]

وقال في استعداد الحب على المحبوب :

- | | | |
|---|-------------------------------------|----------------------------------|
| ١ | أَقَمْتُ فِي الْحُبِّ شَاهِدَيْنِ | سَقَامَ جِسْمِي وَدَمْعَ عَيْنِي |
| ٢ | وَهَا أَنَا حَالِفٌ يَمِيناً | بِوَرْدَةِ فَوْقَ وَجْنَتَيْنِ |
| ٣ | قَدْ حَفَّهَا الْيَاسَمِينُ تُحْمَى | مِنْ عِطْفِ صُدُغِ بَعْقَرَيْنِ |
| ٤ | لَوْ دُكِّمَ فِي صَمِّ قَلْبِي | مَا غَيَّرَتْهُ صُرُوفُ بَيْنِ |
| ٥ | فَهَلْ لِقَاضِي الْهَوَى مَضَاءٌ | يَحْكُمُ مَابَيْنَكُمْ وَيُنِي؟ |

[١١٤]

[من السريع]

وقال في الوداع :

- | | | |
|---|-------------------------------------|---|
| ١ | أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ حَبِيباً نَأَى | عَنِّي وَإِنْ ظَلَّ الْحَشَا مَرْبَعَهُ |
| ٢ | أَوْدَعَ قَلْبِي يَوْمَ وَدَعْتُهُ | مِنْ بَرَحَاءِ الْوَجْدِ مَا أَوْدَعَهُ |
| ٣ | يَا رَبِّ فِي حِفْظِكَ تَرْحَالُهُ | مَا إِنْ يُضِيعُ اللَّهُ مُسْتَوْدَعَهُ |

[١١٥]

[من الخفيف]

وقال في المعنى (☆) :

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | هَلْ جُسُومَ يَوْمِ النَّوَى وَدَّعُوهَا | بَاقِيَاتِ لِسُوءِ مَا أَوْدَعُوهَا |
| ٢ | يَا حُدَاةَ الْقُلُوبِ مَا الْعَدْلُ هَذَا | أَتَبْعُوهَا أَجْسَادَهَا أَوْ دَعُوهَا |

[١٢٥]

الشروح :

(☆) البيتان في نفع الطيب ٤٤١/٣

(٢) في النفع :

يَا حُدَاةَ الْقُلُوبِ مَا الْعَدْلُ هَذَا أَتَبْعُوهَا أَجْسَادَهَا أَوْ دَعُوهَا

[١١٦]

وقال في وداع راكبٍ بحري :

[من البسيط]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | يا راكبَ الفلكِ والأفلاكِ تهوَاهُ | وما هَذَا الجَفْنُ والأَجْفَانُ مَثْوَاهُ |
| ٢ | ها مُهْجَتِي فَهِيَ قُلُوكُ رِيحُهُ نَفْسِي | وبَحْرُهُ فَيُضُّ دَمْعِي فَلْتَمَطُّاهُ |
| ٣ | هَيْهَاتَ سِرٍّ تَحْتَ لَحْظِ الحِفْظِ فِي دَعَا | كان الأَمِينُ عَلَيْكَ الحَافِظَ اللهُ |
| ٤ | نَشِدْتُكَ اللهُ إِمَّا زِدْتَ مُرْتَبِعاً | بِسَبْتَةٍ يَسْتَمِيلُ النَّفْسَ مَرَاهُ |
| ٥ | لَا تَسِرْ عَهْدَ مُحِبٍّ أَنْتَ رَاحَتُهُ | وَرُوحُهُ وَأَقَاصِي مَا تَمْنَاهُ |

[١١٦]

الشروح :

- (٢) تَطَى النَّهَارَ وَغَيْرَهُ : امتدَّ وطال . وامتطى النَّابَةَ وَأَمَطَاهَا : جعلَهَا مَطِيَّةً . وقول الشاعر :
« فَلْتَمَطَّاهُ » ، يريد : فَلْتَمْتِطِهِ ، وألجأهُ الشُّعْرُ إِلَى ذَلِكَ .
- (٤) سَبْتَةٌ : مدينة ساحليَّة مِن مُدُن المغرب على بَحْرِ الزُّرْقَاقِ الفاصل بين المغرب والأندلس (على مضيق جبل طارق) ، يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث ، عَدَا الغَرْبَ ؛ وهي مدينة قديمة ذات أهمية متعدِّدة الجوانب في القديم والحديث ، وقد تأثَّرت بمجريات تاريخ البلدين ، وخصوصاً في التَّأْرِيخِ الإسلاميِّ (راجع ياقوت ١٨٢/٣ ، والاستبصار : ١٣٧) .

[١١٧]

وقال في هُجُومِ البعادِ في زَمَنِ الإسعادِ :

[من مَخْلَعِ البسيط]

- | | | |
|---|----------------------------------|------------------------------------|
| ١ | كُنْتُ أَظُنُّ البَعَادَ يُسْلِي | وَالْحَقُّ أَنَّ البَعَادَ يُصْلِي |
| ٢ | مَا خَلَقَ اللهُ شَرَّ خَطْبٍ | مِنْ فُرْقَةٍ فِي زَمَانٍ وَصَلٍ |

[١١٧]

شرح :

- (١) صِلَى النَّارَ ، وبالنَّارِ ، صلياً : قاسى حَرَّهَا .
- وفي البيت جناس ناقص .

[١١٨]

وقال في قُرب الدارِ ونيلِ الأوطارِ : [من البسيط]

- ١ يا قَادِمِينَ ولو أُعْطِيَ البَشِيرُ بِهِمْ بَقِيَّةَ العَمْرِ مَا أَنْصَفْتُ فِي الثَّمَنِ
- ٢ قَدْ كُنْتُ أُعْتَبُ دَهْرِي لَوْ فَرَعْتُ لَهُ مِنْ شَاغِلِ البَيْنِ أَوْ مِنْ لَاعِجِ الشَّجَنِ
- ٣ أَمَا وَقَدْ قَرَّبَ الرَّحْمَنُ دَارَكُمْ كَمَا أَحَبُّ فَلَا عَتَبٌ عَلَى الزَّمَنِ

[١١٩]

وقال مُرَاسِلاً وكتبَ بهما مقطوعةً أحرفهما في الكاغِدِ (☆) : [من المتقارب]

- ١ إِلَيْكَ صَحِيفَةٌ شَكْوَى مُحِبٍّ شَجَّ فِي جَحِيمِ الهَوَى قَدْ هَوَى
- ٢ وَمَا عَبَثًا خَطَّهَا بِالْهَوَاءِ وَلَكِنْ لِيُنْبِي بِفَرْطِ الهَوَى !

[١١٩]

الشروح :

- (☆) الكاغِد : القرطاس ، مُعَرَّب .
(١) الشَّجَو : الهمَّ والحَزَن ؛ وَرَجَلْ شَجَّ : أي حزين .

[١٢٠]

وقال في المعنى : [من الوافر]

- ١ أَجِلُ عَيْنَيْكَ فِي وَشْيٍ تُعَايِنُ كِتَاباً وَالْهَوَاءُ لَهُ مِدَادُ
- ٢ حَكَانِي كَاتِبِي فِي حَالَتِيهِ لَنَا جِسْمٌ وَلَيْسَ لَنَا فُؤَادُ !

[١٢١]

وقال في المعنى : [من المتقارب]

- ١ كَتَبْتُ وَشَى — وَوَقِيَّ يَمْلِي أَسَى سَرِيرَةَ حُبٍّ وَشَاهَا الْجَلَمَ
- ٢ وَلَوْ رُمْتُ خَطًّا لَهَا بِسِوَاهُ تَلَهَّبَ بَيْنَ يَدَيَّ الْقَلَمَ !

[١٢١]

شرح :
(١) الْجَلَمُ : المقص .

[١٢٢]

وقال في المعنى :

[من مخْلَع البسيط]

- ١ يَا مَنْ أَغَارَ عَلَى هَوَاةٍ مِنْهُ وَمَنِّي وَمِنْ سِوَائِي
- ٢ حَتَّى إِذَا مَــــا أَرَدْتُ سِرّاً خَطَطْتُ فِي صَفْحَةِ الْهَوَاءِ !

[١٢٣]

وقال في المعنى :

[من مخْلَع البسيط]

- ١ أَهْيَلْ وَدِّي نِــــدَاءَ صَبٍّ أَنْحَلَهُ الْحُبُّ بَلْ أَذَابَهُ
- ٢ أَرَادَ يَشْكُو لَكُمْ هَوَاةٍ فَالْتَهَبَتْ أَحْرَفُ الْكِتَابَةِ !

[١٢٤]

وقال مجيباً عن بيتين (٥٠) لأحد المشاركة وهما (٥٥) :

[من مخْلَع البسيط]

- ١ يَا سَاكِنَا قَلْبِي الْمَعْنَى وَلَيْسَ فِيهِ سِوَاكَ ثَانٍ
- ٢ لَأَيِّ شَيْءٍ كَسَرْتَ قَلْبِي وَمَا التَّقَى فِيهِ سَاكِنَانِ ؟ !

[١٢٤]

الشروح :

(٥٠) في هامش الأصل ، الحاشية التالية ، بخط مغاير : « وَرَأَيْتُ بَخَطَ بَعْضِ شَيْوْخِ شَيْوْخَانَا جَوَاباً
عن البيتين لبعضهم ، وهو :

تَحَلَّتْنِي طَائِعاً هَوَاكَ فَصَارَ إِذْ حُزَّتْهُ مَكَانِي
لَا غَرْوُ إِذْ كَانَ لِي مَـضَافاً أَنَا عَلَى الْكَسْرِ فِيهِ جَانِي

(☆☆) البيتان للشَّابِّ الطَّريف في ديوانه : ٢٢٩ ، بتحقيق : شاعر هادي شكر .

والجواب عنها :

- ١ يا مَنْ عَرَا قَلْبَهُ انكِسَارٌ وما سِوَاهُ عَلَيْهِ جَانِ
- ٢ لَا تُتَكِرُنْ كَثْرَةً فَفِيهِ حُبِّي وشَوْقِي سَاكِنانِ !

[١٢٥]

غيره ؛ أيضاً له : [من مَخْلَع البسيط]

- ١ أَمَا تَرَى الصُّدْعَ خَطًّا وَاوًّا في صَفْحِ خَدِّي لِلْعِيَانِ
- ٢ فَإِنْ يَنْلُقْ قَلْبَكَ انكِسَارٌ فَالْوَاوُ مِنْ أَحْرَفِ الْمَعَانِي !

[١٢٦]

وقال ، وقد أهداه أحدَ الإخوان طُروساً على ألوان : [من البسيط]

- ١ يا جَارِيًّا مِنْ سَبِيلِ الْمَجْدِ في طَلْقٍ مَقْيِّدًا مِنْ عُلَاهُ كُلِّ إِطْلَاقٍ
- ٢ أَتَتْ هَدَايَاكَ فِي أَلْوَانِهَا طَرْفًا كالرُّوضِ فِي ثَوْبِ أَزْهَارٍ وَأُورَاقٍ
- ٣ هَذِي طُروسٌ أُمُّ الطَّاووسِ أُمُّ قُرَحٍ أَمْ الحَدَائِقُ تُجَلِّي نَضْبَ أَحْدَاقٍ
- ٤ كَأَنَّ مَا احْمَرَّ مِنْهَا بَيْنَ أَخْضَرِهِ خِلَالِ أَصْفَرِهِ طَاقًا عَلَى طَاقٍ
- ٥ مَعْدَرَاتُ خُدُودٍ أُشْرِبَتْ خَجَلًا لَمَّا أُضِيفَتْ إِلَى وَجَنَاتِ عَشَّاقٍ

[١٢٧]

وقال مَهْنَأً ببناء مَنَزَل : [من الخفيف]

- ١ كُنْ لِدارِ شَيْدَتِهَا خَيْرَ نَازِلٍ في هَناءٍ وَسَامِيَّاتِ مَنَازِلِ
- ٢ أَنْتَ بَدْرٌ بَيْنَ الْأَنْصَامِ مُنِيرٌ وَهِيَ سَعْدُ السُّعُودِ بَيْنَ الْمَنَازِلِ

[١٢٧]

شرح :

(٢) في الثالث من كانون الثاني تحلّ الشمس بسعد السّعود ؛ والشّاعر يستفيد معنى (السّعادة ، والسعد) من مناسبة العبارة .

[١٢٨]

وقال في ثقیل : [من السّريع]

١ لا عِيشَ لِلنَّفْسِ بِمُسْتَقَّةٍ لَمْ
مَهَا بَدَا كَدَّرَ أَفْرَاحَهَا
٢ كَانُوا أَنْشَأَهُ اللَّهُ أَنْ
يَسْجُنَ فِي الْأَجْسَادِ أَرْوَاحَهَا

[١٢٨]

شرح :

(٢) في القاموس : « أنشأ يحكي : جعل ، وأنشأ داراً : بدأ بناءها ، وأنشأ الله تعالى السّحاب : رفعه ، وأنشأ الحديث : وضعه » . واستعملها الشاعر بمعنى (وهبه) أو (قدّر له) أو ما يماثل ذلك ، ممّا لم أقف عليه في المعاجم . ويصحّ التقدير أن يكون : « أنشأه الله لأنّ .. » .

[١٢٩]

وقال في حَمَام : [من الكامل]

١ لِلَّهِ حَمَامٌ حَكْتَنِي حَالَهُ
مَاءٌ يَصُوبُ وَحَرٌّ نَارٍ تُضَرِّمُ
٢ فَكَأَنَّا نِيرَانُهُ وَمِيَاهُهُ
وَالْجِئْمُ بَيْنَهُمَا يَلْدُ وَيَنْعَمُ
٣ قَلْبٌ تَقَلَّبَ بَيْنَ لَذَاتِ الْهَوَى
وَحِشَاءُ يَصُلِّي وَالْمَدَامِغُ تَسْجُمُ

[١٣٠]

وقال ملغزاً :

[من البسيط]

- | | | |
|---|--------------------------------------|---|
| ١ | يا فائقاً في علوم الكَمِّ أجمِعها | من مُوسقى وارثا طيقي وأشكال |
| ٢ | قلْ أيُّ شيءٍ يُساوي النصفَ منه | لثُلثِ العُشرِ منْ ثُمْنِه منْ غيرِ إشكال |
| ٣ | وهو إذا زِيدَ ثانيه وخامِسه | لِعَدِّ أوَّلِ شَطْرَيْهِ بِإِجمال |
| ٤ | أضحى دليلاً على شكلِ مقاطِعه | ضُربَ من المَوسقى مُستَظرفِ الحال |
| ٥ | خَدَاهُ منْ جَهَّتَيْهِ نِصفُ دائِرة | وخطُّ اِكتَنَفَاهُ دُونَ إهمال ؟ |

[١٣١]

وقال أيضاً :

[من المتقارب]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | وَمُسْتَوْجِبِ الرَّغْبِ عِنْدَ الْكِرَامِ | فَمَنْ غَضَّ مِنْهُ بِعِلْيَاهُ غَضَّ |
| ٢ | يَكُونُ عَنِ الْمَاءِ وَالتُّرْبِ أَيْضاً | وَلَيْسَ بِجِسْمٍ فَيَحُـوِي عَرْضُ |
| ٣ | وَمَا إِنْ يُحْيِكَ بِهِ صَارِمٌ | وَإِنْ هَبَّ رِيحٌ عَلَيْهِ انْتَفَضُ |
| ٤ | وَكَيْفَ قَرَأْتَ حُرُوفَ اسْمِهِ | مِنَ الْجَهَّتَيْنِ هَدَتْكَ الْغَرَضُ |

[١٣١]

شرح :

(٢) يُقال : ضَرَبْتَهُ بِالسِّيفِ فَمَا أَحَاكَ ؛ أَي : فَمَا أَثَّرَ بِهِ .

[١٣٢]

وقال أيضاً ، وتُنشدُ أيضاً بقافيتين :

[من المتقارب]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | وقائِمةً في صُفوفِ الرِّجالِ | تُديرُ الكُؤُوسَ ولا تَشربُ تَسْكُرُ |
| ٢ | لَهَا أَرْجُلٌ قَدْ رَسَتْ فِي الثَّرَى | وَفَوْقَ الثَّرِيَّا لَهَا مَرْقَبٌ مَظْهَرُ |
| ٣ | وتُغشى عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ طُرّاً | وَتَحْمِلُ كَرْهاً ولا مَعْتَبَ ! مُنْكَرُ |

القسم الرابع

في الوصايا والحكم

[١٣٣]

قال في الحَضُّ على التَّقْوَى والطَّاعَةِ (٥) :

- ١ مِلَاكُ الْأَمْرِ تَقْوَى اللَّهِ فَجَعَلَ تَقَاهُ عُدَّةً لِصَلَاحِ أَمْرِكَ
٢ وَبَادِرُ نَحْوِ طَاعَتِهِ بَعْزُ مَا تَدْرِي مَتَى يُمْضَى بِعَمْرِكَ

الشروح :

- (٥) في هامش الأصل : « بلغت القراءة والسماع » .
(٢) البيتان في نفح الطيب : ٣٤٧/٤ و ٣٧/٦ ، ونيل الابتهاج بتطريز الديباج ، لأحمد بابا التنبكتي : ٧٢ ، وفي الإحاطة : ١٢٣/١

[١٣٤]

وقال في الزُّهْد :

- ١ أَعْرِضْ عَنِ الْعَالَمِ مُسْتَرْضِيًّا مَنْ لَيْسَ تَخْفَى عَنْهُ مِنْ خَافِيَةٍ
٢ مَنْ لَمْ يَكُنْ رِضَى الْوَرَى قَصْدَهُ خِيَمَ فِي بُحْبُوحَةِ الْعَافِيَةِ

[١٣٥]

وقال في التسليم والرضى :

- ١ إِذَا كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْأُمُورَ بِحُكْمِ الْإِلَهِ كَمَا قَدْ قَضَى
٢ فَفِيمَ التَّفَكُّرِ وَالْحُكْمِ مُبَاضٍ وَلَا رَدَّ لِلْحُكْمِ مَهْمَا مَضَى
٣ فَخَلَّ الْوُجُودَ كَمَا شَاءَهُ مُدَبَّرَةً وَابْغِ مِنْهُ الرِّضَى

[١٣٦]

وقال في التفويض عند النوائب (٥) :

- ١ إِذَا مَا الدَّهْرُ نَابَكَ مِنْهُ خَطْبٌ وَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ حَنْقِ عِقَالِهِ
٢ فَكَيْلُ اللَّهِ أَمْرَكَ لَا تَفَكَّرْ فَيَفَكَّرَكَ فِيهِ خَبْطٌ فِي حِبَالِهِ

الشروح :

(٥٦) البيتان في نفع الطيب : ٢٤٦/٤

(٢) الحِبَالَة : الَّتِي يُصَادُ بِهَا ؛ تقول : نَصَبَ حِبَالَتَهُ وَحَبَائِلَهُ .

[١٣٧]

وقال في ذم الحرص والحرص على التفويض : [من السريع]

- | | | |
|---|--------------------------|--|
| ١ | يا غادياً في حرصه رائحاً | لِرَفْضِكَ الْحِرْصَ هُوَ الْخَيْرُ لَكَ |
| ٢ | لم تدّر أنّ الله سبحانه | هو الَّذِي بِفَضْلِهِ اسْتَقْبَلَكَ |
| ٣ | يراك مضطراً بلا قوّة | فمنّ بالقوّة واختار لك |
| ٤ | ففوّض الأمر لتدبيره | مرتضياً منه بما حق لك |
| ٥ | وكن كما كنت لــــه أولاً | يكن لك الآن كما كان لك |

[١٣٨]

وقال في التواضع : [من البسيط]

- | | | |
|---|--------------------------------|------------------------------|
| ١ | دين بالتواضع والإخبات محتسباً | تفق علاء على أهل السّادات |
| ٢ | فالتربّ لمّا عدا للرجل متطّئاً | تمسّح النّاس منه في العبادات |

الشروح :

(١) أَخْبَتَ : خَشَعَ وتواضع .

(٢) يُشِيرُ إِلَى التَّيَمُّمِ .

[١٣٩]

وقال في المداراة (٥٦) : [من الوافر]

- | | | |
|---|---------------------------|---------------------------|
| ١ | عدوك داره ما اسطعت حتّى | يعود لديك كالخلّ الشّفيق |
| ٢ | فما في الأرض أردى من عدوّ | ولا في الأرض أجدى من صديق |

الشروح :

(☆) البيتان في نفح الطيب : ٣٤٧/٤

[١٤٠]

وقال في التحذير من عاقبة الهوى : [من الطويل]

- ١ إذا ما دَعْتُكَ النَّفْسُ يَوْمًا لِرِيْبَةٍ فحاذِرْ عِقَابَ اللَّهِ فَهُوَ شَدِيدُهُ
- ٢ فَصَبْرُ الْفَتَى عَمَّا يُرِيدُ أَخَفُّ مِنْ تَصَبُّرِهِ كَرِهًا لَهَا لَا يُرِيدُهُ

[١٤١]

وقال في المعنى : [من المتقارب]

- ١ إذا ما دَعْتُكَ دَوَاعِي الْهَوَى لَهَا عَنْهُ سُبْحَانَهُ قَدْ نَهَى
- ٢ فَأَيُّقِنُ بَأَنَّ الرَّدَى فَاجِيٌّ (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى)

الشروح :

- (٢) في البيت اقتباس من الآية الكريمة ﴿ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾ الآية (٤٢) من سورة النجم (٥٣) .

[١٤٢]

وقال في الكشف عن أمر الهوى : [من مجزوء الكامل]

- ١ إِنَّهُ يَشْتَبِيهِ رَأْيَانٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ عَلَيْكَ
- ٢ وَضَلَلْتَ عَنْ أَوْلَاهَا فَاتْرُكْ أَحَبَّهَا إِلَيْكَ !

[١٤٣]

قال في القناعة بالعقل عن الجدة (*) :

- ١ إذا حظيت بعقلٍ فاقْنَعَنَّ بِهِ فَذَاكَ فَضْلٌ لَعَمْرِي غَيْرُ مَقْدُورٍ
- ٢ شَيْئَانِ قَدْ شَدَّ فِي الدُّنْيَا اجْتِنَاعُهُمَا كَالْعُقْلِ وَرِزْقٍ غَيْرُ مَقْدُورٍ

الشروح :

(٥٢) وَجَدَ الْمَطْلُوبَ وَجْداً وَجِدةً : أدركه ، وَوَجَدَ الْمَالَ : استغنى .

(٢) قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ : ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِيهِ .

[١٤٤]

وقال في ذمّ الحرص :

[من البسيط]

- ١ يَأْمَنُ غدا يُنْفَقُ الْعُمْرُ الثَّمِينُ بِلا جَدْوَى سِوَى جَمْعِ مَالٍ خِيفَةَ الْعَدَمِ
- ٢ إِرْجِعْ لِنَفْسِكَ وَاَنْظُرْ فِي تَخْلَصِهَا فَقَدْ قَذَفَتْ بِهَا فِي لُجَّةِ الْعَدَمِ

الشروح :

(١) الْعَدَمُ (بسكون الدال وضمتها) : الفقدان والفقر ، ومثلها الْعَدَمُ .

(٢) هَذَانِ الْبَيْتَانِ يَنْظُرَانِ إِلَى مَعْنَى بَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ (ديوانه بشرح العكبري : ١٥/٢) :

وَمَنْ يُنْفَقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

[١٤٥]

وقال في عدم جدواه :

[من البسيط]

- ١ عَامِلُ زَمَانِكَ إِنَّ النِّقْصَ شَيْتُهُ بِضَدٍّ مَا تَبْتَغِيهِ مِنْهُ وَاقْتَنِعْ
- ٢ أَعْرِضْ عَنِ الشَّيْءِ إِنَّ تَهَوَّاهُ تَحْظَ بِهِ وَاحْرِصْ عَلَيْهِ إِذَا تَأَبَّاهُ يَمْتَنِعْ
- ٣ قَدْ أَقْسَمَ الدَّهْرُ أَيَّاناً مُغْلَظَةً أَنْ لَيْسَ يَنْجِحَ حِرْصاً فَاسْعَ أَوْ قَدَعَ !

الشروح :

(٢) مَعْنَى مَقَالَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ : « احْرِصْ عَلَى الْمَوْتِ تُوهَبْ لَكَ الْحَيَاةُ » ، وَرَاجِعَ مَجْمَعَ الْأَمْثَالِ

لِللَّيْدَانِيِّ : ٤٥٠/٢ ، وَعَيُونُ الْأَخْبَارِ : ١٢٥/١ ، وَإِحْكَامُ صِنْعَةِ الْكَلَامِ : ٧٦

[١٤٦]

وقال في مدح البذل :

[من البسيط]

- ١ إِذَا وَجَدْتَ فَجَدَ لِلنَّاسِ قَاطِبَةً فَالْحَالُ تَفْنَى وَيَبْقَى الذِّكْرُ أَحْوالاً

٢ لَا سِيَّامًا وَرَسُولُ اللَّهِ ضَامِنُهُ أَنْفِقُوا وَلَا تَخْشَوْا مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا

الشروح :

(٢) احتج الجاحظ في (البخلاء : ١٦٣) بالحديث الشريف : « أَنْفِقْ يَا بَلال وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا » .

[١٤٧]

وقال في المعنى : [من الخفيف]

١ أَبْذَلَ الْمَالَ لَا تُبَالِ بِبَذْلِهِ قَبْلَ تَرَحُّالِهِ وَنَأْيِ مَحَلِّهِ
٢ إِنَّهَا الْمَالُ عِنْدَكَ ابْنُ سَبِيلٍ وَقِرَى ابْنِ السَّبِيلِ تَجْهِيْزُ رَحْلِهِ

[١٤٨]

وقال في الكشف عن حال الدنيا : [من السريع]

١ مَا أَبْقَتِ الدُّنْيَا عَلَى نَاسِكَ كَلًّا وَلَا تَمَّتْ لِمُسْتَهْتِرٍ
٢ سُرُورُهَا يُشْرِفُ عَنْ حُزْنِهَا كَانْهَاضُ ضِحْكَةٍ مُسْتَعْبِرٍ !

الشروح :

(١) المستهتر بالشيء : المولع به لا يبالي بما فعل فيه ، وشم له ؛ والذي كَثُرَتْ أَباطيلُهُ .

(٢) استعبر : جَرَتْ عُبْرَتُهُ ، وَحَزِنَ .

[١٤٩]

وقال في المعنى (*) : [من الطويل]

١ هُوَ الدَّهْرُ لَا يَبْقَى عَلَى لَأْذٍ بِهِ فَمَنْ شَاءَ عَيْشًا يَصْطَبِرْ لِنَوَائِبِهِ
٢ فَمَنْ لَمْ يُصَبِّ فِي نَفْسِهِ فَمُصَابَةِ بِفَوْتِ أَمَانِيهِ وَفَقْدِ حَبَائِبِهِ

[١٤٩]

الشروح :

(☆) البيتان في نفح الطيب : ٢٧/٦ ، والإحاطة : ١٢٣ ، والكتيبة الكامنة : ٢٤٤

[١٥٠]

وقال في التحذير من أبناء الزمان عند اضطرابه (☆) : [من الكامل]

- ١ إِنَّ أَعْرَضْتُ دُنْيَاكَ عَنْكَ بِوَجْهِهَا وَعَدْتُ وَمِنْهَا فِي رِضَاكَ نِزَاعُ
- ٢ فَاحْذَرُ بَيْتَهَا واحْتَرِزْ مِنْ شَرِّهِمْ إِنَّ الْبَيْنَيْنِ لَأُمُّهُمُ أَتْبَعُ

[١٥٠]

الشروح :

(☆) البيتان في نفح الطيب : ٣٤٧/٤

[١٥١]

وقال محذراً من التبذُّل : [من مجزوء الرمل]

- ١ كُنْ كَمِثْلِ الْبَارِ حَالاً فِي انْقِبَاضٍ وَسَلْوَكِ
- ٢ مُسْتَجَنِّاً فِي الْفَلَاةِ أَوْ عَلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ

[١٥١]

الشروح :

(١) البار والباري : ضرب من الصقور .

(٢) استجنّ عنه استجناناً : استتر .

[١٥٢]

وقال محرضاً على خِدْمَةِ السلطان : [من مجزوء الكامل]

- ١ إِنَّ شِئْتَ عِزّاً فَاعْشَ أَبْوَابَ الْمُلُوكِ وَلَا تَبْلُ

٢ فالسذلُّ من قَبِلَ المُلُو كِ أَجَلٌ من عِزِّ الخَوَلُ

[١٥٢]

الشروح :

(٢) الخَوَلُ : مثل الخَدَمِ والحَشَمِ وزناً ومعنى .

[١٥٣]

وقال في التحذير منها حال الاضطراب : [من البسيط]

١ خف السلاطينَ واحذرْ أنْ تُلايِسَهُمَ مادامَ أمرُهُم في المُلْكِ مضطرباً
٢ إنَّ المُلوكَ بحارٌّ في خلائِقِهِمَ وَمَنْ سَمَا البحرَ، في أهوالِهِ، عَطِياً

[١٥٤]

وقال مُعَرِّياً بالصَّمْتِ (٥) : [من السريع]

١ لِسَانُكَ اسْجُنْ وَلْتُطِيلْ حَبْسُهُ إنْ شِئْتَ إِكْرَاماً وَتَصْوَينَا
٢ لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلسَّجَنِ أَهْلاً لَهَا غَدَا بَقْعِرِ الفَمِ مَسْجُونَا

[١٥٤]

الشروح :

(٥) في كتاب أبي عبيد البكريّ (فصل المقال في شرح كتاب الأمثال) : ١٨ : « قال أبو عبيد - القاسم بن سلام - : وَجَدْنَا من الأمثال في حفظ اللسان والحضّ عليه قول عبد الله بن مسعود : وَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ ! مَا عَلَى الْأَرْضِ شَيْءٌ أَحَقُّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ » .

[١٥٥]

وقال في المعنى (٥) : [من المتقارب]

١ لِسَانُكَ كَالسَّيْفِ فِي شَكْلِهِ وَأَعْدَى مِنَ السَّيْفِ فِي سَطْوَتِهِ
٢ فَأَغْمِذْ ظُبَاهُ فَقَدْ يَتَّقَى عَلَى حَامِلِ السَّيْفِ مِنْ شَفَرَتِهِ

الشروح :

(٥٦) في الأمثال العربية : « مَقْتَلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فَكَيْهِ » جمع الأمثال : ٦٥/٢ ، وفصل المقال : ٢٠ .
ومن قول بعض العرب لرجل يعظه : « إِيَّاكَ أَنْ يَضْرِبَ لِسَانُكَ عُنُقَكَ ! » ، وقال ابن
المعتز في معنى المثل :

يَارِبُ السَّنَةِ كَالسَيُوفِ تَقْطَعُ أَعْنَاقَ أَصْحَابِهَا
وَكَمْ دُهَيِّ الْمَرْءِ مِنْ نَفْسِهِ فَلَا تُوَكِّلَنَّ بِأَنْيَابِهَا
وقال الآخر :

جراحات السِّنَانِ لَهَا التَّئَامُ وَلَا يَلْتَأَمُ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ !
(٢) وقوله : فقد يتتى : أي يخشى عليه .

وقال مُحَرِّضاً عَلَى كِتْمَانِ السِّرِّ : [من الوافر]

عَلَيْكَ الْكَتْمُ وَاحْذَرْ قَوْلَ سِرٍّ لِمَنْ قَدْ ظَلَّ سِرٌّ^(٥٦) سِوَاكَ يَخْكِي
فَمَنْ أَهْدَاكَ سِرَّ الْغَيْرِ يَوْمًا أَفَادَ الْغَيْرِ سِرَّكَ دُونَ شَاكَ

وقال فِي تَعَذُّرِ الْأَصْدِقَاءِ : [من البسيط]

إِنْ تَعْتَبَ الْخِلَّ فِي ذَنْبِ جَزَاكَ قَلَى أَوْ تَعْفِهِ يَبْقَ طُولَ الدَّهْرِ يُؤْذِيكَ
فَإِنْ تَطِيقَ تَجْمَعُ الضُّدَّيْنِ فِي نَسَقٍ قَرِيبًا قَدْ تَرَى خِلًا يُوَاتِيكَ

وقال فِي نِكَايَةِ الْحَاسِدِ بِالْحَامِدِ : [من البسيط]

١ قَاتِلُ عِدَاكَ وَضَارِبُهُمْ بِمَكْرَمَةٍ (تَسْمُو) لَهَا لَا يَبْيُضُ الْهِنْدِ وَالْأَسَلِ^(١)
٢ فَلِلْفُضَائِلِ طَعْنٌ فِي صُدُورِهِمْ مِنْ دُونِ مَوْعِيهِ طَعْنُ الْقَنَا الذُّبُلِ^(٢)

الشروح :

- (١) بيض الهند : السيوف المصقولة (نسبة إلى الهند) ؛ والأسلُ : الرماح .
 (٢) القنا الذبل جمع ذابل : مما توصف به ، أي دقيق لاصق الليط (القشر) .

وقال في المعنى :

[من الخفيف]

- ١ إِنْ تَذُمَّ الْحَسَّودَ ذَمَّكَ جَهْرًا أَوْ تَنَلَّ مِنْهُ نَالَ مِنْكَ وَغِيًّا
 ٢ فَإِذَا مَا سَمَوْتَهُ بِكَمَالٍ نِلْتَ مِنْهُ وَلَمْ يَنْلُ مِنْكَ شِيًّا

الشروح :

- (١) كلمة (غيًّا) غير واضحة في الأصلين . ولم تتوجه على نحو فصيح .
 (٢) كذا عدى فعل (سَمَا) بالباء (كأنه ضمن فعل سما معنى : علا) .

وقال في حالات الإنسان مع الإحسان (☆) :

[من المجتث]

- ١ أَنْعِمَ عَلَى مَنْ تَشَاءُ فَأَنْتَ حَتْمًا أَمِيرُهُ
 ٢ وَاحْتَجَّ لِمَنْ شِئْتَ يَوْمًا فَمَا سِوَاكَ أَسِيرُهُ
 ٣ وَاسْتَغْنَى بِاللَّهِ عَمَّنْ تَشَاءُ أَنْتَ نَظِيرُهُ
 ٤ فَالْمَرْءُ عَبْدٌ هَوَاهُ يَضِيرُهُ أَوْ يُجِيرُهُ

الشروح :

- (☆) مقصد القطعة وفحواها من كلمة للإمام علي رضي الله عنه ، وهي :
 « تَفْضُلُ عَلَى مَنْ شِئْتَ فَأَنْتَ أَمِيرُهُ ؛ وَاسْتَغْنَى عَمَّنْ شِئْتَ فَأَنْتَ نَظِيرُهُ ؛ وَاحْتَجَّ إِلَى مَنْ شِئْتَ

فأنت أسيره » ينظر كتاب إحكام صنعة الكلام لمحمد بن عبد الغفور الكلاعي : ١٨٣ ؛ وإحالاته .

[١٦١]

وقال في أسنى أحواله وأذناها : [من الطويل]

- ١ ألا خَيْرُ ما لِلْمَرْءِ عَقْلٌ يَزِيئُهُ فإنْ لم يَكُنْ عَقْلٌ فَجَاهٌ يَنْفِقُهُ
- ٢ وإلاَّ فَالْساوِيَّاتُ مِنْ عَوَارِهِ وما خَيْرٌ سِتْرٍ قَدْ يُخَافُ تَمَزُّقُهُ
- ٣ فإنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذِي الثَّلَاثَةِ وَاحِدٌ فأوْلَى لَهُ نَارٌ مِنَ اللَّهِ تُحْرِقُهُ !!

[١٦٢]

وقال في الإغضاء عن السفهاء : [من الكامل]

- ١ غَمَضُ عَنْ الْعَوْرَاءِ تَأْمَنُ عَارَهَا وَأَجْزِرُ اللَّئِيمِ جَزَاءَ ذِي كَرَمٍ
- ٢ وَاحْذَرِ لِقَاحَ قَبِيحَةٍ بِمِثَالِهَا إِنَّ الْكُلُومَ تَتَأَيَّجُ الْكَلِمَ

[١٦٢]

الشروح :

- (١) العوراء ، الكلمة أو الفعل القبيحة .
- (٢) الكلوم جمع الكلّم : الجرح . وأما الكلّم بكسر اللام فجمع الكلمة .

[١٦٣]

وقال مُحَرِّضاً عَلَى استجادة الملبس : [من الطويل]

- ١ تَحَرَّ مِنْ الْأَثْوَابِ أَرْفَعَهَا تَلُّ أَعَزَّ مَحَلٍّ تَرْتَقِي لِالتَّاسِيهِ
- ٢ وَلَا تَبْغِ فِي أَمْرِ اللَّبَاسِ تَوَاضِعاً فَعُنَّوْا نُبُلَ الْمَرْءِ حُسْنَ لِبَاسِهِ !

[١٦٤]

وقال في ضِدِّ ذلك المعنى :

[من الكامل]

- ١ أَحْرَى ثِيَابِكَ أَنْ تَجْمَلَهُ ثَوْبُ التَّقَى فَلَبَّاسُهُ شَرَفُ
- ٢ ثُمَّ اكْسُ جِسْمَكَ ثَوْبَ مُقْتَصِدٍ فَالِدُرُّ لَيْسَ يُشِينُهُ الصَّدَفُ

[١٦٥]

وقال أيضاً :

[من البسيط]

- ١ دَعِ التَّائِقَ فِي لُبْسِ الثِّيَابِ وَكُنْ لِلَّهِ لِابْسِ ثَوْبِ الْخَوْفِ وَالنَّدَمِ
- ٢ لَوْ كَانَ لِلْمَرءِ فِي أَثَوَابِهِ شَرَفٌ مَا كَانَ يَخْلَعُ أَشَاهَنَ فِي الْحَرَمِ

[١٦٦]

وقال يُغْرِي بالسفر :

[من السريع]

- ١ جُلْ فِي بِلَادِ اللَّهِ تَحْوِ الْعُلَا وَلْتَجْتَنِبْ أَهْلًا وَأَوْطَانَا
- ٢ فَبَيْدَقِ الشَّطْرُنَجِ مِنْ فَوْرِهِ يَعُودُ بِالتَّجْوَالِ فِرْزَانَا

[١٦٦]

الشروح :

- (٢) الْفِرْزَانِ فِي لَعِبَةِ الشَّطْرُنَجِ : الْمَلِكُ ؛ وَالْبَيْدَقُ : الرَّجَالَةُ فِي الْحَرْبِ (الْمَشَاةُ) ، وَمِنْهُ : يَبْدَقُ الشَّطْرُنَجُ . وَتَفَرَّزَنَ الْبَيْدَقُ صَارَ فِرْزَانًا .

[١٦٧]

وقال في المعنى :

[من المنسرح]

- ١ سَافِرٌ تَنَلُ بِالْأَسْفَارِ كُلَّ عُلَا وَتَشْتَفِ النَّفْسُ مِنْ مَآرِبِهَا
- ٢ لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي الْأَسْفَارِ فَائِدَةً إِلَّا امْتِثَالَ « امْشُوا فِي مَنَاكِهَا »

[١٦٧]

الشروح :

- (٢) اقتبس من الآية الكريمة ﴿ فامشُوا فِي مَنَاكِهَا ﴾ المُلْك : ١٥/٦٧ .
يقول : لو لم يكن في الأسفار فائدة إلا امتثال الآية الكريمة لكان ذلك كافياً للدلالة على
فائدة السفر . (حذف جواب لو لأنه مفهوم من السياق) .

[١٦٨]

وقال في ضد ذلك المعنى :

[من الكامل]

- ١ إِلْزَمَ مَكَانَكَ فَالتَّغَرَّبُ ذِلَّةٌ لَوْ لَمْ تَنْلُ غَيْرَ الْقَرَارِ نَجَاحًا
٢ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ مَهْلِكَ نَمْلَةً هَيَّا لَهَا كَيْمَا تَطِيرَ جَنَاحًا !

[١٦٨]

الشروح :

- (٢) هَيَّا مَسْهَلَةً مِنْ هَيَّأَ .

[١٦٩]

وقال أيضاً :

[من البسيط]

- ١ مَثْوَاكَ عِزُّكَ فَاحْذَرِ أَنْ تُفَارِقَهُ فَعِزَّةٌ وَاعْتِرَابٌ قَلْبًا اتَّفَقَا
٢ أَمَا تَرَى الشَّعْرَ فَوْقَ الرَّأْسِ مُحْتَرِماً فَإِنْ يَزُلْ عَنْهُ أَضْحَى فِي التُّرَابِ لَقَى

[١٦٩]

الشروح :

- (٢) اللقى الشيء المُلْقَى لهوانه . والجمع ألقاء .

[١٧٠]

وقال في ذمّ العشق : [من المجتث]

- ١ العِشْقُ هَمٌّ هَمَّ نَفْسِي عَنْ الرَّشَادِ خَلِيَّةُ
- ٢ يُعْمِي الْبَصِيرَ وَيُذْنِي مِنَ الْأُمُورِ السَّيِّئَةِ
- ٣ لَمْ تَشْتَغِلْ بِالتَّصَابِي إِلَّا النَّفْسُ الشَّقِيَّةُ !

[١٧١]

وقال في نحو ذلك المعنى : [من الطويل]

- ١ وَعَاذِلِي فِي تَرْكِ الْعِشْقِ وَالصَّبَا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْوَفَاءَ قَلِيلُ
- ٢ إِلَيْكَ فَمَا فِي حُبِّهِمْ مِنْ حُشَاشَتِي إِذَا مَا تَقَاضَاهَا الْغَرَامُ بَدِيلُ
- ٣ لَقَدْ أَنْفَتُ نَفْسِي لِحُبِّي غَرَّةً وَغَدْرًا وَقَلْبِي فِي يَدَيْهِ دَلِيلُ

[١٧٢]

وقال مَعْرِيًّا بِالْيَاسِ عِنْدَ تَعَذُّرِ الْإِلْتِمَاسِ : [من الطويل]

- ١ إِذَا مَا أَجَلَّتَ الْفِكْرُ فِي مَطْلَبٍ فَلَمْ تَجِدْ حِيلَةً فِيهِ فَذَرَهُ بِحَالِهِ
 - ٢ فَلِلْيَاسِ عَنْ إِدْرَاكِ مَا عَزَّ نَيْلُهُ عَلَى الْقَلْبِ بَرْدٌ مِثْلُ بَرْدِ مَنْالِهِ !
- الشروح :

البيتان من معنى قول العرب : اليأس إحدى راحتين .

[١٧٣]

وقال واعظاً نفسه : [من البسيط]

- ١ يَا غَائِبًا عَنْ حُضَارِ الْقُدْسِ ^(١) قَدْ حُجِبَتْ مِنْهُ عَنِ الْحَقِّ أَبْصَارٌ وَأَذَانُ
- ٢ وَعَابِدًا مِنْ هَوَاهُ دَهْرُهُ وَتَنَاءً إِرْجِعْ لِنَفْسِكَ فَالْأَهْوَاءُ أَوْثَانُ
- ٣ إِيَّايَ أَغْنِي فَيَا وَيْحِي وَيَا أَسْفِي إِنَّ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ لِي عَفْوٌ وَغُفْرَانُ

[١٧٣]

الشروح :

- (١) القدس : الطهر ، وتقول : حضر حضوراً أو حضارة (ضد غاب) ولم أر (حضار) بهذا المعنى ؛ وقد ضبطها المؤلف الشاعر بكسر الحاء .

[١٧٤]

وقال ضارِعاً(☆) :

[من الخفيف]

- | | | |
|---|--|--------------------------------------|
| ١ | يَا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّ عِنْدَ الدُّعَاءِ | مِنْكَ دَائِي فِي يَدَيْكَ دَوَائِي |
| ٢ | جَذَبْتَنِي الدُّنْيَا إِلَيْهَا بِضَبْعِي | وَدَعَّتَنِي لِمِحْنَتِي وَشَقَّائِي |
| ٣ | يَا إِلَهِي وَأَنْتَ تَعْلَمُ حَالِي | لَا تَذَرْنِي شِمَاتَةَ الْأَعْدَاءِ |

[١٧٤]

الشروح :

- (☆) القطعة في نفح الطيب : ٣٤٨/٤
- (٢) في القاموس : الضبع العضد كلها ، وأوسطها بلحمها ، أو الإبط ، أو ما بين الإبط إلى نصف العضد من أعلاه . وفي الأساس : أخذت بضبعيه إذا نعشته ونوّهت باسمه .

القسم الخامس

نبذة من التوشيح

وهي خاتمة الأقسام

	قَدْ أَخْجَلَ الْإِصْبَاحُ	يَا مِصْبَاحُ
لِذِي وَدَّ؟	يَا بَذْرُ أَوْ تَرْتَاحُ	هَلْ تَلْتَاخُ
	الْبَذْرُ بِالسَّعْدِ	مَرَّاكَا
	الْخَمْرُ بِالشَّهْدِ	لَاكَا
	الْقَطْرُ بِالنَّدِّ	رِيَّاكَا
	كَرِيْقِكَ النَّفَّاحُ	لَا تُفَّاحُ
مِنْ الْوَجْدِ	يُرَوِّحُ الْأَرْوَاحُ	الْفَرْوَاحُ
	يَا صَاحِ لَا تَعُدْ	بِالْعَدْلِ
	يُنْهِنُهُ الْوَجْدُ	هَلْ مِثْلِي
	غَيِّي هُوَ الرُّشْدُ	دَعْ عَذْلِي
	فِي قَمَرٍ قَدْ لَاحَ	مَا لِي لَاحَ
بِذَا الرُّشْدِ	مَا أَعْجَمَ الْإِفْصَاحُ	يَا نَصَّاحُ
	فَتَشْنِي بِسَائِمِ	كَمْ أَبْكِي
	رَوْضَ الْحَيَا السَّاجِمِ ^(١)	فَتَحْكِي
	شَكْوَايَ يَا ظَالِمٌ؟	هَلْ تُشْكِي
	هَلْ مِنْكَ لِي إِلَاحُ	يَا صَاحُ
بِأُتْبِدِي	وَالرَّوْحَ لِي وَالرَّاحُ	فَالْأَفْرَاحُ
	قَدْ ذَلَّ جَانِبُهَا	يَا جَنَّةُ
	قَدْ ضَلَّ رَائِبُهَا	وَفِتْنَةُ
	قَدْ جَلَّ بَارِبُهَا	بِوَجْنَةِ
	يَحْوِكُهَا الْمَدَاحُ	كَمْ أَمْدَاحُ ^(٢)
وَلَا تُجْدِي	جِبَالِكَ الْوَضَّاحُ	فِي إِضْضَاحُ

قَدْ نِلْتُ سُوْلِي وَمَا أَحْلَاهُ
 قَبْلْتُ فِي ثَغْرِ مَنْ أَهْوَاهُ
 فَقُلْتُ إِذْ فَاحَ لِي رِيَّاهُ :
 ذَالِي فَاحُ^(٣) رَاخُ هُوْتُ أَوْ تَقَّاحُ^(٤)
 جِي اَعْمَلْ آخُ وَمَا أَطْيَبَكَ يَا آخُ عَلَى كُبْدِي !

[١]

الشروح :

الموشح تام ، ذو رأس . يبتدئ بالمطلع ، وفيه ستة أقفال وخمسة أغصان ، وهو موشح غير شعري ، والخرجة عامية .

(١) سجم الدمع سجوماً وسجماً ، وسجمت السحابة الماء سجماً وسجماً : قطر دمعها وسال قليلاً أو كثيراً .

(٢) بمعنى مدائح ، وهي مما يستعمله الأندلسيون .

(٣) ذالي : هذا الذي .

(٤) هوت : هو ، هي .

[٢]

وقال أيضاً :

مَا أَحْلَاكَ يَا قَمَرَ الْأَحْلَاكَ
 كَمْ أَهْوَاكَ وَفِي الْحَشَا مَثْوَاكَ
 الْحُسْنُ يَحَارُ فِي خَدِّكَ
 وَالْغُصْنُ يَغَارُ مِنْ قَدِّكَ
 وَالذَّهْنُ وَقَفَ عَلَى وَدِّكَ
 مَنْ حَلَاكَ بِالْحُسْنِ مَا أَحْلَاكَ
 لَا أَنْسَاكَ يَا فِتْنَةَ النَّسَاكَ إِلَى الْحَشْرِ

هَلْ سُلُوَانُ	لِعَاشِقِ هَيَّانُ	
عَنْ عُدُوَانُ	ذَا الْفَاتِرِ الْأَجْفَانُ	
يَا فِتْنَانُ	أَسْرَفْتَ فِي الْهَجْرَانُ	
قَدْ جَرَّأَكَ	ظُلْمًا عَلَى مُغْرَاكَ	
مَنْ أَفْتَاكَ	بِالْصَّدِّ يَا فِتْنَاكَ	وَبِالْهَجْرِ
لَا صَارِمُ	كَلْحُظِّكَ النَّائِمُ	
يَا ظَالِمُ	أَمَا تُرَى رَاحِمُ	
لِهَائِمُ	أَنْتَ بِهِ عَالِمُ؟	
مَا أَصْبَاكَ	لِلْعَقْلِ مَا أَصْبَاكَ	
هَاعَيْنَاكَ	قَدْ أَسْكَرَتْ مُضْنَاكَ	بِلا خَمْرِ
مَا عُدْرُ	مَنْ ضَلَّ عَنْ وَدَّهِ؟	
وَالْبَدْرُ	بَادٍ عَلَى خَدِّهِ	
وَالضُّرُّ	وَالنَّفْعُ مِنْ جُنْدِهِ	
إِنْ رَدَّاكَ	ثُوبَ الْبَلَى أُرْدَاكَ	
أَوْ وَلَاكَ	طَيْبَ الرِّضَى أَوْلَاكَ	جَنَى الْبَشْرِ
رُحْمَاكَ	يَا فِتْنَةَ الْخَلْقِ	
لَوْلَاكَ	مَا صِرْتُ فِي رِقِّ	
بَلْوَاكَ	عَمَّتْ وَلَمْ تُبْقِ	
قَلَّ مَنْ رَاكَ	وَلَيْسَ مِنْ أَسْرَاكَ	
مُرُّ ^(١) أَيَّاكَ	يَا نَاطِرَ أَيَّاكَ	أَنْ أَشْ نَدْرِي؟

[٢]

الشروح

الموشح تام ، غير شعري ، ويتألف من ستة أقفال تنحصر بينها خمسة أغصان . والخرجة عامية .

(١) مُر : بمعنى « اذهب » ، كما تقول في العامية [روح] في غير استياء أو استنكار .

[٣]

وقال أيضاً :

سَلْ بِذِي الضَّالِّ وَالسَّمْرِ ^(١)	ظَبْيَةَ الْبَانِ
هَلْ رَأَتْ مِثْلَ ذِي الْمَقْلِ	لِرِشَا ثَانِ
مَنْ لِظَبْيٍ بِبِأَعَيْنِ	كُحِّلَتْ سِحْرَا
لَوْ حَوَاهَا لَمْ يَنْثَنِ	يَأْلَفُ الْقَفْرَا
بَلْ غَدَا فِي تَوْطُنِ	قَلْبِي الْمُعْرَى
قَدْ أَبَى الْغُنْجُ وَالْحَوْرُ	غَيْرَ أَشْجَانِي
فَاصْرِفَا عَنِّي الْعَذْلُ	لَا تَلُومَانِي
مَنْ عَذِيرِي إِذَا رَنَا	مِنْ هَوَى خِشْفِ ^(٢)
أُشْرَعَ اللَّحْظُ كَالْقَنَّا ^(٣)	قَاصِدًا حَتْفِي
وَدَعَا الْقَلْبَ مُؤَذِّنَا	مِنْهُ بِالزَّحْفِ
أَيْنَ لَا أَيْنَ لَا وَزَرَ	لِشَجِّ عَانِ
أَغْزَلَ عَنْ ظُبَا أَسْلُ	غُنْجِ أَجْفَانِ
هَلْ إِلَى الْوَصْلِ مَسْلُكُ	أَوْ إِلَى الصَّبْرِ
طَالَ هَذَا التَّهْتُّكُ	وَفَشَا سِرِّي
سَهْمَ عَيْنِيكَ أَفْتُكُ	مِنْ شَبَا السَّمْرِ
مَمَّا عَلَى مُهْجَتِي أَضُرُ	يَوْمَ عُدْوَانِ
مِنْ غُيُونٍ بِهَا كَحَلُ	حِينَ تَلْقَانِي
مَّا لِإِلَاحٍ مُعْنَفٍ	فِي الْهَوَى يَسْطُو
بِشَجَا الْقَلْبِ مُدْنَفٍ	دَمْعُهُ سَبْطُ ^(٤)

هَلْ رَأَى مِثْلَ أَهْيَفِي شَادِنًا قَطُّ
رَاعَهُ اللَّهُ وَالْقَدَرُ كَيْفَ يُلْحَانِي
مَا أَرَى طَبْعَهُ عَدِلُ طَبَعَ إِنْسَانِ
وَعَزَالَ مَا أَجْمَلَهُ فِي تَحْلِيهِ
أَخَذَ الطَّرْسَ فَصَلَّهُ وَوَشَى فِيهِ
بِمِدَادٍ، فَقُلْتُ لَهُ: قَصْدَ تَبْيُهِ!
ثَوْبُكَ أَحْرَزُ مِنَ الْحَبْرِ^(٥) فَقَدْ أُمْلَانِي
قَالَ: خَلِّينِي نَفْتَصِلُ فِي بَلَدُ رَانِي

[٣]

الشروح :

الموشح تام ، غير شعري ، يتألف من ستة أفعال ، وخمسة أغصان ، والخرجة عامية .

(١) الضالُّ والسمر : نوعان من الشجر .

(٢) الحِشَف : وَلَدَ الظُّبِّيَّ أَوَّلَ مَا يُولَدُ ، أَوَّلَ مَشِيهِ .

(٣) أشرعت الرمح قبله : سدده .

(٤) دمع سبط : غزير .

(٥) أورد ابن سعيد في المغرب ١/٤٢٤ - ٤٢٥ موشحة لأبي الحسين بن مسلمة مطلعها :

بِـ_____وَادِي رِيٍّ هـ اخْلَعْ عِندَارَ التَّصَابِي
وقال في آخرها :

فَمَا لِي نِيَّ هـ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَسَابِ
إِلَّا إِذَا كَانَ شَادِنُ
يَسْبِيكَ مِنْهُ مَحَاسِنُ
حُلُوُّ الْهَوَى مُتَاجِنُ

يُنَادِي سِيَّ هـ : يَا عَمَّ احْرَزُ ثِيَابِي !

وعلق ابن سعيد بعد الموشحة على العبارة الأخيرة (في الخرجة) بقوله : « وهذا من اصطلاح

الصبيان الذين يسبحون هنالك » .
والحَبَر : هو الحَبْر الذي يكتب به .

[٤]

وقال أيضاً :

هَلْ فِي ارْتِيَا حِي إِلَى الْمِلَاحِ أَوْ إِلَى الشَّمُولِ بَأْسٌ يَا عَذُولُ
فَعِشْقُ خَوْدٍ^(١) وَشَرْبُ رَاحٍ إِنَّا يُـلَـلَامُ غَيْرِي فِي الْمُدَامِ
وَفِي الْخُرْدِ^(٢) الْعَيْنِ

هَذِي عَرَّوسُ الرِّيَاضِ تُجَلَّى مِنْ رَائِقِ الزَّهْرِ فِي حُلِّ
وَالْجَوِّ بِالْغَيْمِ قَدْ تَحَلَّى وَلا حَتِ الشَّمْسُ مِنْ خَلِّ
وَحَبَّ فَضْلُ الرِّيعِ طِفْلاً يَسْقِيهِ ثَدْيُ الْحَيَا غَلِّ
فَسَقَّنِي بِالْكَبِيرِ وَأَمَلاً إِنِّي كَبِيرٌ وَلا تَبْـلُـلُ
فِي وَدٍّ خُمُصَانَةٍ رَدَاحٍ^(٣) قَدْ هَا النَّبِيلُ بِالنُّهَى يَمِيلُ

يُنَاجِيكَ مِنْ لَيْنٍ
أَعِيذُ يَا رَبَّةَ الْوِشَاحِ ذَلِكَ الْقَوَامُ مِنْ لِحَاقٍ ذَامٍ^(٤)

بِسُورَةِ يَاسِينَ

هَيْفَاءُ تَهْتَزُّ عَنْ قَضِيبٍ وَتَنْجَلِي عَنْ سَنَّا قمر
شَدَّتْ إِزَاراً عَلَى كَثِيبٍ لَوْ خَانَهُ الْعِقْدُ لَا نَقْطُرُ
أَيُّ بَنَانٍ لَهَا خَضِيبٍ دِمَاءُ قَلْبِي لَهَا هَدَرُ
لَوْلا اتَّقَائِي مِنَ الرَّقِيبِ قَضَيْتُ مِنْ لَثْمِهِ وَطَرُ
شَوْقاً إِلَى رَيْقِهَا الْقَرَّاحِ فَهُوَ سَلْسَبِيلُ مَالَهُ سَبِيلُ

لِحِرَّانٍ مَحْزُونِ

مَنَاهُ لَوْ عَلَّ مِنْ أَقَاحٍ رَاقَ ذَا ابْتِسَامٍ يُزِرِّي فِي اقْتِسَامٍ
بَرِيًّا الرِّيحَاحِينَ

يَا ظَبْيَةَ الْخِذْرِ فِي لَهَاكِ^(٥) شِفَاءً مَالِي مِنْ الْأَلَمِ
تَيْهِي عَلَى الْبَذْرِ فِي سَنَاكَ وَزَاجِمِي الشَّمْسَ مِنْ أُمِّ
فَلَوْ بَدَا النَّجْمُ فِي حُلَاكِ^(٦) مَا غَشِيَتْ أَفْقَهُ الظُّلُمُ
مَنْ كَانَ يُلْحَى^(٧) عَلَى هَوَاكِ قَسَمِي عَنُودَهُ ذَوْ صَمَمِ
زَيَّفْتُ^(٨) مَا صَاغَهُ اللَّوَاخِي مِنْ قَالَ وَقِيلُ فِي الْوَجْهِ الْجَمِيلِ

فَلَا لَوْ تَشِينِي

عَنْ رَوْنَقِ الْأَوْجِهِ الصَّبَاحِ قَدَعُ عَنْ مَلَامِ صَبَّ مُسْتَهَامِ
فَلَوْ مُكَّ يُغْرِينِي

أَمَّا فُؤَادِي الشَّجِي فَمَا لِي حُكْمُ اخْتِيَارٍ وَلَا لِي^(٩)
فَوَضْتُ أَمْرِي إِلَى الْجَبَالِ يَفْعَلُ بِي مَا بَدَا لِي
مَلَكْتُهُ الْقَلْبَ مَا أَبَالِي أَنْ أَلَهُ أَمْ أَنْ أَلَهُ^(١٠)
مَنْ كَانَ يَشْكُو بِسُوءِ حَالِ قَدْ رَضِيَ الصَّبَّ حَالَهُ
قَيِّدْتُ فِي الْحُبِّ عَنْ سَرَاخِ بَرْدُفٍ ثَقِيلٍ كَحَقْفٍ مَهِيلٍ^(١١)

مَنْ أَحْقَافٍ يَبْرِينِ^(١٢)

قَدْ هَزَّ فِي مَلْعَبِ الرِّمَاحِ قَدْ كَالُحْسَامِ يَقْدُ الْأَنَامِ
فَقَدْ كَادَ يَبْرِينِي^(١٣)

يَا مَنْ لِيذِي لَوْعَةٍ مُعْنَى قَدْ ضَاقَ بِالْبَيْنِ ذَرْعُهُ
أَنْتَى لِي بِالسُّلُوءِ أَنْتَى يَأْتِي عَلَى الصَّبِّ طَبْعُهُ
إِنْ نَاسَمْتُهُ^(١٤) الرِّيحَ حَتَّى لِمَعْهَدٍ شَطَّ رُبْعُهُ
مَرَّتْ بِهِ نَسْمَةٌ فَغَنَى وَفَاضَ لِلْبَيْنِ دَمْعُهُ

رِيَاكِ يَا نَسْمَةَ الصَّبَاحِ رَاحَةَ الْعَلِيلِ مِنْ جَوَى الْغَلِيلِ

فَهَبِي لِتُحِينِي

بِاللّهِ إِنَّ عَجَبَتِ بِالْبَطَاحِ فَأَقْصُدِي الْحِيَامَ وَأَقْرَأِي السَّلَامَ
عَلَى رَبَّةِ السَّيْنِ

[٤]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أفعال وخمسة أغصان . وقد خرج عن أن يكون موشحاً شعرياً ، فهو لم يلتزم بجزأ من البحور الخليلية دون الخروج عليه ؛ بل أخرجته بعض الفقرات عن ذلك . والفقرات الموزونة فيه مبنية على (مخلع البسيط) كما في قوله المطلع :

« هل في ارتياحي إلى الملاح »

وقوله في الغصن الأول : « هذي عروسُ الرِّياضِ تُجلى » .

وقد اتفقت الفقرات في الأغصان كلها من حيث الوزن ، والإيقاع .

والخرجة في هذا الموشح خرجة مَعْرَبَة ، لَجَأَ فيها ابن خاتمة إلى اللغة الفصيحة .

(١) الخود : المرأة الحسنة الْخَلْقُ الشابة ، أو الناعمة .

(٢) الْخُرْدُ جمع الخريدة : المرأة العذراء الْخَفِرة ، الطويلة السُّكُوت ، الخافضة الصوت .

(٣) الْخُمْصَانَةُ الْحَشَا : الضَّامِرَةُ الْبَطْن . الرَّدَاح : المرأة الثقيلة الأوراك .

(٤) الذَّام : العيب ، يهمز ولا يهمز .

(٥) في الصَّحاح : اللَّمَى « سمرة في الشفة تُسْتَحْسَن » .

(٦) لحاء : لاه .

(٧) في ط : « عن حلاك » وكذا في الأصل ، وغيرها الشاعر بخطه فوقها .

(٨) في ط : « زَيْنَتْ » .

(٩) القافية مقيّدة في الأصل ، وأطلقها في ط .

(١٠) في الصحاح : نال خيراً ينال نيلاً أي أصاب . وأناله غيره . [من نَيْل] . والنوال : العطاء [من نول] . وفي الأساس « ما أنالوا مثل نواله ، ولا نسج أحد على منواله » . يقول : فوُضْتُ

إليه أمر قلبي ، وما أبالي بعد ذلك : احتوى الجمال على قلبي فتصرّف على هواه وما حلا له أم وإساه وأعطاء ما يريد !..

(١١) الْحِقْفُ : الْمُعْوَجُّ من الرَّمْل ، أو الرَّمْل العظيم المُسْتَدِير . وهال (التراب) وأهاله : صَبَّه .

(١٢) يَبْرِين : اسم مكان بمجذاء الأحساء .

(١٣) براه (السَّفر) يَبْرِيه : هزله . وفي الأساس « ومن المجاز : برئت الناقة بالسَّير ، وبراها السَّفر » .

(١٤) في القاموس : نسَم النسيم نَشْماً ونَسِماً (بفتح تين) : هَبَّ . ولم أقف على ناسم .

[٥]

وقال أيضاً :

لِلأَبَابِ فَتَانُهُ	فِي ظَبْيَةٍ رَخِيْمَةٍ ^(١)
قَدْ مَاسَتْ بِهِ بَانُهُ	رَدْفُهُ الرِّجْرَاجُ
بَهِيْفَاءَ مِنْ عَدْنِ	يَا مَنْ لِمُسْتَهَامِ
وَالظَّبْيِ فِي الْحُسْنِ	كَالْبَدْرِ فِي التَّمَامِ
وَقَدْ سَهَّدَتْ جَفْنِي	قَدْ هَيَّجَتْ سَقَامِ
مِنْ الْغُنْجِ وَسُنَانُهُ	بِمَقْلَةٍ سَقِيْمَةٍ
وَتُنْسِيكَ عُدْوَانُهُ	تَزْدِرِي الْحَجَّاجِ ^(٢)
لَقَدْ هَاجَ أَشْجَانِي	مَا لِلْهَوَى وَمَالِي
صُدُوذُكَ أَضْنَانِي	يَا رَبَّةَ الْحِجَالِ ^(٣)
وَمَا حَالُ هَيْبَانِ؟!	لَا أَشْكِيكَ حَالِي
جَاوَى شَبَّ نِيرَانُهُ	أَنْتِ يَهَا عَلِيْمُهُ
عَلَى الْقَلْبِ أَشْجَانُهُ	وَبُكَاءُ هَاجِ
عَنِ الصَّبْرِ	يَا خُوطَةَ تَشْنَى ^(٤) فَتَشْنِي
«عُذْرِي»	لَمْ يَأْنِ أَنْ تَحْنُنَا عَلَى هَائِمِ
لَمْ يَزَلْكَ الشُّغْرُ	لَا تَحْرِمِي الْمُعْنَى
فَسُبْحَانَ مَنْ زَانُهُ	أَهْدَى وَلَوْ نَسِيْمُهُ
وَبِالْذُرِّ عَقِيَانُهُ ^(٥)	وَوَشَى بِالْعَاجِ
وَقَدْ شَفَّنِي السُّمُّ	مَنْ لِي بِالْأُمَانِي

طَرْفِي الَّذِي دَعَانِي وَحُكْمُ الْهَوَى الْحَتْمُ
 مَالِي بِذَا يَدَانِ وَلَا لِي لَهْ عَزْمُ
 وَكَيْفَ لِي عَزِيمُهُ وَصَبْرِي قَدْ خَانَهُ
 طِفْلَةٌ مَغْنَاهُ^(٦) مِنْ التَّيِّبِ سَكَرَانَهُ
 اللَّهُ رَوْضُ حُسْنِ تَمَشَّتْ بِنَادِيهِ
 وَالْقَضْبُ فِي التَّشْنِي كَمِشَّتْهَا فِيهِ
 فَأَنْشَأَتْ تُغْنِي لِلطُّفِّ مَعَانِيهِ :
 عَلَى يَمِينِ لَيْمُهُ وَقُدَّامَ رَيْحَانَهُ
 وَالْعَرِيشُ نَسَّاجُ قَدْ عَانَقُ لِرْمَانَهُ !

[٥]

الشروح :

الموشح تام ، غير شعري ، فيه ستة أقفال وخمسة أغصان ، والخرجة عامية . وقال الدكتور
 عبد العزيز الأهواني : « كان الريحان مشهوراً في حفلات العرس في الأندلس حتى وجدنا من
 أمثالهم : (أشهر من الريحان في دار العروس) . وعند نساء الأندلس إلى اليوم حرص على
 الريحان وحفظ لأجزاء منه بدعوى أنه يقرب الزوج » . وقد ساق هذا الحديث في أثناء
 حديثه عن موضوعات الخرجات ، وما يتصل ببعض النباتات . وانظر أيضاً التعليق على
 الموشح الحادي عشر في هذا الديوان . وكتاب (الزجل في الأندلس : ٢٤) .

- (١) رخمت الجارية : صارت سهلة المنطق ، فهي رخيمة ورخيم .
- (٢) في الأساس : ازدترته عيني : احتقرته .
- (٣) حبال ج حبل : وهو الخلخال . « وَالْحَجُولُ لِرَبَاتِ الْحِجَالِ : أي الخلاخيل للنساء » .
- (٤) الخوط : الغصن الناعم لسنته . وجارية خوطانة أي كالغصن طويلاً ونعومة .
- (٥) العقيان من الذهب : الخالص .
- (٦) الطُّفلة (بالفتح) : الرخصة الناعمة .
- (٧) اللّية : الأترجة .

وقال أيضاً :

يا نسيّاً قد هبّ من نجدٍ وسرى بالخيام
 بحياة الهوى على العتبِ كيف بدر التمام ؟
 كيف بدر التمام حَدَّثني بالرّضى يا نسيّم
 هل تسلى بنأيه عني أم ههـواه مقيم
 وعليم الغيوب لا أثني عنه ودّي الكريم
 ماجرت فوق وجنة الورْدِ عبرت الغمام
 وتشتت معاطيف القُصْبِ لغناء الحمام
 لغناء الحمام في قلبي رقيقة ونحو
 ذكّرْتني معاهد القُربِ والزّمان الوُصول
 إن تحلّ يا مُنْاي عن حبي إنني لأخـو^(١)
 كيف يسْلُو عن ذلك العهدِ وإله مُستَهـام
 حاشَ لله يا مُنى قلبي لست أنسى الذّمـام
 لست أنسى الذّمـام فالجرُّ من يُراعي العهدِ
 ما لمن خان في الهوى عذرُّ لو براه الصّدود
 إن أتاه من حبّه هجرُّ عن قريب يجـود
 إنّما لذّ مـوردِ الوُدِّ بقليل الغرام
 وحلت عنه نشوة الصّبِّ بسماع المـلام
 بسماع المـلام قد صمّا سمعي يا عذول
 فدع اللّوم إنني مُضَيّ لأعي ما تقـول
 صاد عقلي غزيرٌ ألمى صائد للعُقـول
 لاح كالبدْرِ ليلَةَ السَّعْدِ سافراً عن لثام

وَأَشْنَى عَنْ مُنَعَّمٍ رَطْبٍ فَاسْتَفَزَّ الْأَنَامُ
 اسْتَفَزَّ الْأَنَامَ مَرَأَةً بِفَنُونَ الْفَتُونَ
 شَادَنٌ مَذْ عَدِمْتُ رُؤْيَاهُ حَشَوُ صَدْرِي شَجُونُ
 ظَلْتُ أَشْدُو شَوْقاً لِلْقِيَاهُ صَادِحَاتِ الْغُصُونِ :
 يَا حَمَاماً شَدَا عَلَى الرَّئِدِ بِالنَّبِيِّ يَا حَمَامَ
 إِنَّ خَطَرْتُ عَلَى دِيَارِ حَبِّي^(٢) خُصَّهَا بِالسَّلَامِ !

[٦]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أفعال ، وخمسة أغصان . وهو موشح غير شعري ، والخرجة فصيحة .
 وواضح من ألفاظ الخرجة ونغمها أنها مبنية على أغنية شعبية ، لعل هذه الخرجة فيها هي
 اللازمة المترددة بين أجزائها .

(١) حال : تحوّل .

(٢) « على ديار حبي » من ضبط المؤلف . وكذا الخرجة بحركاتها كلها .

[٧]

وقال أيضاً :

حَيٍّ عَلَى الْأَنْسِ حَيًّا وَابْتِدَاً الْعَقَارُ^(١) مِنْ رَاحَتِي بَدْرٍ
 وَلْتَرْتَشِفْهَا حَمِيًّا^(٢) كَالشَّهَابِ فِي التَّهَابِ عَطْرِیَّةَ النَّشْرِ
 أَمَا تَرَى اللَّيْلَ حَائِرٌ قَدْ تَاءَ خَوْفَ افْتِضَاحِ
 وَطَالَعَ الشَّهْبُ غَائِرٌ وَالنَّشْرُ خَفَقَ الْجَنَاحِ
 وَغَنَبَ السَّدَجْنِ عَاطِرٌ تَذْكِيهِ نَارُ الصَّبَاحِ
 وَمَالُ^(٣) سِرْبِ الثَّرِيَّا إِذْ أَنْارَ لِلنَّهَارِ طَلِيعَةَ الْفَجْرِ
 وَالْأَرْضُ تَعْبَقُ رِيًّا وَالسَّحَابُ فِي أَنْسَابِ عَلَى رُبَا الزَّهْرِ

هَذَا زَمَانُ الرَّيِّعِ قَدْ مَلَأَ الْأَفَقَ نَوْرُهُ
تَرَنَّمْتُ بِالْبَدِيدِيعِ عَلَى الْغُصُونِ طِيـوْرُهُ
وَنَمَّ عَنْهُدَ الْهَجْـوِوعِ لِلنَّـشَقِينَ عَبِيرُهُ
وَالرَّوْضُ طَلَقَ الْمُحَيَّا كَالنُّضَارِ قَدْ حَفَّ بِالْدَّرِّ
وَالْوَرْدُ كَالْخُودِ حَيَّا الصَّحَابِ عَنْ نِقَابِ بُرُودِهِ الْخَضِرِ
وَأَفْتَرَّ ثَغْرُ الْأَزَاهِرِ لِلطَّلِّ عَنْ صِرْفِ رَاحِ
وَنَاطِظِ النَّوْرِ نَاطِظِ إِلَى ابْتِسَامِ الْأَقْـحَاحِ
وَمَعْطِفِ الْقَضْبِ نَاضِرِ تَنْثِيهِ أَيْدِي الرَّيَّاحِ
فَاجِلُ الْمُدَامِ عَلَيَّا بِالْكَبَارِ لَا تُـدَارِ فِي الْعِشْقِ وَالْخَمْرِ
هَيْهَاتَ يَا عَادِلِيَا لَا مَتَابَ فَالْصَّوَابُ سُكْرِي مَعَ الْعُمْرِ
قُمْ هَاتِيهَا سِرَّ تِيَاهِ كَالْغُصْنِ فِي لَيْنٍ قـُـدَّهْ
وَالصُّبْحُ فِي نُـوْرِ مَرَاهِ وَالرَّوْضُ فِي وَرْدِ خـُـدَّهْ
الشَّمْسُ تَعَشَّقُ لُقِيَاهِ وَالْبـُـدْرُ صَبَّ بِـوُدَّهْ
يَا لَائِمِي فِيهِ غِيَا لَا اعْتَـذَارِ قَدْ قَامَ بِالْعَذْرِ
قَدْ جِئْتُ شَيْئاً فَرِيَا^(٤) فِي عِتَابِ ذِي اكْتِـبَابِ مُتَمِّمِ عَذْرِي
هَذَا دَمُوعِي هَوَامِرُ^(٥) قَدْ عِيلَ بِالْوَجْدِ صَبْرِي
فَالْقَلْبُ هَيَّانَ طَائِرِ مـَـبَـيْنِ بَيْنِ وَهَجْرِ
يَا قَلْبُ مَا لَكَ حَائِرِ تَهَوَّى لِمَنْ لَيْسَ تـُـدْرِي^(٦)
ذِبُّ نَذْرِ^(٧) مَنْ صَالُ عَلَيَّا بِشِفَارِ أَحـُـوْرَارِ جَفُونِ ذِبُّ نَذْرِي
صَحْبَ الصَّفَاتِ الْبَهِيَا^(٨) وَالثِّيَابِ الْعِجَابِ الْكُوكَبِ الدَّرِّي

[٧]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أفعال وخمسة أغصان . وتبدأ الأفعال والأغصان فيه بفقرات على وزن

(المجتث) . ثم خرج عن أن يكون موشحاً شعرياً بالفقرات الأخرى في كل غصن وقفل .
والخرجة عامية .

- (١) العُقار (بالضم) : الخمر .
- (٢) الحُمَيّا من الكأس : أول شدتها ؛ أو أخذها بالرأس .
- (٣) في ط : ومال . وفي الأصل : ومال ، وفوقها عبارة : (وريع) وكلمة : معاً .
- (٤) اقتباس قرآني من سورة مريم / ٢٧ : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً قَرِيّاً ﴾ .
- (٥) هوامر من همر فلان دمه : صبه فهمر .
- (٦) كذا أوردتها ، بتعدية (هوى) باللام .
- (٧) ذب ندرى : الآن ندرى (في اللهجة المغربية اليوم : دابا : الآن) .
- (٨) صعب = صاحب ؛ والبهيّا = البهية .

[٨]

وقال أيضاً :

وَفِي هَوَى الْجِسَانِ	فِي طَاعَةِ النَّدِيمِ
وَدُنْتُ بِأَفْتَتَانِ	عَصَيْتُ كُلَّ عَاذِلٍ
عَنِ الْهَوَى مَحِيصٍ ^(١)	أَمَّا أَنَا فَمَا لِي
صَعِبَ الرِّضَى حَرِيصُ	فُتِنْتُ فِي غَزَالِ
فِي كَفِّ قَنِيصُ	ظَلْتُ عَلَى احْتِيَالِي -
مِنْ فَوْقِ خُوطِ بَانِ	دُوْ مَنْظَرٍ وَسِيمِ
مَالِي بِهَا يَدَانِ ^(٢)	يَخْتَالُ فِي غَلَائِلِ
مِنْ جَوْرِ ذَا الْغُلَامِ ^(٣)	يَا مَنْ لِمُسْتَهَامِ
يَسُومُنِي سَقَامِ	يَغْتَالُنِي مَنَامِي
بِأَضْرَبِ الْغَرَامِ	قَدْ عَاثَ فِي الْأَنَامِ
يَعْدُو مَدَى الزَّمَانِ	أَجْوَرُ مِنْ سَدُومِ
أَطْوَعُ مِنْ عِنَانِ ^(٤)	عَلَى فُؤَادِ ذَاهِلِ

غَلَّقَتْهُ غَزَالَا لِلرُّومِ مُنْتَهَاهُ
 زَنَّارُهُ اسْتَبَالَا حَلَمِي إِلَى صِبَاهُ
 إِنْ قَالَ لِي مَقَالَا لَمْ أَذِرْ مَا عَنَاهُ
 أَوْ أَشْتَكِي هُمُومِي لَمْ يَذِرْ مَا عَنَانُ^(٥)
 فَالْقَلْبُ فِي حَبَائِلُ أَيْدِي هَوَاهُ عَانُ^(٦)
 أَقْسَمْتُ بِالْأَنَاجِلُ وَحُرْمَةِ الْمَسِيحُ
 مَا إِنْ أَطِيعُ عَاذِلُ فِيكَ وَلَا نَصِيحُ
 فَكَمْ وَكَمْ تَطَاطَلُ ذَا لَوْعَةٍ قَرِيحُ
 قَدْ امَّحَتْ رُسُومِي سَقَمًا عَنِ الْعِيَانُ
 فَارْحَمْ أَنْيْنَ نَاجِلُ لَوْلَاهُ مَا اسْتَبَانُ^(٧)
 قُلْ كَيْفَ يَسْتَرِيحُ صَبَّ
 لِسَانُهُ فَصِيحُ وَالْحُبُّ
 هَا حَالَتِي تَلُوحُ فَهَلْ مُتَرْجِمُ؟
 صَبَّيْ عَشَقْتُ رُومِي وَشْ تَحْفَظُ اللِّسَانُ^(٨)
 السَّاعَ مَا نَشَاكِلُ^(٩) عَاشِقُ بَتْرُجَانُ!

[٨]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أفعال وخمسة أغصان ، وينتظمه وزن « مستفعِلن فعولن » في الأفعال والأغصان معاً ، ويعطيه موسيقية لطيفة متناسقة . والخرجة عامية .

- (١) محص مني : هرب ، فهو محيص .
- (٢) في الأساس : « مالك به يدان » إذا لم تستطعه .
- (٣) كأنه من باب وصف الفتاة بأوصاف الغلام على طريقة بعض الشعراء العباسيين المبكرين .
- (٤) وجدت في الأمثال (الميداني ١/٤٤١) قولهم : « أطوع من ثواب » : رجل من العرب . وقولهم : « أطوع من فرس ، ومن كلب » .

- (٥) لم يدر ما عنان ، أي : ما عناني .
 (٦) عني (كرضي) - فهو عان - أي نشب في الإسار .
 (٧) يشبه قول المتنبي :
 كفى بجسمي تحولاً أني رجلٌ لولا مخاطبتي إياك لم ترني
 (٨) وش نغفظ اللسان : أي لانعرف (لأعرف) اللسان الرومي .
 (٩) الساع مانشاكل : أي الآن نحن (أنا) نشابه عاشقاً بترجمان !

[٩]

وقال أيضاً :

- قُمْ هَاتِيهَا قَهْوَةٌ^(١) كَدَمْعٍ مَهْجُورٍ قَدْ أَفْرَطْتُ إِفْرَاطُ فِي اللَّطْفِ وَالنُّورِ
 هَذِي الرُّبَا تَخْتَالُ فِي حُلُلِ الزَّهْرِ
 قَدْ سَحَبْتُ أَذْيَالُ بُرُودِهِمَا الْخَضِرُ
 وَرَقَّتِ الْأَصَالُ لِعَبْرَةِ الْقَطْرِ
 فَافْتَرَّ عَنْ حَوْهٍ^(٢) ثَغُرُ الْأَزَاهِيرِ وَنَمَّ عَنْ أَخْلَاطٍ مِسْكِ وَكَافُورٍ
 فَهَاتِيهَا قَدْ بَانَ لِعِاذِلِي عُذْرِي
 فِي نَغْمَةِ الْعِيْدَانِ وَرَنَّةِ الزَّمْرِ
 وَالشَّمْ طَلَى الْقِطْعَانِ^(٣) وَارْشَفُ لَمَى الْخَمْرِ
 رُضَابَةٌ خُلُوهُ كَذُوبِ بُلُورٍ تَخْتَالُ فِي أَسَاطٍ مِنْ جَوْهَرِ النُّورِ
 يُدِيرُهَا تَيَّاهُ كَالصُّبْحِ مَرَاهُ
 إِنْ أَخْطَأْتُ كَفَّاهُ سَقَّتْكَ عَيْنَاهُ
 لِلَّهِ مَا أَهْلَاهُ وَمَا أَحْيَاهُ
 غُصْنٌ عَلَى رَبْوَةٍ الْخَاطِ يَعْفُورُ^(٥) مُجَوَّهَرُ الْأَقْرَاطِ طَلَقُ الْأَسَارِيرِ
 آهِ وَمِنْ يُبْلَى حُرٌّ بِأَنْ يُبْدَى
 لَشَدَّ مَا حَلَا بِالصَّبِّ مِنْ وَجْدٍ

يَا عَاذِلِي مَهْلًا فَالْعَذْلُ لَا يُجْدِي
مَا أَبْعَدَ السَّلَوَةَ عَنْ قَلْبٍ مَذْعُورٍ تَيْمٌ فِي فُسْطَاطٍ بِيَدِ دَيْجُورٍ
رَفَقَ قَلْبًا مَنَى قَلْبِي بِقَلْبٍ هَيَّانٍ كُ
قَد زَادَ فِي كَرْبِي فَتُورُ أَجْفَانِكَ
اللَّهُ فِي صَبٍّ بَنِيْلٍ إِحْسَانِكَ
يَا صَاحِبَ السَّطَوَةِ وَارْفُقْ بِمَهْجُورٍ أَضْغَطْتِي إِضْغَاطُ يَا فِتْنَةَ الْحُورِ^(٧)

[٩]

الشروح :

- (١) الموشح تام ، من ستة أفعال وخمسة أغصان ، وهو موشح غير شعري ، والخرجة عامية .
القهوة : الخمر .
- (٢) الْحَوَّة : سُرَّة الشفة ، يقال : رجل أحوى ، وامرأة حَوَاء .
- (٣) الطَّلَا : الولد من ذوات الظلف . والجمع (أَطْلَاء) . والطلْي : الصغير من أولاد الغنم والجمع طليان . والطلْي : الأعناق . واحدها طَلِيَّة بالضم أو طَلَاة . اهـ .
- (٤) في الأصل : وأبائي تِيَاه ، وفوقها : يديرها تِيَاه ؛ وكلمة (معاً) ، وفي ط : وأبائي .
- (٥) اليعفور : الخشف . وهو ولد الطبي أول ما يولد أو أول مشيه ، أو التي نفرت من أولادها وتشردت ، وولد البقرة الوحشية أيضاً .
- (٧) في حاشية الأصل عند هذا السطر عبارة : بلغت القراءة والسماع .

[١٠]

وقال أيضاً :

هَذِهِ الشَّمْسُ حَلَّتْ بِالْحَمَلِ^(١) وَمُحَيَّا الزَّمَانِ الْحَالِي
قَدْ تَجَلَّى سَنَاءٌ فِي كَالٍ فَاسْقِنِي أَكْوَسي وَامْلَاي
وَلْتَدِرْهَا رَحِيقاً كَالذَّهَبِ صَيْغٌ فِي قَالِبٍ مِنْ نُورٍ
قَدْ تَحَلَّتْ بِأَسْلَاكِ الْحَبَبِ وَاکْتَسَتْ حُلَّةَ الْمَهْجُورِ

جَوْهَرٌ فِي نُضَارٍ مِنْ لَهَبٍ قَدْ تَلَاقَتْ عَلَى تَقْدِيرِ
 فَاسْقِنِيهَا وَدَعْ مِنْ قَدْ عَذَلُ وَبِكَ مَالِي وَلِلْعَذَالِ
 فِي هَوَى أَهْيَفٍ بَدَعَ الْجَهَالُ بَابِلِي رُخْيَ الْبَالِ
 جُمْلَةُ الْأَنْسِ فِي رَشْفِ الطَّلَا وَوَدَادِ الْمَلَاكِ الْعِيْدِ
 فَاسْقِنِي صَاحِبِي وَاشْرَبْ عَلَى وَدِّذَا الشَّادِنِ الْأُمْلُودِ^(٢)
 شَقٌّ بِدَرِ الدُّجَا نَجَلِ الْعَلَا بُغْيَتِي مُنْتَهَى مَقْصُودِي
 يَا لَهُ مَلِكُ حُسْنٍ لَوْ عَدَلُ فِي شَجِّ مُفْرِطِ الْبَلْبَالِ
 لَمْ يَذُقْ قَطُّ طَعْمًا لِلْوَصَالِ دَائِمِ الدَّهْرِ فِي أَوْجَالِ
 يَا هِلَالًا لِقَلْبِي أَشْرَفَا هَلْ سَبِيلٌ إِلَى لَقِيَاكَ
 وَقَضِيئًا بِعَقْلِي قَدْ هَفَا هَلْ حُؤٌّ عَلَى مُضْنَاكَ
 مَا تُرَاعِي مُجَبًّا مُدْنَفَا تَحْتَ ذَيْلِ الدُّجَا يَرْعَاكَ
 مُغْرَمَ الْقَلْبِ مَجْرُوحَ الْمُقْلِ دَمْعُ عَيْنَيْهِ فِي اسْتِرْسَالِ
 قَدْ أَبَى مَا دَهَاهُ مِنْ خَبَالِ أَنْ يُرَى عَنْ أَسَاءِ خَالِ
 مَنْ نَصِيرُ الْمَعْنَى الْمُتَلَفِ لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ، لَا كَانَا
 مِنْ هَوَى ظَبْيِ أَنْسٍ أَهْيَفِ لَمْ يَدَعْ عَنْهُ سُلُوانَا
 يَنْشِي لِلصَّبَا فِي مِطْرَفِ قَدْ سَمَا حُسْنُهُ وَازْدَانَا
 يَا لِقَدْ عَلَى ذَاكَ الْكَفَلِ مِثْلُ غُضَنِ النَّقَا الْمُنْهَالِ
 وَلِمَرَأَى تَعَالَى عَنْ مِثَالِ فِي جِهَالٍ، وَفِي إِجْمَالِ
 فَقُلْتُ لَمَّا جَفَانِي وَاعْتَدَى فِي صُدُودِي وَفِي إِعْجَادِي
 يَا شَهَابًا لِسَعْدِي قَدْ بَدَا هَلْ لِمِرَّاكَ مِنْ إِسْعَادِ
 فَاَنْشَى هَارِيًّا بِي مُنْشِدَا - يَا لَهُ مِنْ رُحِيمِ شَادٍ -:
 يَا عَجَبُ! كَيْفَ تَرِدُّ؟ وَصَلِي سَهْلُ؟! وَأَنَا هُوَ السَّمَاءُ الْعَالِي
 قَدْ نَصَبْتُ رُوحَ قَدِّي فِي اعْتِدَالِ نَزَمَ بِهِ كُلَّ قَلْبٍ سَالٍ!

الشروح :

الموشح تام ، من ستة أقفال وخمسة أغصان ، غير شعري ، والخرجة عامية . وعلامات الترقيم والتعبير في الخرجة من قراءة أستاذنا الدكتور الأهواني .

- الْحَمَل : أول البروج ، قال في (الأنواء : ١٥٢ - ١٥٣) : « وفي خمسة عشر من بعد آذار تحل الشمس بأول برج الحمل وحينئذ ينقلب الزمان ، فيعود ربيعاً محضاً بعد أن كان شتاءً متمزجاً . قال : وذلك أول فصل الربيع ، وهو رأس الأزمنة ، وابتداء سنة الشمس . قال الشاعر (أبو نواس) :

ألم تر الشمس حَلَّتْ الحَمَلاً وقامَ وزنُ الزَّمانِ واعتدلاً
وعَنَّتِ الطَّيْرُ بعدَ عَجْمَتِهَا واستوفتِ الخمرَ حَوْلَهَا كَمَلاً
راجع ابن الأجدابي في (الأزمنة والأنواء) . ومادة (حمل) في المعاجم .

(٢) الأملود : اللين الناعم من الغصون أو من الناس .

وقال أيضاً :

هَلْ لِلْعَزَا مِنْ سَبِيلٍ هَلْ يَشْتَفِي السُّقْمُ
حَسْبِي يَأْسٌ مُرِيحٌ قَدْ ضَاقَ بِي الْكَثْمُ
الْغَوْتُ مِنْ ذَا الْمَوَى فَلْ بِهِ عَزَمِي
قَدْ هَدَّ مِنِّي الْقَوَى وَقَدْ مَحَا رَسْمِي
يَا رَبِّ هَذَا الْجَوَى لَمْ يَكْ فِي عِلْمِي
وَأَنْتَ نِعَمَ الْمُقِيمِ وَحُكْمُكَ الْحَكْمُ
أَجْرُ فَوَادٍ قَرِيحٍ قَدْ خَانَهُ الزَّعْمُ
لِسُوءِ خَالِي وَمَا أدراكَ مَا حَالِي
بَكَى خَلِيلِي دَمْعاً وَرَقَّ عُنْدِي
لَمْ يَأْنِ أَنْ تَرْحَمَا^(١) يَا خَالِي الْبَالُ ؟

جُدْ بِالرَّضَى يَا بَخِيلُ مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ^(٢)
لَمْ تَدْرَأَنَّ النَّصِيحُ سَاءَ مَا هُوَ إِثْمُ
عَصِيَتْ فَيْكَ الْمَلَامُ وَدِنْتُ بِالْوَجْدِ
وَقَدْ هَجَرْتُ الْمَنَامُ وَلُذْتُ بِالسُّهُدِ
فَهَلْ يُفِيدُ الْغَرَامُ لَدَيْكَ أَوْ يُجْدِي
قَدْ حَارَ فِيكَ الدَّلِيلُ وَضَلَّ بِي الْحِلْمُ
لَا قَلْبَ لِي مُسْتَرِيحُ كَلًّا، وَلَا جِسْمُ
لَوْ بِسَوَى الْأَعْيُنِ قُتِنْتَ يَا قَلْبِي
رَجَوْتُ أَنْ تَنْثَنِي مُفَرَّجَ الْكَرْبِ
يَيْسَتْ لَكِنِّي أَدْعُوكَ يَا رَبِّي
دُعَاءَ صَبٍّ ذَلِيلُ أَسْلَمَ مَا هُوَ الْجَرْمُ
فَالْوُدُّ مِنْهُ صَاحِبُ وَفِي الْحَشَا كُلُّ
تَشْنِيعُ هَذَا الرَّقِيبُ رَبِّ اذْفَعْنِ شَرَّهُ
أَبْصَرَهُ مُسْتَرِيبُ بَوَاجِهِ حُمَرَهُ
فَظَنَّهُ قَدْ أُصِيبُ وَقَدْ شَادَا جَهْرَهُ
صَبِيَّ جَرِحَ فَالنَّخِيلُ رَشَّ الْخَبِّ قُ^(٣) دُمُ
بِاللَّهِ يَا طَيْرًا مَلِيحُ قُلَّ الْخَبْرُ لَامُ

[١١]

الشروح :

الموشح تام ، فيه ستة أفعال وخمسة أغصان ، وهو موشح شعري ، ينتظمه بحر البسيط ، وإن كانت الفقرة الأولى من كل جزء من أجزاء القفل من وزن (مستفعِلن فاعلان) ، وليس مستفعِلن فاعلن ، وإنما ذيل الفقرة لمكان القافية في فقرة الموشح . والخرجة عامية . وقد استشهد الدكتور عبد العزيز الأهواني بهذه الخرجة في كتابه (الزجل في الأندلس) وأثبتها كما تقرأ :

صَبِيْ جُرِحَ فِي النَخِيْلِ رَشَّ الْحَبِيقَ دَمُـو
بِاللّٰهِ يَاطِيْرًا مَّليْح قـوْلُ الْخَبْرِ لَمُـو

مع ملاحظة أن (في) الحرف الجار ، وردت بخط المؤلف فاء مفتوحة ، بحسب لهجة نطقها .

وتحدث الدكتور الأهواني عن موضوعات الخرجات فعددها ، وقال : « ومما ورد في الخرجات من الموضوعات إشارات إلى أنواع من النبات خُصَّت بما لم تخص به نباتات وأزهار شاع ذكرها في القصائد ، فعلى حين أن الحديث عن الورد والياسمين والأقحوان والبهار يكثر في قصائد الأندلسيين وفي الموشحات نفسها ، نجد الخرجات تميل إلى الحَبَق والحَنَاء وإلى الريحان خاصة » - راجع : الزجل في الأندلس ٢٣ - ٢٤

- (١) أنى الشيء ، يَأْنِي إِنِّي : حان .
- (٢) في الحديث الشريف : « مطل الغني ظلم » : اللسان (مطل) .
- (٣) الحبق نبات عشبي عَطِر ؛ أوراقه وأزهاره فَوَاحَةٌ العَرَفِ العَطِير . (من فصيلة الشفويات) .

[١٢]

وقال أيضاً :

الرَّوْضُ أَبْدَى ابْتِسَامُ عَنْ يَـانَعِ الزَّهْرِ
لَمَّا غَدَتُ فِي أَنْسِجَامُ مَدَامُغُ الْقَطْرِ
وافتَرَّ نَوُورُ الْأَقْصَا عَنْ ثَغْرِ الشَّنْبِ
وَالْقُضْبُ ذَاتُ ارْتِيَا لِلرَّقْصِ مِنْ طَرَبِ
فَهَاتِهَا كَالصَّبَا دُرِّيَّةَ الْحَبِّ
إِنْ فَضَّ عَنْهَا الْحِتَامُ وَطُـوَارِقُ يَسْرِى
رَأَى بِهِمَ الظُّلَامُ كَوَاضِحِ الْفَجْرِ
بِالنَّفْسِ ظَبْيِي غَرِير تَغْنُو لَوِهُ الْأُسْدِ
مَرَاهُ بِدَرِّ مُنِير أَطْلَعَهُ السَّعْدُ
فِي أَفْـوَقِ غُصْنِ نَضِير يَكَادُ يَنْقُـدُ

وَأَيْنَ بـــــــــــــــــــــــــــــــــدُرُ التَّامِّ من وَجُنَّتِي بـــــــــــــــــــــــــدري
أُمُّ أَيْنَ زَهْرُ الكِيَامِ مِنْ تَغْرِهِ الـــــــــــــــــــــــــدري
أَفْدِيهِ مِنْ مُغْرَضٍ قَلْبِي لـــــــــــــــــهُ مَثْوَى
وَجُدِي بِهِ يَقْتَضِي صَبْرِي لِمَا يَهُوَى
مِنِّي لـــــــــــــــــهُ مَنَارَضِي وَمِنْهُ لِي الْبُلْوَى !
أَغْرَى بِجِسْمِي السَّقَامَ لَمَّا ارْتَضَى هَجْرِي
رَفَقاً عَلَى الْمُسْتَهَامِ وَارْحَمُ تَنْتَلُ أَجْرِي
يَا خَاذِلِي فِي الْهَوَى مَتَى تَرَى نـــــــــــــــــاصِرُ
قَدْ هَدَّ مِنْ الْقَوَى صَدُّكَ يَا هَاجِرُ
أَمَّا لِهَذَا النَّوَى وَالْهَجْرِ مِنْ آخِرُ ؟
خَالَفْتُ فِيكَ الْغَرَامَ بِمَـــــــــــــــــــــــــ وَوَقِفِ الصَّبْرِ
أَنْ لَسْتُ أَنْسَى ذِمَامَ هَـــــــــــــــــــــــــ وَوَكَ الْلَحْشِرِ
جَفَا جُفُونِي الرُّقَادَ وَسَـــــــــــــــــــــــــ وَوَرِ الْفِكْرِ
كَانَ فَرَشِي قَتَادَ شُبَّ هَـــــــــــــــــــــــــ وَجَمْرُ
مَالِي عَلَى ذَا السُّهَادَ وَعَيْشِكُمْ صَبْرُ !
أَمَّا وَرَبَّ الْأَنْامِ وَ(الطُّورِ)، وَ(الْحَشْرِ)
لَوْ كَانَ فِي اللَّيْلِ عَامَ مَا نِمْتُ مِنْ فِكْرِي !

[١٢]

الشروح :

موشح تام ، فيه ستة أفعال ، وخمسة أعضان . وهو يجري على البحر البسيط ، بتذييل
الفقرة الأولى من كل جزء من أجزاء القفل . أي التفعيلة الثانية منه . والخرجة مُعربة .

وقال أيضاً :

قُلْ يَا غَزَالُ مَنْ خَطَّ وَأَوَّيْنِ فَوَيْقَ خَدَّيْنِ بلا مثال ؟
 قَدْ جَلَّ مَنْ أَبْدَعُ مِنْ دُونِ مَا نَدَّ
 جَمَالَكَ الْأَبْدَعُ فِي حُسْنِهِ الْفَرْدُ
 وَالْبَدْرُ قَدْ أَطْلَعَ مِنْ ذَلِكَ الْقَدْ
 عَلَى اعْتِدَالٍ يَهْفُو بِبُرْدَيْنِ كَالْغُصْنِ اللَّيْنِ طَوْعَ الشَّمَالِ
 مِنْ لِي بِهِ يَتَنِي فَوَادَّ ذِي اللَّبِّ
 مُسْتَعْبِدَ الْحُسْنِ مُتَيَّمِ الْحُبِّ
 يَا سَائِلِي عَنِّي هَا حَالَتِي تُنْبِي !
 وَكَيْفَ حَالُ مَنْ ظَلَّ لِلْبَيْنِ يَرَعَى السَّمَائِينَ طُولَ اللَّيَالِ
 سُبْحَانَ بَارِيهِ بِدْعًا بِلَا مِثْلِ
 كَالظَّبْيِ فِي التِّيهِ وَالْغُصْنِ فِي الشَّكْلِ
 يَا عَاذِلِي فِيهِ أَشْرَفَتْ فِي الْعَذْلِ
 دَعِ الْجَدَالَ مَا قَادَ لِي حَيْنِي خِلَافَ عَيْنِي تَرْمِي نِبَالَ
 قَدْ ذُبْتُ بِالْأَشَوَاقِ وَمِتُّ بِالْحُبِّ
 الْوَجْدُ فِي إِحْرَاقِ وَالِدَمْعُ فِي سَكْبِ
 يَا قَوْمُ هَلْ مِنْ رَاقٍ ^(١) يَرْقِي جَاوِي قَلْبِي
 مَالِيُ احْتِيَالُ فِي لَحْظِ جَفْنَيْنِ يَرْمِي بِسَهْمَيْنِ وَلَا يُيَال ^(٢)
 وَاعْدَنِي الشَّاطِرُ بِزُورَةٍ تُدْنِيهِ
 ثُمَّ أَتَنَى نَافِرُ فَظَلْتُ أَسْتَدْعِيهِ
 فَلِإِذْ أَتَى خَاطِرُ شَدْوُتَهُ - تَنْبِيهِ - :
 وَجْهَ الْهِلَالِ قُلْ لِي يَا نُورَ عَيْنِي تَمْطُلُ كَذَا دَيْنِي يَكْفِي الْمِطَالُ !

الشروح :

- (١) الموشح تام ، فيه ستة أفعال ، وخمسة أغصان . وهو موشح غير شعري ، والخرجة معربة .
 الرقية : العوذة . ورقاه رقياً فهو رقاء : نثث في عودته . وفي الأساس : يقال « باسم الله أريقك والله يشفيك » .
 (٢) الأصل فيها يبالي .

وقال أيضاً :

أَلَا نَبَّهَ السَّاقِي فَذَا اللَّيْلُ قَدْ أَغْفَى وَبَرَّقَ الدُّجَى يُذَكِّي لِعَنْبَرِهِ عَرْفَا
 وَهَاتِ اسْقِنِي وَاشْرَبْ مُعْتَقَةً صِرْفَا
 فَمَا لَذَّةُ الدُّنْيَا سِوَى وَجْهِ مَحْجُوبٍ وَمَشْرُوبٍ
 بِنَفْسِي رَشَاءً مَالِي عَلَى عِشْقِهِ صَبْرٌ إِذَا غَابَ عَنْ عَيْنِي فَمَكْنِسُهُ الصَّدْرُ
 مُحْيَاهُ لِي رَوْضٌ وَرِيقَتُهُ خَمْرٌ
 وَمَا ذُقْتُهَا لَكِنْ هُوَ الشَّوْقُ يَهْذِي بِي لِتَغْذِي
 لِمَا بِي فَلْيَشْفِقْ عَذُولِي مِنَ الْوَجْدِ غَرَامٌ بَلَا بَقِيَا وَهَجْرٌ بَلَا حَادٍ
 رَضِيتُ لِمَنْ يَهْوَى بَخِيلًا وَيَسْتَجْدِي
 فِيمَا مُهْجَتِي ذُوبِي وَيَا أَدْمُعِي صُوبِي لِمَوْصُوبٍ
 أَيَا مَنْ لَأَشْجَانٍ تَسُومُ الْحَشَا سُقْمًا بُلَيْتُ بَتِيَّاهُ يَقْطَعُنِي رَغْمًا
 وَهَبْتُ لَهُ رُوحِي فَنَاهَبَنِي الْجِسْمَا
 فَقَدْ صِرْتُ مَمْلُوكًا لَهُ بَيْنَ مَوْهوبٍ وَمَنْهوبٍ !
 رَشَا فِي مُحْيَاهُ لِمُبْصَرِهِ شُغْلٌ مُؤَدَّبُهُ يَهْوَاهُ وَالصَّبِيَّةُ الْكُلُّ
 شَكُوتٌ لَهُ وَجْدِي فَقَالَ - وَلَمْ يَغْلُ - :
 لِمَنْ نَشْتَكُو بِالْحَقِّ قَدْ أَفْسَدُ لِي تَوْدِي وَتَرْتِي !

الشروح :

الموشح أقرع . فهو يبدأ بالغصن الأول ، ويخلو من المطلع .
وأجزاء الموشحة - في الأغصان - على بحر الطويل ، أما الأقفال فيخرجها عن وزن الطويل
زيادة كلمة ، ففي القفل الأول قال :

« فمَالَنَّةُ الدُّنْيَا سِوَى وَجْهِ مَحْبُوبٍ وَمَشْرُوبٍ »
وكلمة « مشروب » أخرجت الموشح عن أن يكون شعرياً . والخرجة عامية .

وقال أيضاً :

مَرَّأَكَ النَّصِيرُ عَلا وَجَلًّا حُسْنًا عَنْ نَظِيرٍ فِي الدُّنْيَا
مَا أَنتَ فِي الْمِلَاحِ إِلَّا زَيْنٌ يَادَائِمَ الْجَمَاحِ كَمْ ذَا الْبَيْنِ ؟ !
هَلْ أَفَّةُ السَّمَاحِ إِلَّا الْمَيْنُ أَضْحَيْتَ كَالصَّبَاحِ
تَفْضَحُ الْبَدُورُ مَهْمَا أَهْلًا وَجْهَكَ الْمُنِيرُ أَوْ حَيًّا
مَنْ نَاصِرَ الْكَتِيبُ مِنْ أَجْفَانٍ غَزِيلٍ رَيْبُ ذِي سُلْطَانِ
سَطَا عَلَى الْقُلُوبِ بِالْهَجْرَانِ يَدْعُو بِلَا مُجِيبِ
مَالَهُ نَصِيرُ وَلَا تَسَلَّى مَنْ رَأَى فُتُورَ عَيْنِيَّ
قَدْ جَلَّ مَنْ بَرَاهُ بِلَا نِدٍّ كَالظَّبْيِ فِي حُلَاهُ وَفِي الصَّدِّ
وَالْبَدْرِ فِي سَنَاهُ وَفِي الْبُعْدِ مُعَطَّرَ شَذَاهُ
مِنْ صِرْفِ الْخُمُورِ تَخَالُ عُلَا ثَغْرَهُ الْعَطِيرُ الرَّيَّانُ
هَلْ لِلرُّضَا سَبِيلُ أَوْ لِلصَّبْرِ قَدْ شَفَّنِي الْغَلِيلُ مِنْ الْهَجْرِ
هَا عَبَّرْتَنِي تَسِيلُ عَلَى نَحْرِي كَمْ ذَا النَّوَى الطَّوِيلُ
لَيْتَهُ يَزُورُ عَسَى وَعَلَا هَيَّا يَا بَشِيرُ بِي هَيَّا
يَا قَلْبِي الْمَعْنَى مِنْ الصَّدِّ أَعِدْ عَلَيَّ مَعْنَى هَذَا الْوَدِّ

بِمَنْ غَدَوْتُ مُضْنَى رَهْنَ الْوَجْدِ فَقَالَ لِي وَغْنَى :
 بِي بَدْرٌ مُنِيرٌ إِذَا تَجَلَّى فَالْمَوْتُ الْمُبِيرُ مَا أَهْيَا !

[١٥]

الشروح :

الموشح تام ، فيه أقفال وخمسة أغصان ، والخرجة فصيحة . وهو موشح غير شعري .

[١٦]

وقال أيضاً :

هَبَّتْ مِنَ النَّوْمِ عَيْنُ الْبَهَارِ تُوْمِي بِلَحْظِ رَقِيعٍ إِلَى اقْتِبَالِ الرَّيِّعِ
 رَقَّتْ حَوَاشِي الزَّمَانِ وَالْفَصْلُ يَا صَاحِ ثَانِ
 فَقُضَّ خَتَمُ الدَّنَانِ عَلَى اصْطِفَاقِ الْمَثَانِي^(١)
 وَلِتَجْلُهَا ذَاتَ نُورٍ وَنَارٍ رَقْرَاقَةً عَنْ نَجِيعٍ كَدَمْعٍ صَبَّ فَجِيعِ
 ذَا الْجَوِّ كَلَسِي الْأَدِيمِ مُزْمَلٌ فِي الْغُيُومِ
 دَفَّاعٌ بَرْدِ النَّسِيمِ فَهَاتِهَا يَا نَدِيمِي
 دَفْعاً لَجِسْمِ صَرِيعِ الْوَقَارِ وَطِيبُ عَيْشِ الْخَلِيعِ فِي رَشْفِ ثَغْرِ الْبُضِيعِ^(٢)
 مَالِي وَثْنِي الْعِنَانِ عَنْ رَشْفِ بِنْتِ الدَّنَانِ
 كَلَّا وَشَدُّوْ الْمَثَانِي مَا إِنْ أَرَى عَنْهُ ثَانِ
 فَهَاتِ مِنْ كَفِّ ذَاتِ سِوَارٍ كَالْبَدْرِ عِنْدَ الطَّلُوعِ مُتَّوَجَّأً بِهَزِيعِ
 بِالنَّفْسِ ظَبِيَّةً خِذْرِ بِنْتُ ثَمَانٍ وَعَشْرِ
 حَلَّتْ بِأَحْنَاءِ صَدْرِي ثُمَّ تَمَدَّيْنُ بِهَجْرِي !
 يَا لَائِمِي فِي دُمُوعِي الْغِزَارِ دَعْنِي مُنْسَكِبَ الدُّمُوعِ لِلْمَصَّبِ أَيْ شَفِيعِ
 ضَنْتُ بَنِيْلَ الْوَصَالِ حَتَّى بِطِيبِ الْخِيَالِ
 تَيَّاهَةً مَا تَبَالِي فَظَلْتُ أَشْدُو بِحَالِي :
 كَمْ يَدُومُ ذَا الصَّدُودِ وَالنَّفَارِ يَا مَنْ سَكَنَ بَيْنَ ضُلُوعِي أَشْهُ يُعَجِّبُكَ فِي وَلُوعِي ؟

الشروح :

الموشح تام ، من ستة أفعال ، وخمسة أغصان ، وهو موشح غير شعري وجاءت فقرات الأغصان على وزن (المجتث) والخرجة عامية .

(١) اصطفيك العود : تحرّكت أوتاره . والثاني من أوتار العود ما بعد الأول .

(٢) البضيع : الماء النير .

وقال أيضاً :

أدير الكؤوسا على الطرب واجلها شوساً لمُرتقب
يا لها عروساً لم تحجب تبهج النفوسا
فيطوي الخجل بشرها طياً
حسبك الطلاء على ذا الربيع قد مضى الشتاء وهذا الربيع
وصحا الهواء ومال الخليج وثوت ذكاء^(١)
يبرج الحمّل هي بي هيّا
جملّة النعيم لمن عدّلا في وداد ريم ورشف طيلا
فاسقني نديي وساق على منظرٍ وسيم
سما واعتدل ملء عينيّا
بأبي حلي به شعلي ماله حلي سوى العطل!
أسمّر حليّ كما العسل وجهه البهيّ
كسّته المقل صبغها زيّا
جاز من لحاني طور العذل في هوى معاني ساجي المقل^(٢)
هل حلي الحسان سوى الكحل الأسيمراني
خلو كالعسل أيّ جي^(٣) ليّا!

الشروح :

الموشح أقرع ، فيه خمسة أفعال ، وخمسة أغصان ، والموشح غير شعري ، والخرجة عامية .

(١) ذكاء : اسم للشمس .

(٢) امرأة ساجية الطرف : فاترته .

(٣) أي جي ليا : هيا أقبلي إلي .

وقال أيضاً :

ضَاعَ مِنِّي الْوَقَارُ بَيْنَ كَأْسِ تَدَارٍ وَتَغْرِ
عَقْرَبِ الصَّدْعِ حَقًّا بَرِيَاضِ الْخُدُودِ يَمْنَعُ الصَّبَّ قَطْفًا غَضَّ تِلْكَ الْوُرُودِ^(١)
قَدْ حَمَانِي رَشْفًا فِي الرُّضَابِ الْبَرُودِ
فَضْلُوعِي حِرَارٍ قَدْ كَوَاهَا الْأَوَارُ بِجَمْرِ
أَيُّ وَرْدَةٍ حُسْنٍ كَلَّلْتُ بِبَهَارٍ تَحْتَ طَرَّةِ دَجْنٍ فَوْقَ وَجْهِ نَهَارٍ
يَا عَذُولِي دَعْنِي قَدْ خَلَعْتُ عِذَارِي^(٢)
لَمْ يَسْغُ لِي اعْتِذَارُ مُنْذُ قَامَ الْعِذَارُ بَعْذَرِي
هَلَالًا تَجَلَّى فِي سَحَابِ الْحَرِيرِ وَصَبَاحًا أَطْلَأَ فَوْقَ غُصْنِ نَضِيرِ
كُلُّ قَلْبٍ تَسْلَى وَالْحَشَا فِي سَعِيرِ
كَيْفَ يُرْجَى قَرَارُ فِي الْحَشَا يُسْتَطَارُ بِهَجْرِ
أَهْ لِلْعِشْقِ أَهَّا وَالْبِعَادِ الطَّوِيلِ مَهْجَةً قَدْ كَوَاهَا بَرْحُ نَارِ الْغَلِيلِ
وَجُفُونُ بَرَاهَا قَيْضُ دَمْعٍ هَمُولِ
أَنْتَ نَعْمَى وَنَارُ مَا عَلَيْكَ اصْطِبَارُ لِعُذْرِي
مَنْ عَذِيرُ فُؤَادِي مِنْ دُمُوعِ جُفُونِي بَرَّحْتُ بِوِدَادِي وَأَشَاعَتْ شُجُونِي

فَظَلِلْتُ أَنْـَادِي - بـَأْسَى وَحَنِينَ- :
لِيْ دُمُوعٌ غِـزَارٌ نَطَقْتُ يَوْمَ سَارُوا بِسْرِي !

[١٨]

الشروح :

- الموشح تام ، فيه ستة أفعال وخمسة أغصان ، والموشح غير شعري ، والخرجة معربة .
(١) ألف (قطفا) في هذه الفقرة للقافية الداخلية ، وموقع (غص) هو الجر بالإضافة .
(٢) في الأساس : خلع فلان عذاره : إذا تشاطر . وفي الصحاح : يقال للمنهمك في الغي : خلع عذاره .

ثم التوشيح . وبه انختم الغرض المطلوب ، وانختم ذلك الأسلوب . ولمتصفحه الفضل في الإغضاء عند القضاء . فقد انتظم بين قريحة متبددة واقتراحات متعددة . وشيبيّة بين الجدّ والهزل مترددة . وما جَنَحَتْ لاستهداف ؛ لكنه حقّ الموافقة والإسعاف .

ومن الله عزّ وجلّ نسألُ الإقالة في الفعل والمقالة ، ونضرع إليه من حصائد ألسنتنا فهو سبحانه المُقلّ المُقيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ^(١) .

انتهى التقييد والحمد لله حمّد الشاكرين ، والصلاة والسلام على سيّد الأولين والآخرين مولانا محمد المصطفى وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وعلى يدي ناظمه عبد الله المستغفره لذنبه : أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة ، لطف الله تعالى به ووفقه . وذلك بمدينة المريّة حاطها الله تعالى ؛ بتاريخ أخريات سنة ثمان وثلاثين وسبعائة .
عرّف الله خيرَه وبركته فيها بمنّه ورحمته ^(١) .

- (١) في نسخة المؤلف : « بلغت القراءة والسماع على منشئه أبقاه الله » في الهامش ، بخط مغاير .
(١) ورد في حاشية نسخة (ط) :

يا قُساة القُلُوبِ رِفْقاً عَلَيْنَا اتَّقُوا اللهَ فِي النُّفُوسِ الرُّقَاقِ
غيره :
قالوا به صُفْرَةٌ شَانَتْ مُحَاسِنَهُ فَقُلْتُ مَا ذَاكَ مِنْ عَيْبٍ بِهِ نَزَلَا
عَيْنَاهُ مَطْلُوبَةٌ فِي ثَأْرٍ مِنْ قَتَلْتُ فَلَيْسَ تَلْقَاهُ إِلَّا خَائِئِماً وَجِلَا
غيره :

أَهْدَتْ لَنَا الْعَنْبَرَ فِي وَسْطِهِ زُرُّ مِنَ الثَّبَرِ دَقِيقِ الْكِامِ (؟)
فَالزَّرَ وَالْعَنْبَرُ مَعْنَاهُمَا زُرُّ عَابِراً مُخْتَفِياً فِي الظَّلَامِ
- وفي آخر (ط) : ... وآله وصحبه وسلّم ، يوم الأحد الخامس والعشرين من ربيع النبوي سنة أربع وتسعين وتسع مئة .

مُستدرك الديوان

[١]

ومن المقطوعات قوله (★) :

- [من الكامل]
- | | | |
|---|---|---|
| ١ | زَارَتْ عَلَى حَذِرٍ مِنَ الرَّقَبَاءِ | وَاللَّيْلُ مُلْتَفٌّ بِفَضْلِ رِداءِ |
| ٢ | تَصِلُ الدُّجَى بِسَوَادِ قَرَعٍ فَاحِمٍ | لِتَزِيدَ ظَلَمَاءَ إِلَى ظَلَمَاءِ |
| ٣ | فَوَشَى بِهَا مِنْ وَجْهِهَا وَخَلِيلِهَا | بَدْرُ الدُّجَى وَكَوَاكِبُ الْجَوَازِ |
| ٤ | أَهْلًا بِزَائِرَةٍ عَلَى خَطَرِ السُّرَى | مَا كُنْتُ أَرْجُوها لِيَوْمِ لِقَاءِ |
| ٥ | أَقْسَمْتُ لَوْلَا عِفَّةٌ عُنْدِيَّةٌ | وَتَقَى عَلَيَّ لَأَنَّهُ رَقِيبٌ رَائِي |
| ٦ | لَنَقَعْتُ غَلَّةَ لَوْعَتِي بِرُضَائِهَا | وَنَضَحْتُ وَرْدَ خُدُودِهَا بِبُكَائِي ! |

[١]

الشروح :

(★) الأبيات في الإحاطة (عنان) ٢٥٧/١ . وطبعة الموسوعات ١٢١/١ - ١٢٢ . والكتيبة
الكامنة : ٢٤٣ - ٢٤٤

- (١) في الإحاطة (عنان) والليل ملتف ، وفي الموسوعات : ملتحف .
(٥) في الموسوعات : وتَخَوَّفِي وشي الرقيب الرائي .
(٦) تقع الماء - ونقع فلان من الماء وبالماء - غَلَّتْهُ : رَوِي .

[٢]

رسالة أخرى (★) من ابن خاتمة إلى لسان الدين (★★) :

وقال لسان الدين : وكتب إلي - يعني ابن خاتمة المذكور - عقب انصرافه من غرناطة في
بعض قدماته عليها مانصه : مما قلته بديهة عند الإشراف على جنابكم السعيد ودخوله مع النفر
الذين اتخفتهم سيادتكم بالإشراف عليه ، والدخول إليه ، وتنعم الأبصار في المحاسن المجموعة لديه ،
وإن كان يوماً قد غابت شمسُه ، ولم يتفق أن كمل أنسه ، وأنشدته حينئذ بعض من حضر ولعلّه لم
يبلغكم ، وإن كان قد بلغكم ففضلكم يحملني في إعادة الحديث :

[من الطويل]

- ١ أقولُ وعَيْنُ الدَّمْعِ نَضْبُ عَيُونِنَا
 - ٢ أهْذِي سَمَاءَ أُمِّ بِنَاءٍ سَمَاءَ بِهِ
 - ٣ تَنَاطَرَتِ الْأَشْكَالُ مِنْهُ تَقَابِلًا
 - ٤ وَقَدْ جَرَّتِ الْأَمْوَاهُ فِيهِ مَجْرَةً
 - ٥ وَأَشْرَفَ مِنْ عَلَيْهِا بِهِوَ تَحَفُّهُ
 - ٦ يُطِلُّ عَلَى مَاءٍ بِهِ الْأَسُّ دَائِرًا
 - ٧ هُنَالِكَ مَا شَاءَ الْعَلَا مِنْ جَلَالَةٍ
- ولَمَّا أَحْضَرَ الطَّعَامَ هُنَالِكَ دُعِيَ شَيْخُنَا الْقَاضِي أَبُو الْبَرَكَاتِ (☆☆☆) فَاعْتَذَرَ أَنَّهُ صَائِمٌ ؛ قَدْ بَيَّتَهُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَحَضَرَنِي أَنْ قُلْتُ :

[من المتقارب]

- ١ دَعَوْنَا الْخَطِيبَ أَبَا الْبَرَكَاتِ
 - ٢ وَقَدْ ضَمَّنَا فِي نَدَاءِهِ جِنَانًا
 - ٣ فَأَعْرَضَ عَنَّا لِعُذْرِ الصَّيَامِ
 - ٤ فَإِنَّ الْجِنَانَ مَحَلُّ الْجَزَاءِ
- وعندما فرغنا من الطعام أنشدت الأبيات شيخنا أبا البركات ، فقال لي : لو أنشدتنيها وأنتم بعد لم تفرغوا منه لأكلت معكم ، برأ بهذه الأبيات . والحوالة في ذلك على الله تعالى ، اهـ .

[٢]

الشروح :

(☆) النص في نفح الطيب ٣٦/٦ - ٣٨ . ونقلناه بلفظه . وانظر الخبر في الكتيبة الكامنة : ٢٤٤ ونيل الابتهاج ٧٢ - ٧٣

(☆☆) لسان الدين بن الخطيب محمد بن عبد الله اللوشي ، ثم الغرناطي ، الكاتب ، ذو الوزارتين (٧١٣ - ٧٣٦) أضخم شخصية أدبية في القرن الثامن في الأندلس ، ومن أخطر الشخصيات

من الوجهة السياسية . شارك في أحداث عصره ، وخاض مع الخاضعين ، ولقي مصرعه نتيجة الاضطرابات التي سادت علاقته ببعض ملوك بني الأحمر (الغني بالله) . جوانب ابن الخطيب كثيرة مختلفة فهو شاعر مبرز ، وكاتب معدود في زمانه ، ومؤلف مقتدر ، وسياسي محنك . وقد صدر من كتبه مجموعة مهمة . وعسى أن تسعف الأيام بكتابته (الإحاطة) نشرأ وتحقيقأ ، فهو من خيرها . له ترجمة في مؤلف خصه به الأستاذ محمد عبد الله عنان (لسان الدين بن الخطيب - ط . الخانجي - القاهرة) . وانظر : نثير الجمان في شعر من جمعني وإياه الزمان لابن الأحمر ، تحقيق د . محمد رضوان الداية : ٢٤٢ - ٢٤٣ . ومقدمة الكتبية الكامنة للدكتور إحسان عباس . وهناك ترجمة مفصلة ، وذكر لكتب لسان الدين في :

Brock. G. 2.260, Brock. S. 2.372

(☆☆☆☆) الشيخ القاضي أبو البركات محمد بن محمد بن إبراهيم ، المشهور بابن الحاج البلفيقي (بفتح الباء ، وتشديد اللام المفتوحة) المتوفى سنة ٧٧٣ أو ٧٧١ . كان شخصية مشهورة ، وتتلذذ عليه نفر من أعلام العصر كلسان الدين ، وابن خاتمة وغيرها . وتولى القضاء سنة ٧١٨ بغرناطة ، وتولى بعدها مناصب قضائية هامة منها منصب قاضي الجماعة ، وسفر للغني بالله بن الأحمر لسلطان المغرب أبي سالم إبراهيم . وقال ابن الأحمر إنه ينتسب إلى الصحابي الجليل العباس بن مرداس السلمي ، وذكر نسبه . ترجم له لسان الدين في الإحاطة ١٠١/٢ ، والقاضي النباهي في المراقبة العليا : ١٦٤ ، ولسان الدين في الكتبية الكامنة : ١٢٧ . وابن الأحمر في نثير الجمان ب/٤٤ .

[٣]

و [مما ورد في شعرهم في التورية بأسماء الكتب] قول ابن خاتمة (*) :

[من الكامل]

- | | | | | |
|---|----------------------------|-------------------------|-------------------------|-----------------------------|
| ١ | وَمَعْطَرِ الْأَنْفِ | سَاسَ يَبْسِمُ دَائِبًا | عَنْ دُرِّ ثَغْرِ زَانٍ | تَرْتِيبُ |
| ٢ | مَنْ لَمْ يَشَاهِدْ مِنْهُ | عَقْدَ جَوَاهِرٍ | لَمْ يَذْرِ مَا | التَّنْقِيحُ وَالتَّهْذِيبُ |

[٣]

الشروح :

- (٥٢) أزهار الرياض ٢٠٢/٣ ، ونفح الطيب ٥٣٧/٥
(٢) الثمرة في : « التنقيح ، والتهديب » من أسماء الكتب .

[٤]

ومن شعره في الحكيم قوله (٥٢) :

[من الطويل]

- ١ هو الدهر لا يبقى على عائد به فَمَنْ شَاءَ عِشَاءَ يَصْطَبِرْ لِنَوَائِبِهِ
٢ فَمَنْ لَمْ يَصَبْ فِي نَفْسِهِ فُصَابَهُ لِفَوْتِ أَمَانِيهِ وَفَقْدِ حَبَائِبِهِ

[٤]

الشروح :

- (٥٢) البيتان في الإحاطة ٢٥٨/١
(٢) كذا ولعله : بفوت أمانيه .

[٥]

ومن قوله العذب (٥٢) :

[من الكامل]

فِيكَ الْحَدِيثُ وَمَوْرِدُ الْإِنْشَادِ وَلَكَ الْخِطَابُ إِذَا أَرَادَ الشَّادِي

ومنها :

- ١ وادِ دُمُوعُ الْعَاشِقِينَ تُمَدُّهُ مَا لِلْقَتِيلِ بِشَطِّهِ مِنْ فَادٍ
٢ لِلطَّيْرِ فِيهِ مَعَ الْأَنِينِ تَرَاوَجُ يُنْبِيكَ كَيْفَ تَفَتَّتْ الْأَكْبَادِ
٣ يَا سَالِكًا بِالْحُسْنِ مَسْلُوكَ آمِنٍ طَرَحَ اللَّحَاطِ خِلَالَ ذَاكَ الْوَادِي
٤ إِيَّاكَ وَاحْذَرْ مِنْ عُيُونِ ظِبَائِهِ فَلَقَدْ سَطَا عَدُوًّا عَلَى الْأَسَادِ
٥ إِنَّ الْعُيُونَ بِهِ قَوَاضٍ وَالطُّلَى يَبْضُ مِرَاضٌ وَالظُّبَاءُ عَوَادِي !

- ٦ ومن النَّوَاطِرِ أَسْعَدَ لَكِنَّهَا
٧ إِنِّي أَمْرٌ مَا زِلْتُ أَخْذَرُ بِأَسْهَا
٨ يَا سَرْحَةَ الْوَادِي وَظِلُّكَ وَارِفَ
يَقْدُودَهَا مَحْرُوسَةً بِصَعَادِ
لَكِنْ عَلَى حَذْرِي سُلِبْتُ فَوَادِي
مَنْ لِي بِجَعْلِ أَفْوَذِيكَ وَسَادِي؟!

[٥]

الشروح :

- (٥٦) القصيدة في نشر فرائد الجمان لابن الأحمر من ترجمة ابن خاتمة : ٣٣١ - ٣٣٢
(٨) كذا في النثر . وللفؤد معانٍ : معظم شعر الرأس مما يلي الأذن ، وناحية الرأس ؛
والناحية .

[٦]

ومن نظم ابن خاتمة المذكور في قرآن (*) :

- ١ رَبِّ قَرَّانٍ جَلَا صَفَحَتَهُ
٢ يُضْرَمُ النَّارَ بِأَحْشَاءِ الْوَرَى
٣ فَكَأَنَّ الْوَجْهَ مِنْهُ خَبِزَةٌ
لَهَبُ الْفَرَنِ جَلَاءَ الْعَسَجَدِ
مِثْلًا يُضْرَمُ فِي الْمُسْتَوْقَدِ
فَوْقَهَا الشُّعْرُ كَقَدْرِ أَسْوَدِ!

[٦]

التخريج :

- (٥٦) النص في نفح الطيب ٢٨/٦

[٧]

وقال الشريف الغرناطي (*) :

ومن أحسن ما وقع فيه التضمين ما أنشدناه صاحبنا الفقيه الأديب البارع أبو جعفر بن خاتمة
- أعزه الله - وقد بعث إليه الفقيه القاضي أبو البركات ابن الحاج - أبقاه الله - بطبق فيه أنوار منقاة
مُنظَّمة تنظيماً عجيباً ، فكتب إليه ما اخترت منه :

[من الطويل]

- ١ بَدَتْ فَجَلًا إِظْلَامٌ تَبَّرُ نُورَهَا فلولَا الشَّدَا قُلْنَا هِيَ الْأَنْجَمُ الزُّهْرُ
 - ٢ فَكَيْهْنَا بِهَا حَتَّى الصَّبَاحِ تَنْعَمًا يُنَافِحُنَا مِنِّي لَكَ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ
 - ٣ أَقُولُ لِنَدْمَانِي وَقَدْ ظَلَّ مُعْجَبًا بِحَسَنِ الَّذِي أَبَدَى بِهَا النِّظْمُ وَالنَّثْرُ
 - ٤ وَهَلْ هُوَ إِلَّا الرُّوضُ حَيَّى بِزَهْرِهِ «وَسَاقُ الثُّرَيَّا فِي مَلَأَتِهِ الْفَجْرُ» ؟!
- صَمْنُ بَيْتِ ذِي الرَّمَّةِ :

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَوَى الْعُودِ فِي الثَّرَى وَسَاقُ الثُّرَيَّا فِي مَلَأَتِهِ الْفَجْرُ

[٧]

الشروح :

(☆) فِي رَفْعِ الْحَجَبِ الْمَسْتُورَةِ عَنْ مُحَاسَنِ الْمَقْصُورَةِ ١٠٠/١

(☆☆) فِي دِيْوَانِهِ : ٢٩١ وَيُرِيدُ بِالْمَلَاءَةِ بِيَاضَ الصَّبْحِ ، شَبْهَهُ بِالْمَلَاءَةِ وَهِيَ الثَّوْبُ الْأَبْيَضُ ، يَعْنِي :
سَاقُ بِيَاضِ الصَّبْحِ الثَّرِيَا . وَالْبَيْتُ ثَلَاثُ أَبْيَاتٍ قَصِيدَةٌ لَهُ ، وَقَبْلَهُ :

أَلَا يَا أَسْمِي يَا دَارِمِي عَلَى الْبَلَى وَلَا زَالَ مُهْلًا بِجِرْعَائِكَ الْقَطْرُ
وَأِنْ لَمْ تَكُونِي غَيْرَ شَامٍ بِقَفْرَةٍ تَجَرُّ بِهَا الْأَذْيَالَ صِفِيَّةٌ كُذِّرَ

[٨]

وَقَالَ أَيْضًا (☆) :

- ١ حَازَ الْجَمَالَ بِصُورَةٍ قَمَرِيَّةٍ تَجَلَّوْا عَلَيْكَ «مَشَارِقَ الْأَنْوَارِ»
- ٢ وَحَوَى الْكَمَالَ بِصُورَةٍ عُمَرِيَّةٍ تَتَلَّوْا عَلَيْكَ «مَنَاقِبَ الْأَبْرَارِ»

[٨]

الشروح :

(☆) نَفْحُ الطَّيِّبِ ٥٣٧/٥

(١) يُوْرِي بِكُتَاتِي : مَشَارِقُ الْأَنْوَارِ ، وَمَنَاقِبُ الْأَبْرَارِ .

وكتب إليه (*) صاحبنا الفقيه العالم الكاتب أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن جري ،
الكلبي ، الأندلسي ، قصيدة حذف منها الراء المهملة للشعر يغتري لسانه ؛ يجعل مكان الراء غيناً
معجمة ؛ وهي :

[من الكامل]

- | | | |
|----|---|---|
| ١ | وَعَدَ الْوَفَاءَ وَلَيْتَهُ مَا نَجَزَا | طَيْفٌ أَلَمْ بِمُقَلَّتِي مُسْتَوْفِرَا |
| ٢ | مَاذَا يُفِيدُ الطَّيْفُ إِذْ يَنْتَابِنِي | وَالنَّوْمُ قَدْ أَغْيَا الْعَيُونَ وَأَعْجَزَا |
| ٣ | يَا قَاتِلَ اللَّهِ الزَّمَانَ فَإِنَّهُ | مَا زَالَ فِي عُذْوَانِهِ مُتَجَوِّزَا |
| ٤ | وَإِذَا تَغَافَلَ عَنْكَ حِينًا خَطْبُهُ | فَمَكِيدَةٌ حَتَّى يُصَادِفَ مِنْهَزَا |
| ٥ | لِلَّهِ أَيُّسَامٌ خَوَالٍ لَمْ أَكُنْ | فِيهِنَّ إِلَّا لِلَّهِوَى مُتَحَيِّزَا |
| ٦ | أَتَبَعَ اللَّذَاتِ حَيْثُ وَجَدَتْهَا | وَأَمِيلُ نَحْوِ الْأُنْسِ حَيْثُ تَحَوِّزَا |
| ٧ | وَأَظِلُّ حَيْثُ اللَّهُوُ يَبْسُطُ ظِلَّهُ | حَتَّى عَزَانِي لِلْبَطَالَةِ مَنْ عَزَا |
| ٨ | وَالْعَيْشُ غَضٌّ وَالْحَبِيبُ مُسَاعِدٌ | بِالْوَصْلِ عَفْوًا قَبْلَ أَنْ يُسْتَنْجَزَا |
| ٩ | إِنَّ الشَّبَابَ إِذَا سَمُوتَ لِلَّذَةِ | وَجَعَلَتْهُ مِفْتَاحَهَا لَنْ تَعْجَزَا |
| ١٠ | وَمُعَلِّلِ قَلْبِي بِخَلْبٍ لَفْظِيهِ | وَعَدَ الْجَمِيلَ وَوَعْدُهُ لَنْ يُنْجَزَا ! |
| ١١ | قَدْ كُنْتُ أَهْمَلُ صَدَّةً وَجَفَاءَهُ | حَتَّى أُعِينَا بِالْبِعَادِ وَعُزْرَا |
| ١٢ | هَذَا إِنِّي مِنْ بَعْدِهِ لَا مَيِّتٌ | أُبْكِي وَلَا حَيٌّ فَهَلَّا أَجْهَزَا ؟ ! |
| ١٣ | يَا عَيْشَةَ الْوَتِ بِجِدَّتِهَا النَّوَى | كَانَتْ كَمَا أَنْشَأْتَ لَفْظًا مُوَجَّزَا |
| ١٤ | وَمَحَا مُحَاسِنَهَا الْبِعَادُ فَقَدْ سَلَا | عَنْهَا فُؤَادِي بِالتَّعَلُّلِ وَاجْتَزَا |
| ١٥ | خَدَعَ الزَّمَانُ بِهَا وَكُنْتُ أَظُنُّنِي | خَادَعْتُهُ فَأَبَانَ عَمَّا أَلْغَزَا |
| ١٦ | مَنْ مِيلَغٌ عَنِّي «ابْنَ خَاتَمَةَ» الَّذِي | خَتِمْتُ بِهِ الْبُلْغَاءُ قَدْ أَفْجَزَا |
| ١٧ | إِنَّ الْبَلَاغَةَ قَدْ مَلَكَتْ زِمَامَهَا | وَقَتَحَتْ مُقْفَلَهَا الَّذِي قَدْ أَعْوَزَا |
| ١٨ | جَلَّيْتُ فِي مِيدَانِهَا وَفَضَحْتُ مَنْ | كَانَ انْتَمَى قِدَمًا إِلَيْهَا وَاعْتَزَى |

- ١٩ وَلَكَ الْبَيَانُ سَحَبَتْ مِنْ أَذْيَالِهِ فِي حَالَتِيهِ مُطْنِباً أَوْ مُوجِزاً
 ٢٠ فَإِذَا الْقَوَافِي طَائِعَاتٌ فَهَوَ لَا يَخْشَى عَقَائِلَ نَظْمِهَا أَنْ تَنْشُرَا
 ٢١ خُذْهَا أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ ذِي خَلَّةٍ لَكَ قَدْ عَدَا بِخُلُوصِهَا مَتَمِّيزَا
 ٢٢ حَسَنَاءَ كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى خَلَصَتْ لَتَخَطَّ فِي صُحُفِ الْقُلُوبِ وَتَكُنْزَا
 ٢٣ حَاشَيْتُ أُخْتَ الرَّاى مِنْهَا عَامِداً حَتَّى لَكِدْتُ أَخَالَ ذَلِكَ مُعْزَا
 ٢٤ وَافْتَلَكْ مُبْلِغَةً سَلَامِي بَعْدَمَا طَالَ الْبَعَادُ فَأُولِهَا حُسْنُ الْجَزَا!

[٩]

الشروح :

(٥٦) القصيدة في (نثير الجمال في شعر من نظمني وإياه الزمان) للأمير أبي الوليد إسماعيل بن يوسف بن الأحمر : ١٧٩

- محمد بن محمد بن أحمد بن جُزَي أبو عبد الله ، أحد أفراد أسرة مشهورة بالعلم والفضل والرياسة في دولة غرناطة . كان كاتباً بارعاً وشاعراً مبدعاً . كتب لأبي الحجاج يوسف بن الأحمر أمير غرناطة ، ثم أساء إليه ظلماً فغادر إلى بني مرين سلاطين المغرب ، فنال حظوة ورفعة . وهو الذي كتب رحلة ابن بطوطة بقله ، وكانت وفاته سنة ٧٥٨ هـ ، وولادته في ٧٢١ . ترجم له لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة ١٨٦/٢ ، وفي الكتيبة الكامنة ٢٢٣ ، وابن الأحمر في نثير الجمال : ٢٨٣

(٦) تحوُّز : كتحيز، تنحى ، يريد : أميل نحو الأُنس حيث مال .

(٧) عزاه إلى شيء : نسبته .

(١٠) البرقُ الخُلْب : المُطْمَع المُخْلِف .

[٩٠]

فجَاوَبَهُ بِقَصِيدَةٍ هَجَر فِيهَا الرِّاءَ الْمُهْمَلَةَ ، وَبِرِسَالَةٍ مِثْلَهَا زَائِيَّةٌ مُعْجَمَةٌ (٥٦) ؛ [القصيدة] :

[من الكامل]

١ مَزَجَ الْبَلَاغَةَ بِالْجِزَالَةِ مُوجِزَا وَأَتَى بِهِ فِي الْحُسْنِ بِدْعاً مُعْجَزَا

- ٢ يُسَابُ بَيْنَ حَلَاوَةٍ وَطَلَاوَةٍ
٣ وَافَى يُجَادِبُنِي الْحَدِيثَ وَإِنَّمَا
٤ هَلَا وَمَلْعَبُ خَيْلِي الْأَدَابُ إِذْ
٥ تَهْفُو بِعِطْفِي نَحْوَهَا خَلَقَ الصَّبَا
٦ أَمَا وَقَدْ جَذَبْتُ عِنَانَ عِنَايَتِي
٧ هَمِّي تَلْقَى عِلْمِي أَوْ الْقَلْبَاؤُهُ
٨ وَعَقَائِلُ الْأَدَابِ مَالَهُ تُصْطَنَعُ
٩ وَعَزِيْزَةُ الْآيَاتِ أَوْدَعَتْ نَظْمَهَا
١٠ أَوْ وَاصِلُ بْنُ عَطَاءٍ أُعْطِيَ وَصْلَهَا
١١ وَلَأَصْبَحَتْ فِيمَا أَتَاهُ أَسْوَةٌ
١٢ حَيًّا بِهَا [كَلَابِنْ؟] بَلْ أَحْيَا بِهَا
١٣ قَسَمًا بِمَا خَطَّتْ غَوَالِي نِقَاسِهِ
١٤ مَاجِنَةٌ بِالْحَزَنِ دَبَّجَتْ وَشَيْهَا
١٥ قَدْ عَمَّهَا وَجْهُ الزَّمَانِ مَحَاسِنًا
١٦ لِيُغْنَاءَ سَاجِعُهَا أَفْنَانُ مُسَاجِلِ
١٧ سَحَبِ النَّسِيمِ بِهَا فُضُولُ ذُيُولِهِ
١٨ بِأَتَمِّ أَنْفَاسًا وَأَعْذَبِ نَعْمَةٍ
١٩ إِلَيْهِ مُهَيَّجَةُ الْجَوَى لِيُجَوَّحِي
٢٠ بِحَيَاةٍ وَدِّي فِي امْتِدَادِ حَيَاتِهِ
٢١ قَوْلِي وَزِيْدِي وَابْطُطِي لِي حَالَهُ
٢٢ وَصِفِي فِي أَوْصَافِهِ مَا يُجْتَلَى
٢٣ لِمُحَمَّدِ بْنِ جَزِيٍّ آيَةً سُودَدِ
٢٤ نَدَبٌ إِذَا مَا الْمَجْدُ نَيْلٌ بِمُهْنَةٍ
- جمع البديع بها البديع فأوجزا
وافى يجثم بذل نيل مغورا
أسمولها من قبل أن تنتجزا
مئلا لحيز حشنها وتحيزا
أيدي الحقائق فانتبذت تجورا
ما يؤمل نفعه يوم الجزا
بعد التثني أوشكت أن تنشزا
من واضح الآيات ماقد أعجزا
لم يعتزل عن حشنها ولها اعتزى
يعتادها من جد قولا أو هزا
ماضي البديع مسهباً أو موجزا
في وجه صفحتها الذي لا يؤتزا
وكاف مزن لم يبت مستوفزا
تستوقف الأخداق أن تتجوزا
يثني عليها مفصحا أو ملغزا
فتضوعت طيباً ولانت مغمزا
منه لذي شع وأنق حيزا
شوقاً لمن يحلى علاه تميزا
وفاء عهد صنته أن يغمزا
لا توجزي، ما حقه أن يوجزا!
صدعاً بها فبوحيها لا يجتزا
قد ظل في العليا بها متميزا
لم يأل أن يحظى به متعززا

- ٢٥ أضْحَى ذَكَاءَ بَنِي جُزَيٍّ غُدُوَّةً شُهِبَ الْعَلَاءُ بِكُلِّ أَفْقٍ حَيِّزَا
٢٦ وَغَدَا الزَّمَانُ بِهِ اعْتِدَالَ مُحَاسِنٍ وَالْآنَ أَنْ لِيَوْعْدِهِ أَنْ يُنْجَزَا
٢٧ وَإِلَيْكَهَا مِنِّي تَعْلَّةَ مُعْوِزٍ فَلَقَدْ سَمَوْتُ إِلَيْهِ سَهْلًا مُعَوِزَا
٢٨ جَانَبْتُ مَا جَانَبْتَ فِيهِ تَشِيعاً فَمَنْ انْتَبَذْتَ فَنَبَذَهُ عِنْدِي الْجَزَا

[٩ ☆]

الشروح :

- (☆) النص في نثر الجمان لابن الأحمر : ١٨٢
(٢) في الأصل : جميع (تصحيف) .
(١٢) في الأصل كلمة لم تتضح ، ورسمها الظاهر « كلاحى » ؟
(١٣) في الأصل : عَوَالِي (مهملة) وَلَعَلَّهَا : عَوَالِي ج غَالِيَّة : ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ . وَالنَّقْسُ : الْحَبْرُ ؛ وَفِي الْقَامُوسِ : آزَى الشَّيْءَ : حَاذَاهُ وَجَارَاهُ .
(١٤) في الأصل : وَكَفَ (بكاف مشددة) فَهِيَ بَيْنَ وَكَافٍ ، وَوَكَّافٌ ؛ وَالْوَفْزُ : الْعَجَلَةُ .
(١٥) يَرِيدُ : تَجُوزُ بِمَعْنَى تَخْلَفُ . أَيِ مُحَاسِنٍ تَجْتَذِبُ النَّظَرَ اجْتِنَاباً . وَمَعْنَى تَجُوزُ فِي الْقَامُوسِ : احْتَمَلَ وَأَغْمَضَ فِي أَمْرٍ ، وَتَجُوزُ فِي ذَنْبٍ لَمْ يُوَاقِظْ بِهِ . وَحَازَهُ : تَعَدَّاهُ .
(٢٣) انْظُرِ التَّعْرِيفَ بِهِ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ السَّالِفَةِ .
(٢٤) النَّدْبُ : الْخَفِيفُ فِي الْحَاجَةِ ؛ النَّجِيبُ . وَلَمْ أَجِدْ (المهنة) مُسْتَعْمَلَةً بِمَعْنَى الْمَهَانَةِ ؛ أَوْ مَا شَاكَلَ مَعْنَى الشَّاعِرِ فِي الْبَيْتِ .

[١٠]

قال ابن خاتمة (☆) :

- ١ لَوْلَا حَيَائِي مِنْ عِيُونِ النَّرَجِسِ لِلثُّمْتُ خَدَّ الْوَرْدِ بَيْنَ السُّنْدُسِ
٢ وَرَشَفْتُ مِنْ ثَغْرِ الْأَقَاخَةِ رَيْقَهَا وَصَمَّمْتُ أُعْطَافَ الْغُصُونِ الْمَيْسِ
٣ وَهَتَكْتُ أَسْتَارَ الْوَقَارِ وَلَمْ أُبَلِّ لِلْبَاقِلَا تَلْحُظَ بِطَرْفِ أَشُّوسِ
٤ مَالِي وَصَهْبَاءِ الدَّنَانِ مُطَارِحاً سَجَعَ الْقِيَانِ مُكَاشِفاً وَجْهَ الْمُسِي

- ٥ شَتَّانَ بَيْنَ مُظَاهِرٍ وَمُخَاتَلٍ
٦ وَمُجْمَعٍ بِالْعَذْلِ بَاكَرْنِي بِهِ
٧ نَزَهْتُ سَمْعِي عَنْ سَفَاهَةِ نَطْقِهِ
٨ سَفَهْتُ فِي الْعُشَاقِ يَوْمًا إِنْ أَكُنْ
٩ أَغْدُولَ وَجُدِي [لَيْسَ عُشْكَ فَاذْرُجِي]
١٠ هَلْ تُبْصِرُ الْأَشْجَارَ وَالْأَطْيَارَ وَالـ
١١ تَاللَّهِ وَهُوَ أَلْيَتِي وَكَفَى بِهِ
١٢ مَا ذَاكَ مِنْ سُكْرِ وَلَا لِحَلَاغَةٍ
١٣ شُكْرًا لِمَنْ بَرَأَ الْوُجُودَ بِجُودِهِ
١٤ رَفَعَ السَّمَاءَ سَقْفًا يَرُوقُ رَوَاؤُهُ
١٥ وَوَشَّى بِأَنْوَاعِ الْحَاسِنِ هَذِهِ
١٦ وَأَذَرَ أَخْلَافَ الْعَطَاءِ تَطْوُلًا
١٧ حَتَّى إِذَا انْتَضَمَ الْوُجُودُ بِنَسْبَةٍ
١٨ وَاسْتَكْمَلَتْ كُلُّ النُّفُوسِ كَالْهَاسِ
١٩ بِأَجَلٍ هَادٍ لِلْخَلَائِقِ مُرْشِدٍ
٢٠ بِالْمُصْطَفَى الْمُهْدِي إِلَيْنَا رَحْمَةً
٢١ نَعَمْ يَضِيقُ الْوَصْفُ عَنْ إِحْصَائِهَا
٢٢ إِلَيْهِ فَحَدَّثَنِي حَدِيثَ هَوَاهُمْ
٢٣ إِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْسَنْتُ نَعْتَ جَمَالِهِمْ
٢٤ مَا إِنْ دَعَاكَ يَبْلُبِلُ إِلَّا لِيَا
٢٥ سُبْحَانَ مَنْ صَدَعَ الْجَمِيعَ بِحَمْدِهِ
٢٦ وَامْتَدَّتِ الْأَطْلَالُ سَاجِدَةً لَهُ
٢٧ فَإِذَا تَرَاجَعَتِ الطِّيُورُ وَزَايَلَتْ
- ثُوبَ الْحَجَا وَمَطَهَّرَ وَمَدَنَسِ
وَالطَّيْرَ أَفْصَحُ مُسْعِدٍ بَتَانَسِ
وَأَعَزَّتْهُ صَوْتًا رَخِيمَ الْمَلَمَسِ
ذَاكَ الَّذِي يَدْعُ الْفَصِيحَ لِأُخْرَسِ
وَنَصِيحَ رُشْدِي بَانَ نَصْحَكَ فَاجْلِسِ
أَزْهَارَ تِلْكَ الْخَافِضَاتِ الْأَرْوَسِ
قَسَمًا يَفْقَدُنِي بَرُّهُ بِالْأَنْفَسِ
لَكِنْ سَجُودُ مُسَبِّحٍ وَمَقْدَسِ
فَتَنِي إِلَيْهِ الْكُلُّ وَجْهَ الْمُفْلَسِ
وَدَحَا بَسِيطَ الْأَرْضِ أَوْثَرَ مَجْلِسِ
وَأَنَارَ هَذَا بِالْجَوَارِي الْكُنَّسِ
وَأَنَالَ فَضْلًا مَنِ يُطِيعُ وَمَنْ يُسِي
وَكَسَاهُ ثُوبِي نُورِهِ وَالْحِنْدِسِ
شَفَعَ الْعَطَايَا بِالْعَطَاءِ الْأَنْفَسِ
وَأَتَمَّ نُورِ الْخَلَائِقِ مُقْبِسِ
مَرَمَى الرَّجَاءِ وَمُسْكَاةَ الْمُتَيْسِ
فَلَّ الْخَطِيبُ بِهَا لِسَانَ الْأَوْجَسِ
مَا أَبْعَدَ السُّلُوانَ عَنْ قَلْبِ الْأَسِي
فَلَقَدْ سَهَا عَنِّي الْعَذُولُ وَقَدْ نَسِي
قَدْ هِجَّتْ مِنْ بَلْبَالِ هَذَا الْأَنْفَسِ
وَبَشُكْرِهِ مِنْ نَاطِقِي أَوْ أُخْرَسِ
بِجِبَالِهَا مِنْ قَائِمٍ أَوْ أَقْعَسِ
أَغْصَانُهَا بَانَ الْمُطِيعُ مِنَ الْمُسِي

- ٢٨ فيقولُ ذا: سَكِرْتُ لِنَغْمَةٍ مُنْشِدٍ وَيَقُولُ ذا: سَجَدْتُ لِذِكْرِ مُقَدَّسٍ
٢٩ كُلُّ يَفْوَةٍ بِذَوْقِهِ وَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى نَظْرِ اللَّيِّبِ الْأَكْيَسِ

[١٠]

الشروح :

- (٥٦) النص في الإحاطة (ط محمد عبد الله عنان) ٢٥٥/١ و (ط الموسوعات ١٢٠/١ - ١٢١) وفي
كلتا الطبعتين تصحيقات وتحريفات ، وخلاف بين النسختين . وقد رأيت أن أجعل النص
عندي (نصاً مختاراً) من كليهما ، مع التنبيه على ما أضع في كل حال . والمعول فيما يرد من
النَّصين على الناشرين ، ولم أستطع العودة إلى نسخة مخطوطة من الإحاطة للتحقيق .
(٣) لم أبل : يريد لم أبال . وكلمة (تلحظ) كذا في النسختين .
(٩) هذا من أمثال العرب . وانظر فصل المقال للبكري : ٣١٩
(١٤) دحا الأرض : بسطها . وفي البيت إشارات واضحة إلى الآيتين الكريميتين : ﴿الله الذي رَفَعَ
السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ سورة الرعد ٢/١٣ و ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ سورة
النازعات ٣٠/٧٩
(١٥) إشارة إلى الآية الكريمة ﴿الْجَوَارِي الْكُنُسِ﴾ سورة التكويد ١٦/٨١
(١٦) أخلاف ج خلف ، وهو للناقة كالضرع للشاة .
(١٧) الحنّس : الظلمة .
(٢١) الأوجس : الدهر .
(٢٢) أسي الرجل فهو أس : حزين .

[١١]

وارتجل (*) أبو جعفر ابن خاتمة رحمه الله تعالى لما بات في قرية بَيْش :

[من الكامل]

- ١ اللَّهُ مَنَزَلْنَا بِقَرْيَةِ بَيْشٍ كَادَ الْهَوَى فِيهَا ادِّكَاراً بِي يَشِي
٢ رُحْنَا إِلَيْهَا وَالْبِطَاحُ كَانَهَا صَحْفٌ مُذَهَّبَةٌ بِإِثْرِ الْعَشِي

فأجازه الوزير ابن جزي بقوله : [وورى بالكتب]

- ١ في فتية هزت حميا الأنس من أعطافهم فالكل منها مُنتشي
- ٢ يأتي علاهم بالصحيح، ولفظهم بالمنتقى، وجمالهم بالمدهش!

[١١]

التخريج :

(☆) النص في نفح الطيب ٣٠٢/٤

[١٢]

ومن المقطوعات قوله (☆) :

[من البسيط]

- ١ خط السنا ذهباً في اللازوردي فالأفق مائين مرقوم وموشي
- ٢ كأننا الشهب والإصباح ينهبها دراهم سقطت من كف زنجي!

[١٢]

التخريج :

(☆) البستان في الإحاطة (عنان) ٢٥٨/١ . وطبعة (إحياء التراث) ١٢٢/١ . والكتيبة الكامنة : ٢٤٤

[١٣]

وقال ابن خاتمة (☆) :

[من الخفيف]

- ١ أرسلت ليل شعرها من عقص عن محيا رمى البودور بنقص
- ٢ فأرثنا الصباح في جنح ليل يتهادى مائين غصن ودعص
- ٣ وتصدت برامحات نهود أشرعت للأنام من تحت قمص
- ٤ فتولت جيوش صبري انهزاماً وبودّي ذاك اللقاء وحرصي
- ٥ ليس كل الذي يفر بناج رب طعن فيه حياة لشخص

- ٦ كَيْفَ لِي بِالسُّلُوءِ عَنْهَا وَقَلْبِي قَدْ هَوَى حِلْمَهُ بِمَهْوَى لِحُرْصِ
٧ مَاتَعَاطَيْتُ ظَاهِرَ الصَّبْرِ إِلَّا رَدَّنِي جِيدَهَا بِأَوْضَحِ نَصٍّ!

[١٣]

الشروح :

- (٥٥) النص في الإحاطة (عنان) ٢٥٨/١ . وطبعة الموسوعات ١٢٢/١
(٢) الدعص : قطعة من الرمل مستديرة ، أو الكئيب منه المجتمع أو الصغير ، وبه تشبه الأوراك .
(٦) في (ط عنان) : لخص ، (بخاء وواو) وفي (الموسوعات) : وحوص ، بخاء مهملة وواو . ولعلها كما رسمتها لخرص ، وهي القناة والسنان ، وهذا يتلاءم مع سياق النص ، واحتمال الرسم .
(٧) نص الحديث (والكلام) رفعه وأسنده . ونصت الطبية جيدها : رفعته .
- وفي البيت تورية .

[١٤]

رسالة من ابن خاتمة إلى لسان الدين (٥) :

إلى أن قال : « وبما خاطبني به بعد إمام الركاب السلطاني بيليه وأنا في صحبته ، ولقائه إيائي بما يلقي به مثله من تأنيس وبر ، وتودد وتردد :

[من الكامل]

- ١ يَا مَنْ حَصَلَتْ عَلَى الْكَالِ بِمَا رَأَتْ
٢ قَمَرٌ يَرُوقُ فِي عِطَافِي بُرْدِهِ
٣ أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ تَحَامُلًا
٤ هَجَمَ الْبَعَادُ عَلَيْهِ ضَنًّا بِاللِّقَا
٥ فَلَوْ أَنِّي ذُو مَذْهَبٍ لَشَفَاعَةٍ
عَيْنَايَ مِنْهُ مِنَ الْجَبَالِ الرَّائِعِ
مَا شِئْتُ مِنْ كَرَمٍ وَمَجْدٍ بَارِعِ
فِي فَضْلِ شَمْلٍ لِي بِقُرْبِكَ جَامِعِ
حَتَّى تَقْلُصَ مِثْلَ بَرْقٍ لَامِعِ
نَادَيْتُهُ : يَا مَالِكِي يَا شَافِعِي !

شكواي إلى سيدي ومَعْظَمي - أَقَرَّ اللهُ تعالى بَسْنائِهِ أَعينَ المجد ، وأدَرَّ بَسْنائِهِ ألسنَ الحمد -
شكوى ظمآن صَدَّ عن القراح العذب لأول وروده ، والهيان رَدَّ عن استرواح القرب لمعضل
صدوده ... » .

[١٤]

الشروح :

(☆) النص من نفح الطيب ٢٤/٦ - ٢٥

(٥) وفيه تورية ظاهرة .

[١٥]

[من وصف لسان الدين لابن خاتمة وحديثه عنه] :

[و] كان مُجَلِّيًا ، وأنشد في حَلبة الشعراء قصيدة أولها (☆) :

[من الكامل]

أَجْنَانُ خُلِدِ زُحْرَفَتِ أُمَ مَصْنَعُ وَالْعَيْدُ عَاوَدُ أُمَ صَنِيعُ يُصْنَعُ ؟

[١٥]

التخريج :

(☆) البيت في الإحاطة (عنان) ٢٥٢/١ . وطبعة الموسوعات ١١٨/١

[١٦]

[من البسيط]

ومن غراميات ابن خاتمة قوله (☆) :

- | | | |
|---|--|-----------------------------|
| ١ | وَقَفْتُ وَالْبَيْنُ قَدْ زَمْتُ رَكَائِبَهُ | وللنفوس مع الأنفاس تقطيع |
| ٢ | وَقَدْ تَمَائِلَ نَحْوِي لِلْوَدَاعِ وَهَلْ | لراحل القلب صدر الركب تؤديع |
| ٣ | أُضْمُ مِنْهُ كَمَا أَهْوَى لِغَيْرِ نَوَى | ريحانة في شذاها الطيب مجموع |
| ٤ | تَهْفُو فَأَذْعَرُ خَوْفًا مِنْ تَقْصِفِهَا | إن الشفيق بسوء الظن مولوع |
| ٥ | هَلْ عِنْدَ مَنْ قَدْ دَعَا بِالْبَيْنِ مَغْلَبَةً | أن الردى منه مرئي ومسموع |

- ٦ أَشْيَعُ الْقَلْبَ مِنْ رَغَمٍ عَلَيَّ وَمَا
 ٧ أُرِي وَشَاقِي أَنِّي لَسْتُ مُكْتَرِثًا
 ٨ الْوَجْدَ طَبْعِي ، وَسَلْوَاني مُصَانَعَةً
 ٩ «إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِ
 بَقَاءُ جِسْمٍ لَهُ لِلْقَلْبِ تَشْيِيعُ
 لَهَا جَرَى وَصَمِيمُ الْقَلْبِ مَصْدُوعُ
 هَيْهَاتَ يُشْكَلُ مَطْبُوعٌ وَمَصْنُوعُ
 تَبَيَّنَ النَّاسُ أَنَّ الثَّوبَ مَرْقُوعُ»

[١٦]

الشروح :

- (٥٢) النص في الإحاطة (عنان) ٢٥٤/١ - ٢٥٥ . وطبعة الموسوعات ١١٩/١ - ٢٠ . والكتيبة
 الكامنة : ٢٤١ - ٢٤٢
 (٤) أولع بالشيء ، فهو مولع به .
 (٨) أشكل الأمر : التبس .

[١٧]

وقال ابن خاتمة (٥٢) :

[من الخفيف]

- ١ أَنَا بَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَقَفْتُ
 ٢ حَلَّ بِي مِنْ هَوَاكَ مَا لَيْسَ يُنْبِي
 ٣ عَجَبًا لَا نَعِطُافٍ صَدَغَيْكَ وَالْمَعْطَفِ وَالْجَيْدِ ثُمَّ مَا مِنْكَ عَطْفُ !
 ٤ ضَاقَ صَدْرِي بِضَيْقِ حِجْلِكَ وَاسْتَوْ
 ٥ كَيْفَ يُرْجَى فِكَالُ قَلْبٍ مُعْنَى
 نَفْسٍ خَافَتْ وَدَمَعٌ وَوَكْفُ
 عَنْهُ نَعْتُ وَلَا يُعْبَرُ وَصَفُ
 قَفَّ طَرْفِي حَيْرَانَ ذَاكَ الْوَقْفُ
 فِي غَرَامٍ قَيْدَاهُ قِرْطٌ وَشَنْفُ

[١٧]

الشروح :

- (٥٢) الأبيات في الإحاطة (عنان) : ٢٥٨ ، وطبعة الموسوعات ١٢٢/١
 (٤) الحِجْلُ (بالكسر) : الخلل .
 (٥) الشَّنْفُ : معلق في أعلى الأذن ، وأما معلق في أسفلها فـقِرْطُ .

[و] من غرامياته قوله (٥) :

[من الكامل]

- | | | |
|----|--|--|
| ١ | مَنْ لَمْ يَشَاهِدْ مَوْقِفًا لِفِرَاقِ | لَمْ يَدْرِ كَيْفَ تَوَلَّاهُ الْعُشَاقِ |
| ٢ | إِنْ كُنْتَ لَمْ تَرَهُ فَسَائِلُ مَنْ رَأَى | يُخْبِرُكَ عَنْ وَلَهِي وَهَوْلِ سِيَاقِي |
| ٣ | مِنْ حَرِّ أَنْفَاسٍ، وَخَفَقِ جَوَانِحِ | وَصُدُوعِ أَكْبَادٍ وَفَيْضِ مَاقِ |
| ٤ | ذَهَبِ الْفُؤَادِ فَلَا لِسَانَ نَاطِقِ | عِنْدَ الْوَدَاعِ وَلَا يَدَ مِتْرَاقِ |
| ٥ | وَلَقَدْ أَشِيرُ لِمَنْ تَكَلَّفَ رِخْلَةً | أَنْ عَجَّ عَلَيَّ وَلَوْ بِقَدْرِ فُوقِ |
| ٦ | عَلَيَّ أَرَا جُعُ مِنْ ذِمَائِي حِشَاشَةً | أَشْكُو بِهَا بَعْضَ الَّذِي أَنَا لَاقِ ! |
| ٧ | فَمَضَى وَلَمْ تَعْطِفْهُ نَحْوِي ذِمَّةً | هَيْهَاتَ ! لَا يَثْنِي عَلَى مُشْتِاقِ |
| ٨ | يَا صَاحِبِي وَقَدْ مَضَى حُكْمُ الْهَوَى | رَوْحًا عَلَيَّ بِشِمَةِ الْإِشْفَاقِ |
| ٩ | وَاسْتَقْبَلَاهَا نَسْمَةً مِنْ أَرْضِكُمْ | فَلَعَلَّ نَفَحَتَهَا تَحُلُّ وَثَاقِي |
| ١٠ | إِنِّي لَيْشْفِينِي النَّسِيمُ إِذَا سَرَى | مَتَضَوِّعًا مِنْ تِلْكَمُ الْآفَاقِ |
| ١١ | مَنْ مَبْلُغُ بِالْجَزَعِ أَهْلَ مَوَدَّتِي | أَنِّي عَلَى حُكْمِ الصَّبَابَةِ بَاقِ ؟ |
| ١٢ | وَلَنْ تَحُولَ عَهْدُ حُبِّهِمْ نَوَى | مَا خَلْتُ عَنْ عَهْدِي وَعَنْ مِيثَاقِي |
| ١٣ | أَنْفَتُ خَلَاتِقِي الْكِرَامَ لِحَلَّتِي | نَسَبًا إِلَى الْإِخْلَالِ وَالْإِخْلَاقِ |
| ١٤ | قَسَمًا بِهِ مَا اسْتَغْرِقْتَنِي فِكْرَةً | إِلَّا وَفِكْرِي فِيهِ وَاسْتَغْرَاقِي |
| ١٥ | لِي أَنَّهُ عِنْدَ الْعِشِيِّ لَعَلَّةُ | يُصْغِي لَهَا، وَكَذَا مَعَ الْإِشْرَاقِ |
| ١٦ | أُبْكِي إِذَا هَبَّ النَّسِيمُ فَإِنْ تَجِدُ | بَلَاءً بِهِ، فَبِدَمْعِي الْمُهْرَاقِ |
| ١٧ | أُومِي بِتَسْلِيمٍ إِلَيْهِ مَعَ الصَّبَا | فَالذِّكْرُ كُتْبِي، وَالرِّفَاقُ رِفَاقِي |
| ١٨ | مَنْ لِي عَلَى شَحْطِ الْمَزَارِ بِنَازِحِ | أَدْنَى لِقَلْبِي مِنْ جَوَى أَشْوَاقِي |
| ١٩ | إِنْ غَابَ عَنْ عَيْنِي فَمُثْوَاهُ الْحَشَا | وَسِرَاهُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَالْأَخْـدَاقِ |
| ٢٠ | جَارَتْ عَلَيَّ يَدُ النَّوَى بِفِرَاقِهِ | أَهْلًا لَهَا جَنَّتِ النَّوَى بِفِرَاقِ |
| ٢١ | أَحْبَابَ قَلْبِي هَلْ لِمَاضِي عَيْشِكُمْ | رَدٌّ فَيَنْسَخُ بَعْدَكُمْ بَتْلَاقِ ؟ ! |

- ٢٢ أَمْ هَلْ لَأَثْوَابِ التَّجَلُّدِ رَاقِعٌ إِذْ لَيْسَ مِنْ دَاءِ الْحَبْسَةِ رَاقٍ
٢٣ مَا غَابَ كَوَكَبُ حُسَيْنِكُمْ عَنْ نَاضِرِي إِلَّا وَأَمْطَرَتِ الدَّمَا أَمَا قِي
٢٤ إِلَيْهِ أَخِيٍّ أَدْرُ عَلَيَّ حَدِيثَهُمْ كَأْسًا ذَكَتْ عَرْفًا وَطِيبَ مَذَاقٍ
٢٥ وَإِذَا جَنَحْتَ لِمَاءٍ أَوْ طَرَبَ فَمَنْ دَمَعِي الِهْمُوعِ وَقَلْبِي الْخَفَّاقِ
٢٦ ذِكْرَاهُ رَاحِي، وَالصَّبَابَةُ حَضْرَتِي وَالدَّمْعُ سَاقِيَّتِي، وَأَنْتَ السَّاقِي
٢٧ فَلَيْسَلْ عَنِّي مَنْ لِحَانِي إِنْ نِي رَاضٍ بِمَا لَاقَيْتُهُ وَالْأَقِي!

[١٨]

الشروح :

(٥٧) النص في : الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة ، تأليف
لسان الدين بن الخطيب ٢٤٠ - ٢٤١ . وفي الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب
(طبعة الموسوعات ، القاهرة) : ١١٨ - ١١٩ . وانظر أيضاً الإحاطة (طبعة دار المعارف
بصر) : ٢٥٢ - ٢٥٤ . واعتمدت النص كما أثبتته في الكتيبة الكامنة .

- القصيدة معارضة لقصيدتين إحدهما لابن خفاجة (ديوانه : ١٥٨) ومطلعها :

أَمَقَامٍ وَصَلَ أَمَ مَقَامِ فِرَاقٍ فَالْقُصْبُ بَيْنَ تَصَافُحٍ وَعِزَاقٍ
والثانية لأبي عبد الله بن أبي الحِصَالِ (رسائله وشعره = ٦٥١) ومطلعها :
هَبْ النَّسِيمُ هَبُوبَ ذِي إِشْفَاقٍ يُزْهِى الْهَوَى بِجَنَاحِهِ الْخَفَّاقِ

(٤) كذا في الأصول : متراق .

(٥) الفواق : ما بين الحَلْبَتَيْنِ من الوقت .

(٢٥) همت عينه : سال دمعها .

[١٩]

وقال ابن خاتمة (٥٨) :

[من الوافر]

- ١ دِمَاءٌ فَوْقَ خَدِّكَ أَمْ خَلُوقٌ وَرِيْقٌ مَا بَشَّرَكَ أَمْ رَحِيْقٌ
٢ وَمَا ابْتَسَمْتَ ثَنَائاً أَمْ أَقَاحٍ وَيَكْنُفُهَا شِفَاءٌ أَمْ شَقِيْقٌ
٣ وَتِلْكَ سَنَاءُ نَوْمٍ مَا تَعَاطَتْ جَفْوَنُكَ أَمْ هِيَ الْخَمْرُ الْعَتِيْقُ

- ٤ لَقَدْ أَعَدْتُ مَعَاطِفَكَ انْتِثَاءً وَقَلْبِي سَكْرُهُ مَا إِنْ يَفِيْقُ
٥ جَمَالَكَ حَضْرَتِي وَهَوَاكَ رَاحِي وَكَأْسُكَ مُقْلَتِي فَمَتَى أَفِيْقُ؟

[١٩]

الشروح :

(٥٦) الأبيات في الإحاطة (عنان) ٢٥٩/١ (وطبعة الموسوعات) ١٢٣/١

(١) الخَلْقُ (بالفتح) : ضربٌ من الطَّيْبِ .

(٢) في الصحاح : وشقائق النعمان معروف . واحده وجمعه سواء .

[٢٠]

[و] من قوله يتغزل (٥) :

[من البسيط]

- | | | |
|----|---|---|
| ١ | أَكُلُ شَاكِ بَدَاءِ الْحُبِّ مَضْنَاكِ | مَآذَا جَنَّتُهُ عَلَى الْعُشَّاقِ عَيْنَاكِ |
| ٢ | قَدْ كَانَ لِي عَنْ سَبِيلِ الْحُبِّ مُنْصَرَفٌ | حَتَّى دَعَوْتُ لَهُ قَلْبِي فَلَبَّأَكَ |
| ٣ | أَيَقْظِيهِ لَأَسَاهُ ثُمَّ نِمْتُ وَمَا | بَالَيْتِ، إِيَّاكِ شَكْوَى الصَّبِّ إِيَّاكِ |
| ٤ | أُحِبِّي ذِمَائِي وَمَا أَتْلَفْتُ مِنْ رَمَقِي | إِنْ قُلْتُ عِطْفَاكِ قَالَا بَلْ دَلَالَاكِ |
| ٥ | كَأَنِّي لَسْتُ أَدْرِي مَنْ أَرَاقُ دَمِي | وَاللَّهِ مَا بِفُؤَادِي غَيْرُ مَرْمَاكِ |
| ٦ | أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَا أَبْغِيكَ مَظْلَمَةً | فَأَنْتِ مِنِّي فِي حِلٍّ، وَمِنْ ذَاكِ |
| ٧ | كُلُّ عَلِيٍّ لَهُ جُنْدٌ مُجَنَّدَةٌ | يَكْفِيكَ يَا هِنْدُ أَنِّي بَعْضُ قَتْلَاكِ ! |
| ٨ | كَيْفَ الْخَلَاصُ لِمَثْلِي مِنْ هَوَاكِ وَقَدْ | رَمَى بِي الْوَجْدُ فِي أَشْرَاكِ أَشْرَاكِ |
| ٩ | أَعَدْتُ جَفَوْنَكَ قَلْبِي حَيْرَةً وَضَنِّي | فَهَلْ دَلِيلٌ لِقَلْبٍ حَائِرٍ شَاكِ ؟ |
| ١٠ | قَدْ كُنْتُ أَطْمَعُ أَنْ تَصْحُو صَبَابَتُهُ | لَوْ قَدْ صَحَّتْ مِنْ حَمِيٍّ التَّيِّهِ عِطْفَاكِ |
| ١١ | زَجَرْتُ فِيكَ رَسُولَ الطَّرْفِ عَنْ نَظَرِي | فَهَلْ عَلَى الْقَلْبِ عَتَبٌ إِنْ تَمَنَّأَكَ |
| ١٢ | يَا طَلْعَةَ الْحُسْنِ تَزْهَوُ فِي مَلَابِسِهِ | رُحْمَاكِ فِي أَنْفُسِ الْعُشَّاقِ، رُحْمَاكِ |
| ١٣ | تَيْهِي عَلَى الشَّمْسِ وَاشْبِي الْبَدْرَ مَطْلَعَهُ | فَإِنَّمَا رَوْضَةُ الدُّنْيَا مُحْيَاكِ |

- ١٤ أَقُولُ وَالرَّوْضُ يُجَلَّى فِي زَخَارِفِهِ
 ١٥ فِي فَيْكِ رَاحٍ وَفِي عِطْفَيْكِ هِزَّتْهَا
 ١٦ أَلَيْسَ مِنْ أَعْظَمِ الْأَشْيَاءِ مَتَّوْجِدَةً
 ١٧ وَأَقْطَعُ الْعُمْرَ مَالِي فِي سِوَاكِ هَوَى
 ١٨ أُوْمِي بَفِيٍّ لِتَقْبِيلِ الصَّبَا وَلَهَا
 ١٩ وَأَمْلَأُ الصَّدْرَ مِنْ أَنْفَاسِهَا كَلْفًا
 ٢٠ هَلْ بِالْأَثِيلِ وَبِإِنْ الْجَزَعِ تَسْلِيَةً
 ٢١ إِنِّي لِأَهْوَاهُ وَالثَّأْوِي بِجَلَّتْهُ
 ٢٢ يَا مَنْ نَأَتْ وَبِأَخْنَاءِ الضُّلُوعِ ثَوَتْ
 ٢٣ أَمَّا وَسِرُّ جِهَالٍ أَنْتِ رَوْنَقُهُ
 ٢٤ حَيِّي عَلَى الْبُعْدِ تُحْيِي نَفْسَ ذِي كَمَدٍ
- مَنْ عَلَّمَ الرَّوْضَ يَحْكِي حُسْنَ مَغْنَاكِ
 فَهَلْ تَتْنِيكَ سُكْرٌ مِنْ ثَنَائِكَ
 أَنْ تَضْحَكِي بِي وَطَرْفِي دَائِمٌ بِكَ
 وَلَيْسَ لِي مِنْكَ يَوْمًا حَظٌّ مِسْوَاكِ
 أَقُولُ شَوْقًا عَسَاهَا قَبَّلْتُ فَكَ
 بِمَا أَشْمُ بِهَا مِنْ طِيبِ رِيَّائِكَ
 وَمَا الْأَثِيلُ وَبِإِنْ الْجَزَعُ لَوْلَاكِ!
 وَلَسْتُ أَهْوَى عَلَى التَّحْقِيقِ إِلَّاكَ
 تُرَاكِ تَنْسَيْنَ صَبًّا لَيْسَ يَنْسَاكِ؟
 لَوْ صَوَّرَ الْحُسْنُ شَخْصًا مَا تَعَدَّكَ!
 مَا إِنْ تَهَبُّ صَبًّا إِلَّا وَحْيَاكِ

[٢٠]

الشروح :

- (٥٦) القصيدة في نثر الجُبان في شعر من نظمني وإياه الزمان للأمر أبي الوليد إسماعيل
 ابن الأحمر : ١٧٦
 (٢) في الأصل : « لأساة » .
 (١٦) كذا في أصل النسخة .

[٢١]

ومن قول ابن خاتمة أيضاً :

- [من مخلع البسيط]
 ١ سَفَّهَنِي عَادِلِي عَلَيَّ هـ
 ٢ فَقُلْتُ : مُعْتَلٌّ أَوْ صَحِيحٌ
 وَقَالَ لِي وَدَّهَ عَلَيَّ لـ
 يُودِعُهُ عَيْنُهُ الْخَلِيلُ^(٢) !

الشروح :

- (٥) أزهار الرياض : ٢٠٢/٣ ، ونفح الطيب : ٥٣٧/٥
- (٦) يوزي بكتاب (العين) للخليل بن أحمد . وقد اشتهر هذا الكتاب في الأندلس ، وكذا مختصر العين الذي صنعه أبو بكر الزبيدي الأندلسي .

[وفي نفح الطيب] :

« وحكى غير واحد ؛ منهم ابن داوود البلوي - أن القاضي أبا البركات^(٥٥) لما عزم على الرحلة إلى المشرق كتب إليه ابن خاتمة بما صورته :

[من الوافر]

- ١ أشمسَ الغربَ حقاً ما سَمِعْنَا بأنَّكَ قد سَمِيتَ من الإقامَةِ
٢ وأَنَّكَ قد عَزَمْتَ على طُلُوع إلى شَرْقٍ سَمَوْتَ بِهِ عَلامَهُ
٣ لقد زُلْزِلَتْ مِنَّا كُلُّ قَلْبٍ بِحَقِّ اللَّهِ لَا تَقِمِ الْقِيَامَةُ !

قال الحايي فحلف أبو البركات أن لا يرحل من إقليم فيه مَنْ يقولُ مثل هذا ؛ انتهى^(٥٥٥) .
يشيرُ بقوله : « لقد زلزلت ... إلخ » إلى طلوع الشمس من مغربها^(٥٥٥٥) .

التخريج :

- (٥) نفح الطيب : ٤٨٢/٥ ، والنص في (رائق التحلية في فائق التورية : القطعة ٥٠) .
(٥٥٥) سبقَت ترجمته .
(٥٥٥٥) قال أبو جعفر بن زرقاله ، حكاية عن شيخه ابن خاتمة : إن هذا كان سنة ٧٣٩ . وقال هناك بعد الأبيات : إن السفينة التي خلفها أبو البركات دون رحلته غرقت ليلة إقلاعها من مرسى المريّة .

(٥٥٥٥٥) يشير صاحب النفح إلى بعض أشراف الساعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله وسلّم

قال الشيخ الفقيه العالم العَلَمُ الأديبُ الفاضلُ أبو جعفر أحمد بن عليّ بن محمّد بن خاتمة :

كتب إليّ شيخنا الفقيه القاضي الجليلُ العادلُ النزيهُ الصّدْرُ الأُوحدُ الخطيبُ البليغُ الأستاذُ العَلَمُ الأكْمَلُ ، خَلَفَ أولياء الله تعالى وَوَارِثُ دَرَجَتِهِمْ ، أبو البركاتِ محمّد بنُ محمّد بن الحاجِ البَلْفِيّقي^(١) - أبقى الله تعالى بَرَكَتَهُ ، وحَفِظَ في مَرَاتِبِ أهلِ العِلْمِ دَرَجَتَهُ - سائلاً وَمُنَازِلاً :

« يَا مَنْ إِذَا تَنَافَرَتِ المعاني فَهُوَ لها حَكَمٌ عادل ! أَيُّما أَثْقَلَ على المُحِبِّ : الرُّقِيبُ أوِ العاذِلُ ؟ وقد ظَهَرَ لي مِنَ الأثْقَلِ ، ولكنّي أرَدْتُ أن يتَأَيَّدَ ما مِنْ ذلك يَغْفَلُ ، بما عَنِ مِثْلِكَ مِنَ الأخبارِ يُنْقَلُ . لا زِلْتُ للمعالي حَبِئاً ، ولطُلابِها رِئْءاً^(٢) ، والسَّلَامُ . »

فأَجَبْتُهُ جاريّاً من طَريقَةِ الأدبِ على المَهْمَعِ^(٣) الَّذِي سَلَكَ والمَذْهَبِ الَّذِي ذَهَبَ ، وهو (الفَضْلُ العادلُ ، بَيْنَ الرُّقِيبِ والواشي والعاذِلِ) . أمّا بَعْدَ حَمْدِ الله تعالى مُخَوِّلِ^(٤) أوليائِهِ مِنْ مَوَاهِبِ آلائِهِ^(٥) وَاجْتِبابِئِهِ ما يُرِيبِي^(٦) عَنْ رَغْبَةِ الرَّاغِبِ وأَمَلِ الآمِلِ ، المُصْفي لَهُمْ مِنْ مَوَارِدِ حُبِّهِ ومُشَاهِدِ قُرْبِهِ ما تَنَزَّهَ عَنْ رِقْبَةِ الرُّقِيبِ وَعَذْلِ العاذِلِ ؛

والصَّلَاةُ والتَّسْلِيمُ على سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ المصطفى الكريمِ المخصوصِ مِنْ تِلْكَ المقاماتِ بأَحْظَى درجةِ الأواخر والأوائل ؛

(١) سبقت ترجمته في القطعة (٢) من المستدرك على الذبوان .

(٢) الرّء : الغُؤن .

(٣) المَهْمَعُ : الطَّرِيقُ البَيْنُ ، ويعني به أسلوبُ أبي البركاتِ البَلْفِيّقي في النثر المسجوع .

(٤) خَوَّلَهُ اللهُ الأَمْرَ : أعطاه إِيّاهُ مُتَفَضِّلاً .

(٥) الآلاء : النِّعَمُ .

(٦) أَرَبِي : زَادَ .

والرّضى عن آله الكرام وصحّابته الأعلام أُولي الفضائل الماثورة والقواضل ، المُحرّزين عنه
إرث تلك الدّرجة الرّفيعة والمقام الفاضل .

فإنك - أيها الحُبْرُ البَحْرُ^(٧) ، والإمام الصّدْر ، وقاك الله خُلُسة الرّقباء^(٨) وإلحاح العاذل
واختلاق الوُشاة^(٩) - سألتَ عن مسألةٍ مِنَ المسائل : أيُّا أثقلُ على المُحبِّ : الرّقيبُ أم العاذلُ ؟
فَهَلَّا في الزّمانِ الغابر^(١٠) والعصر الذّاهِب والعهد المتقدّم ؛ والقلبُ حليفُ حُبٍّ وشوقٍ ، حتّى
أخبرك عن عِيَانٍ وأُشافِهَكَ عَنْ دَوَقٍ ؟ أَمَا وَقَدْ خَبَا الوُفْدُ وَكَبَا الزّند^(١١) وَنَبَا الحَدَّ^(١٢) وفاءٌ
ظِل^(١٣) الأُنْسِ المُمتدِّ ، فأقولُ بِمَقْتَضَى النّظر ، وليس الخُبْرُ كالخُبْر^(١٤) :

إنَّ في الحُبِّ ثلاثَ خصالٍ : رُقْبَاءٌ وَوُشَاءٌ وَعَذَالٌ ، ليس على المُحبِّ بعدَ الهَجْرِ أَدهى منها ،
ولا مَحِيصٌ^(١٥) لكلِّ عاشِقٍ وَمَعْشُوقٍ عنها ، وهى على الجُملة تَتَشَابَهُ تَشَابُهُ النّظَائِرِ ، ولكنّها عندَ
التّفصيلِ تَتَبَايَنُ تَبَايُنَ الضّرَائِرِ .

فأما الرّقيبُ فَمَسْلُطُ العَيْنِ ، على كُلِّ الْفَيْنِ ، يَتَرَصّدُ الخُلُسَ ، وَيَتَرَقّبُ الغَلَسَ^(١٦) ،
وَيُسَلِّلُ لحظه بينَ النّفسِ والنّفسِ ؛ ما طَلَعَ إِلَّا كدَّر الوِصالَ ، وقَطَعَ الأَوْصالَ ، وقَصَمَ الانتِظامَ
والاتّصالَ ؛ إِنَّ لِحَظَ أَحْفَظَ^(١٧) ، وَإِنْ رَمَقَ رَشَقٌ ، أَوْ نَظَرَ أَضَرَ ، أَوْ دَنَا لَمْ يُبْقِ ولم يَذَر .

(٧) الحُبْرُ : العالم .

(٨) خُلُسة الرّقباء : استراقهم النّظرة بعد النّظرة .

(٩) اختلق الكذب : افتراه .

(١٠) يعني : ألا كان سؤالك في الزّمان الماضي .

(١١) الزّند : العود الَّذِي يَقْدَحُ بِهِ النَّارُ ؛ وَكَبَا الزّند : لم يُخْرِجْ نَارَهُ .

(١٢) الحَدَّ : حَدَّ السِّيفِ وَنَحْوَهُ ؛ وَنَبَا حَدَّ السِّيفِ : لم يَعْمَلْ فِي الصّريّة .

(١٣) في الأصل : « وباطل الأُنْسِ ... » تحريف . وفاء الظّلِّ : صار فيئاً ؛ والفَيْءُ : ظِلٌّ ما بعدَ الزّوالِ ، والظّلُّ : ما قبلَ
الزّوالِ .

(١٤) الخُبْرُ : العِلْمُ .

(١٥) المَحِيصُ : المَهْزَبُ والمَحِيدُ .

(١٦) الغَلَسُ : ظُلُمَةُ آخِرِ اللَّيْلِ .

(١٧) أَحْفَظَةُ : أغضبه .

وأما العاذِل فَمَسْلَطُ اللِّسَانِ ، على كُلِّ مُحِبِّ هَيَّانٍ ، يَرْشُقُهُ بِسِهَامِ مَلَامِهِ ، وَيَلُوكُهُ لَوَكُ الْمُهْرِ لِحَكْمَةِ لِحَامِهِ ^(١٨) ؛ كَلِمَاتِهِ مُحْفِظَاتٌ ، بَارِدَةُ الْعِظَاتِ ، مَظْهَرَةٌ لَوُجُوهِ الْحَسَنَاتِ فِي مَظَاهِرِ الْهَنَاتِ ^(١٩) ؛ إِنَّ قَالِ أَحَالَ ^(٢٠) ، وَإِنْ تَكَلَّمَ آلَمَ ، وَإِنْ سَلَّمَ تَوَدُّ لَوِ تَرَكَ السُّنَّةَ وَمَا سَلَّمَ !

وأما الواشِي فَمَصْرَفُ الْعَيْنِ وَاللِّسَانِ ، وَآخِذٌ مِنْ هَذَا بِشَانٍ وَمِنْ هَذَا بِشَانٍ ، نَظَرُهُ اخْتِلَاسٌ وَتَجَسُّيسٌ ، وَكَلَامُهُ تَخْمِينٌ وَتَدْلِيلٌ ^(٢١) ، إِنْ قَصَرَ فِلْسَانُهُ طَوِيلٌ ، أَوْ عَمِيَ بَصَرُهُ فَقَائِدُهُ الْقَالَ وَالْقِيلُ ؛ فَالرَّقِيبُ أَعْوَانُهُ أَجْفَانُهُ ، وَالْعَاذِلُ سِنَانُهُ لِسَانُهُ ، وَالْوَاشِي وَزِيرُهُ تَرْوِيرُهُ وَبُهْتَانُهُ .

وَإِذْ بَانَ الْفَرْقُ ، وَظَهَرَ الْحَقُّ ، فَأَثْقَلَ الثَّلَاثَةُ ، بَعْدَ مَا يَشْتَرِكُونَ فِيهِ مِنَ الدَّنَاءَةِ وَالْخَبَاثَةِ ، هُوَ الرَّقِيبُ الرَّاصِدُ ، الَّذِي هُوَ الْعَدُوُّ الْحَاسِدُ ؛ فَلْتَصَدَّعْ ^(٢٢) بِالْحُكْمِ الْعَادِلِ ، بَيْنَ الرَّقِيبِ وَالْعَاذِلِ ، فَنَقُولُ إِنَّ الرَّقِيبَ أَثْقَلَ مِنْهُ لَوْجُوهِ عَدِيدَةٍ ، بَيْنَ قَرِيْبَةٍ وَبَعِيدَةٍ :

أَوَّلُهَا : وَهُوَ أَعْضَلُهَا ^(٢٣) ، أَنَّ ثَقَلَ الرَّقِيبَ عَلَى كَاهِلِ الْمُحِبِّ وَالْحَبِيبِ ، بِخِلَافِ اللَّائِمِ ، فَعَادِيَّتُهُ ^(٢٤) عَائِدَةٌ لِلْهَائِمِ ، يُعْنَى الصَّبُّ أَوَّلًا بِتَعَذُّيْبِهِ ، وَثَانِيًا بِشَجْوِ حَبِيبِهِ ، فَيَصِيرُ الثَّقَلُ عَلَيْهِ ضِعْفًا ، وَالْوَاحِدُ لَدَيْهِ أَلْفًا .

قَالَ لِي : إِنَّ رَقِيبِي سَيِّئُ الْخُلُقِ فَادَارُهُ
قُلْتُ : دَعْنِي ، وَجْهْكَ الْجَدُّ نَسَتْ حَقَّتْ بِالْمَكَارِهِ ^(٢٥)

الثَّانِي : أَنَّ الرَّقِيبَ يَنَازِعُكَ الْمُحْتَبُوبُ ، وَيُشَاطِرُكَ بِالْحِظَةِ الْغَرَضِ الْمَطْلُوبِ ، وَالْعَاذِلُ إِنَّمَا حِظُّهُ تَسْفِيَةٌ حِلْمٌ ، وَإِرْسَاءٌ بَزْعَمِهِ لِمَا هُوَ كَالْمَهْمِ .

(١٨) حَكْمَةُ اللَّجَامِ : مَا أَحَاطَ بِجَنْكِي الْفَرَسِ مِنْ لِحَامِهِ .

(١٩) الْهَنَاتُ : جَمْعُ الْهَنَةِ ، وَهِيَ الْخِصْلَةُ السَّيِّئَةُ .

(٢٠) أَحَالَ : جَمْعُ بَيْنِ الْمُنَاقِضَيْنِ فِي كَلَامِهِ .

(٢١) التَّخْمِينُ : الظَّنُّ . وَالتَّدْلِيلُ : أَنْ يَرُوِيَ الْحَدِيثَ عَمَّنْ عَاصَرَهُ مَالِمٌ يَسْمَعُ مِنْهُ مُوَهِّبًا سَمَاعَهُ ، أَوْ أَنْ يُسَمَّى شَيْخَهُ بِمَا لَا يُعْرَفُ بِهِ .

(٢٢) صَدَّعَ بِالْحُكْمِ : بَيَّنَّهُ وَجَهَرُ بِهِ .

(٢٣) عَضَلَ الْأَمْرَ : اشْتَدَّ وَضَاقَ .

(٢٤) الْعَادِيَةُ : الشَّرُّ وَالظُّلْمُ .

(٢٥) مَعْنَى الْبَيْتِ مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : « حَقَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحَقَّتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » صَحِيحُ مُسْلِمَ : ٢١٧٤

قَالَتْ : رَقِيبِي مُقْبِلٌ وَتَبَرَّقَعْتُ حَذَرَ الرَّقِيبِ^(٢٦)

فَنَظَرْتُهُ فَإِذَا بِهِ مِنْ حَبِّهَا فَوْقَ الَّذِي بِي^(٢٧)

وَالثَّالِثُ : أَنَّ الرَّقَبَةَ إِنَّمَا تَكُونُ عِنْدَ الْوِصَالِ ، وَهِيَ أَشَدُّ لَتَقْطِيعِ الْأَوْصَالِ ، وَالْعَاذِلُ مَتَى حَضَرَ ، فَأَيُّ ضَرَرٍ مِنْ ضَرَرٍ .

وَعْيُونُ الْوُشَاةِ تُفْسِدُ بِالرُّقْدِ بَةِ وَاللَّمْحِ زَوْرَةَ الْأَحْبَابِ

فَتَى يَظْفَرُ الْمُحِبُّ وَتَشْفَى بِالتَّدَانِي مَضَاضَةُ الْاِكْتِابِ^(٢٨)

الرَّابِعُ : أَنَّ الْعَيْنَ رَائِدُ النَّفْسِ ، وَهِيَ مَقَرُّ الْأَنْسِ ، وَاللِّسَانَ تَرْجُمَانُ الْعَقْلِ ، وَهُوَ مَحَلُّ الْعَدْلِ .

نَظَرَةُ الرَّاصِدِ فِينَا أَثَرْتُ لَا رَقْتُ دَمْعُهُ عَيْنِ الرَّاصِدِ^(٢٩)

وَالْخَامِسُ : أَنَّ الرَّقِيبَ عَدُوٌّ مُكَافِحٌ ، وَالْعَدُولُ مُظْهِرُ أَنَّهُ صَدُوقٌ نَاصِحٌ .

فَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ

السَّادِسُ : أَنَّ الرَّقِيبَ شَاهِدٌ مُتَسَلِّطٌ ، وَالْعَدُولُ قَدْ يُبَاهِتُ وَيُغْلِظُ^(٣٠) .

وَلَقَدْ وَصَفْتُ لِعَاذِلِي مِنْ حُسْنِهَا طَرْفًا فَوَدَّ بَأْنَهُ لَمْ يَعْذِلْ

وَعَصِيَّتُهُ فِيمَا مَضَى مِنْ عَهْدِنَا وَأَنَا الَّذِي أَغْصِيهِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ

(٢٦) تبرّعت المرأة : غطت وجهها بالبرقع ، وهو قناع الوجه للمرأة .

(٢٧) وَرَدَ فِي حَاشِيَةِ الْأَصْلِ هَذَانِ الْبَيْتَانِ بِخَطِّ مَعَايِرَ :

أَحِبُّ الْعَدُوَّ لَتَكَارِهِ حَبِيبُ الْحَبِيبِ عَلَى مَسْمَعِي

وَأَهْوَى الرَّقِيبَ لِأَنَّ الرَّقِيبَ سَبَّ يَكُونُ إِذَا كَانَ حَبِيبِي مَعِي

(٢٨) الْمَضَاضَةُ : الْأَمْرُ مِنَ وَجَعِ الْمَصِيبَةِ .

(٢٩) (لَا رَقْتُ دَمْعَتُهُ) أَصْلُهُ : لَا رَقَاتُ ، فَسَهَّلَ الْهَمْزَةَ وَحَذَفَ الْأَلْفَ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ ؛ وَرَقًا الدَّمْعُ : جَفَافٌ وَسَكَنٌ

وَانْقَطَعَ بَعْدَ جَرِيَانِهِ .

(٣٠) بَاهِتَةً : قَادَقَهُ بِالْبُهْتَانِ ؛ وَهُوَ الْكَذِبُ الْمَفْتَرَى ؛ وَبَهْتَةً : أَخَذَهُ بِالْحُجَّةِ فَشَحَبَ لَوْنُهُ . وَأَغْلَطَهُ : أَوْقَعَهُ فِي الْغَلَطِ .

السَّابِعُ : أَنَّ الرَّقِيبَ حَسُودٌ ، وَالْعَاذِلُ بَرِيءٌ مِنَ الْحَقُودِ ، وَأَيْنَ مَنْ يَتَنَفَّسُ عَنِ الْحَسَدِ ، مِمَّنْ يَتَنَافَسُ^(٣١) فِي الرَّأْيِ الْأَفْسَدِ .

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي النَّدَى^(٣٢)

الثَّامِنُ : أَنَّ أَمْرَ الْعَذُولِ مَشُوبٌ بِحَلَاوَةِ ذِكْرِ الْمَحْبُوبِ ، وَالرَّقِيبُ أَجَاجٌ لَيْسَ فِيهَا مِزَاجٌ^(٣٣) .

أَجَدُ الْمَلَامَةِ فِي هَوَاكِ لَذِيذَةً حَبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلْمُنِي اللَّوَمَ

التَّاسِعُ : أَنَّ الرَّقِيبَ غَيْبَتُهُ حَظُورٌ ، وَصَمْتُهُ مَحْدُورٌ ، وَالْعَاذِلُ لَا تَتَقَاذَفُ بِهِ الْمَجَاهِلُ^(٣٤) .

عَلَيْكَ رَقِيبٌ ثَقِيلُ اللَّحَاطِ مَتَى لَمْ يُحِطْ عِلْمُهُ يَخْرُسِ
أَنْتُمْ مِنَ الْمِسْكِ لِلنَّاشِقِينَ وَالْحَظُّ عَيْنًا مِنَ النَّرْجِسِ^(٣٥)

الْعَاشِرُ : أَنَّ الْعَذُولَ نَاطِقٌ وَالنَّاطِقُ يُسْتَرَاخُ إِلَيْهِ ، وَالرَّقِيبُ صَامِتٌ لَا تَرَى وَلَا تَذَرِي مَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ .

أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَرُبَّ صَمٍّ كَانَ أَبْلَغَ مِنْ مَقَالِهِ

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدَّلَائِلِ ، الشَّاهِدَةُ بِفَرْقِ مَا بَيْنَ ثِقَلِ الرَّقِيبِ وَالْعَاذِلِ ، وَأَرْجَحُهَا فِي عِيَارِ
الِاعْتِبَارِ ، عِنْدَ مِسْبَارِ الْاِخْتِبَارِ^(٣٦) ، قَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ الْمَضْرُوبِ : « أَثْقَلُ مِنْ فَجْأَةِ الرَّقِيبِ »^(٣٧) ،

(٣١) تَنَافَسَ فِي الشَّيْءِ : بَالَعَ فِيهِ وَرَغَبَ .

(٣٢) جَاءَ فِي هَامِشِ الْأَصْلِ : « هُوَ شَطْرَانِ ، وَتَمَامُهُ :

يَزِيدُ سَلِيمٌ وَالْأَغَرُ ابْنُ حَاتِمٍ »

وَالْبَيْتُ لَرَبِيعَةَ الرَّقَيْ فِي دِيَوَانِهِ : ١٢٥

(٣٣) الْأَجَاجُ : مَا يَلْدَعُ النَّعْمَ بِمَرَاتِهِ أَوْ مَلُوحَتِهِ . وَالْمِزَاجُ : مَا يُمْتَزَجُ بِهِ الشَّرَابُ وَنَحْوُهُ .

(٣٤) الْمَجَاهِلُ : جَمْعُ الْمَجْهَلِ ، وَهِيَ الْمَفَازَةُ لَا أَعْلَامَ فِيهَا .

(٣٥) ثُمَّ الشَّيْءِ : انْتَشَرَتْ رَائِحَتُهُ .

(٣٦) الْمِسْبَارُ : مَا يُعْرَفُ بِهِ غَوْرُ الْمَاءِ أَوِ الْجَرَحِ .

(٣٧) فِي جَمْعِ الْأَمْثَالِ ١٥٨/١ : « أَثْقَلُ مِنْ رَقِيبٍ بَيْنَ عَيْنَيْنِ » .

ولم يأتِ في المتنقول ، مِنْ الْمَثَلِ الْمُقُولِ : « أَثْقَلُ مِنْ عَذُولٍ »^(٣٨) ، وهذا أَنْصُ في الباب ، عِنْدَ أُولَى الْأَلْبَابِ ، فَاَلْمَثَلُ - كَمَا قِيلَ - عِلْمٌ مُتَدَاوِلٌ عَلَى الْأَيَّامِ ، وَالْقَوْلُ بِهِ ماضٍ عِنْدَ أَرْبَابِ الْأَحْلَامِ ؛ فَإِنْ قِيلَ : فَقَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ الصَّادِقِ : « أَثْقَلُ مِنْ وَاشٍ عَلَى عَاشِقٍ »^(٣٩) ؛ قُلْتُ : إِنَّمَا ذَلِكَ رَقِيبٌ شَاهِدٌ ، فَقَدْ رَأَيْتُ الْوَاشِيَّ دَائِرًا بَيْنَ اللَّقَبَيْنِ ، وَأَخَذًا بِطَرْفٍ مِنْ كِلَا السَّبَبَيْنِ ، فَتَمَّى غَلَبَ أَحَدُهُمَا عَلَيْهِ ، نُسِبَ إِلَيْهِ ؛ وَأَمَّا بِمَا هُوَ وَاشٍ ، فَأَمْرُهُ عِنْدَ الْمُحِبِّ مُتَلَاشٍ ، لِأَنَّ لَحْظَهُ خُلِسَ ، وَثَقُلَهُ نَفْسٌ ، وَإِنَّمَا جُمْلَةُ اعْتِيَادِهِ ، عَلَى إِصْدَارِهِ فِي التَّزْوِيرِ وَإِيرَادِهِ ، وَحَسْبُ الْمُحِبِّ مَا يَرُومُ ، وَدَعَا الْقِيَامَةَ أَنْ تَقُومَ .

وَلِلَّهِ دُرُّ أَبِي جَعْفَرِ بْنِ الْأَبَّارِ ، فَقَدْ جَرَى مَعَ الطَّرْفِ^(٤٠) فِي مِضَارٍ ، وَقَسَّرَ سُنَّتَهُ فِي الرُّقَبَاءِ ، فَأَشْرَقَهُمُ بِالْمَاءِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِمْ قُرُوجُ الْهَوَاءِ^(٤١) ، وَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ هِمَمٌ ، أَوْ سَمَا بِهِمْ كَرَمٌ ، مَا طَرَفَ لَهُمْ فِي الرُّقَبَةِ بَعْدَهَا طَرْفٌ ، وَلَا تَقَدَّمَ لَهُمْ بِهَا قَدَمٌ ؛ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَنْ تَكُونَ عِنْدَ الْمُحِبِّينَ مِنْ مَكَارِهِ ، وَهِيَ عِنْدَهُمْ مِمَّا يُخَارَفُ فِيهِ لِلْعَبْدِ وَهُوَ كَارِهِ ؛ وَلِنَشْنِ عِنَانِ الْمَقَالَةِ ، خَوْفَ الْإِسْهَابِ وَالْإِطَالَةِ .

هَذَا مَاسَنَحَ فِي الْقَضِيَّةِ ، مِنْ الْوُجُوهِ الْمَرْضِيَّةِ ، وَلَعَمْرِي إِنَّهُ لِحُكْمٍ يَعُضُّدُهُ شَاهِدُ الذَّوْقِ ، وَيُؤَيِّدُهُ الْاِخْتِبَارُ فِي مَقَامَاتِ الْمَحَبَّةِ وَالشَّوْقِ ، وَإِنْ كُنْتُ فِي جَوَابِي كَأَلْمُسْتَبْضِعِ إِلَى صَنْعَاءَ وَشَيْئًا^(٤٢) ، وَالْمُدْعَى فِي بَنِي ثَعْلٍ رَمِيًا^(٤٣) ، وَالْمُهْدِي إِلَى بُورَانَ بِنْتِ الْحَسَنِ حُلًّا وَحَلِيًا^(٤٤) .

(٣٨) جاء في جوهرة الأمثال ٢٣١/٢ : « أَثْقَلُ مِنَ الْعَذُولِ » عند شرح أبي هلال العسكري للمثل : « مَنْ لَاحَاكَ فَقَدْ لَادَاكَ » .

(٣٩) لم أجد المثل فيما رجعت إليه من كتب الأمثال .

(٤٠) الطَّرْفُ : الْكَرِيمُ مِنَ الْخَيْلِ .

(٤١) يشير المؤلف إلى أبيات لأبي جعفر أحمد بن الأتبار الإشبيلي ، أنشدها له المقرئ في النسخ (٤٧٧/٣) ، ومطلع الأبيات :

زَارَنِي خَيْفَةَ الرَّقِيبِ مُرِيبًا يَتَشَكَّى مِنْهُ الْقَضِيبُ الْكَثِيبُ
وفي الأبيات إطرافٌ في إقذاع !

(٤٢) استبضع الشيء : جعله بضاعة . والوشى : نوعٌ من الثياب المؤشَّة (المزينة) ، واليَمَنُ مشهورةٌ بصناعتها ؛ والمثل المشهور : « كَسْتَبْضِعَ التَّمَرَ إِلَى هَجَرَ » وانظر جمع الأمثال (١٥٢/٢) .

(٤٣) بنو ثعلٍ : حنّ من طيئ مشهورون بالرَّمْيِ ، وهم الذين عناهم امرؤ القيس بقوله (ديوانه : ١٢٣) :

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ مُخْرِجٍ كَفِّهِ مِنْ سُرِّهِ

(٤٤) بُورَانُ بِنْتُ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ : زَوْجُ الْمَأْمُونِ الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ ، وانظر خبر دخول المأمون بها في كتاب (الذخائر

والتحف) للمقاضي الرشيد بن الزبير (ص : ٩٨ - ١٤١) ، طبعة مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٤ م .

فَحَسُنَ الإِغْضَاءُ ، كَفِيلٌ بِالصَّفْحِ عَنِ الْقَضَاءِ ، وَالرَّفْقُ بِالْإِقْتِضَاءِ ؛ جَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِمَّنْ عَمَرَ قَلْبَهُ الْحُبُّ الشَّرِيفُ الْفَاضِلُ ، الَّذِي لَا تَطْرُقُ إِلَيْهِ رِقْبَةٌ رَقِيبٌ وَلَا مَلَامَةٌ عَادِلٌ ، وَمَلَأَ جَوَانِحَنَا مِنَ الشُّوقِ إِلَيْهِ ، بِمَا يُطِيبُ لَنَا الْقُدُومَ عَلَيْهِ .

على أَنَّ الرَّقِيبَ فِي كُلِّ حَالٍ مَلُومٌ ، وَعَلَى كُلِّ لِسَانٍ مَذْمُومٌ ، فَقَدْ قِيلَ : مَذْهَبُ الْقَوْمِ الْخُلُوءِ^(٤٥) ، حَتَّى إِنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّحْمَ الَّذِي بَيْنَ الْجِلْدِ وَالْعَظْمِ رَقِيبٌ مُزَاحِمٌ ؛ فَيَا اللَّهُ مَا أَثْقَلَ الرَّقِيبَ عَلَى كُلِّ مُحِبٍّ هَائِمٍ ، وَأَعْدَى فَنُونِهِ ، وَأَهْنَأَ عَيْشَ دُونِهِ ﴿ وَإِنْ تَخَفُوهَا وَتَوْتُوها الْفُقَرَاءُ فَهَوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾^(٤٦) ، « حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا أَنْفَقَتْ يَمِينُهُ »^(٤٧) ، « إِلَّا الصَّوْمُ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ »^(٤٨) .

وَمِنْ شَرِّ الرُّقَبَاءِ وَمِنْ جِنَايَتِهِمْ مُوَافَقَةُ الرِّيَاءِ ، الَّذِي هُوَ الشُّرْكُ الْأَصْغَرُ^(٤٩) ، وَالْوِزْرُ الْأَكْبَرُ .

أَعَاذَنَا اللَّهُ مِنْ جِنَايَاتِ الرُّقْبَةِ ، وَحَمَانَا شَرَّ الْفِتْنَةِ ، وَجَعَلَنَا مِنْ عِبَادِهِ الْمُخْلِصِينَ ؛ وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَى مَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ السَّادَاتِ الْكَرَامِ ، وَالثَّقَاتِ الْأَعْلَامِ .

انتهى بحمد الله تعالى

(٤٥) يريد بالقوم : الصَّوْفِيَّةُ .

(٤٦) من الآية (٢٧١) من سورة البقرة .

(٤٧) من قول النبي ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إِلَّا ظله ورجل تصدَّقَ بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم بيمينه ما تنفق شماله ... » صحيح مسلم : ٧١٥

(٤٨) من الحديث القدسي : « قال الله عز وجل : كلَّ عمل ابن آدم له إِلَّا الصِّيَامَ ، هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ... » صحيح مسلم : ٨٠٦

(٤٩) من قول النبي ﷺ : « إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشُّرْكَ الْأَصْغَرَ » قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : « الرِّيَاءُ ... » مسند الإمام أحمد ٤٣٨/٥

فهرس القوافي

الصفحة	البحر	البيت الأول من القصيدة أو المقطعة
١٢٥	البحر الكامل	سل نفحة الخيري في غسق الدجى
٢٠١	البحر الكامل	زارت على حذر من الرقباء
١٦٦	البحر الخفيف	يا مجيب المضطر عند الدعاء
١٤٦	البحر البسيط	يا من أغار على هواه
٨٤	البحر الكامل	هذي الحدوج فأين عفر طبائها
١١٩	البحر الكامل	جاء الشتاء بغيمه متحجباً
١٠٥	البحر الخفيف	أقبل العيد فابتدرت مهلاً
١٥٩	البحر البسيط	خف السلاطين وأحذر أن تلابسهم
٤٥	البحر الكامل	شقت على الأرض السماء جيوبها
١٤٦	البحر البسيط	أهيل ودي نداء صباً
٢٠٢	البحر الطويل	أقول وعين الدمع نصب عيوننا
٤٨	البحر البسيط	وشئى برك دمع ظل ينسكب
٥٠	البحر البسيط	منك التجلي ومننا الستر والحجب
٧٢	البحر الطويل	جلت عن حجاي خجلة وتنقب
٢٠٣	البحر الكامل	معطر الأنفاس ييسم دائماً
١٢٩	البحر السريع	انظر إلى الكتان طوع الصبا
١٣٦	البحر المجزوء الوافر	إن الدهماء أجراها
٢٠٤	البحر الطويل	هو الدهر لا يبقى على عائد به
١٥٧	البحر الطويل	هو الدهر لا يبقى على لائذ به
١٣٧	البحر الكامل	عاب العواذل من حبيبي سمرة
١٦٣	البحر المنسرح	سافر تنل بالأسفار كل غلاً
٨٦	البحر الكامل	الله يكفي عاذلي ورقبها
١٥٤	البحر البسيط	دن بالتواضع والإخبات محتسباً
١٥٩	البحر البسيط	لسانك كالسيف في شكله
٨٨	البحر السريع	صدعت أكبادي صدع الزجاج

البيت الأول من القصيدة أو المقطعة

الصفحة

البحر

جذبت حاجبها حتى اندمج
قالوا تحت عارضاه بهجته
الزم مكانك فالتغرب ذلة
تطريز خديك بالريحان والراح
لا عيش للنفس بمستقـلـ
أجل عينيك في وشي تعالين
أحنّ إلى نجد إذا ذكرت نجد
ومجدب الخضر غص الردف ناعمه
ووردية الجلباب أعجبها الورد
وخاطرة كالظبي في خطوها بعد
أعطر بخيرينا نسيماً
إذا مادعتك النفس يوماً لريّة
وإد دموع العاشقين تمده
ربّ قرآن جلا صفحته
رميته بوردية مطرفاً
ودونكهها مثل شكل النهود
تهب نسيمات الصبا من ربا نجد
غيم سما ، أم دخان نـدـ
فذكّ في ملبسك الورد
فيك الحديث ومورد الإنشاد
أيا مشارك الروح في جسدي
يأمن تعجب في اضطبار
حيثك بكر من بنات الر
خذوا بقية نفسي واحقوا الأثرا
يارياضاً أهدي لأنفي بهارا
أي حسن على ظهور للهاري
أنعم على من تشاء
ودونكهها ياروضة الجود والندی
هلم إلى الرياض فقد تردت
شهدت لحسنك آية لا تنكر
لله خزينة الجلباب صونها

ورمتني سهام من دعج الرمل
فبدر مرآه للغروب جنح المنسرح
لو لم تنل غير القرار نجاحا الكامل
لم يبق عقلاً صحيحاً ، لا ولا صاحي البسيط
مهما بدا كدّر أفرأحها السريع
كتاباً والهواء له مداد الوافر
ويعتاد قلبي من تذكروها وجد الطويل
فمنه لي ظمأ ومنه لي ورد البسيط
فغنت وما بالغانيات لها عهد الطويل
تكاد أعاليها من اللين تنقذ الطويل
كأنه في الظلام نـدـ مخلع البسيط
فحاذر عقاب الله فهو شديده الطويل
ما للقتيل بشطه من فـاد
لب القرن جلاء العسجد الرمل
فردّها وتاه بالخذ السريع
وقد ضمنت باحمرار الحدود المتقارب
فينفخن عن طيب ويعبقن عن نـد الطويل
قطر همى ، أم ميهـاه ورد مخلع البسيط
أم أسنة تختال في ورد السريع
ولك الخطاب إذا أراد الشادي الكامل
بل يا مخلصي من يدي جلدي المنسرح
عشاقه عنه وچار مجزوء الكامل
وض أعجلهـا ابتكار مجزوء الكامل
حبي رضام ودع من لام أو عذرا البسيط
وصباحاً أبدي لعيني نهارا الخفيف
قد تسولى وأي نور تسواري الخفيف
فـأنت حتماً أميره المحت
بواكير زهر مثل نشرع معطار الطويل
بأردية من الأوراق خضر الوافر
خطت بها في صفح خـدك أسطر الكامل
طول الحجاب فلم يمد لها ظفر البسيط

البيت الأول من القصيدة أو المقطعة

ومستوجب الرعي عند الكرام
إذا كنت تعلم أن الأمـــــور
يامن يغيث الورى من بعد ما قنطوا
عامل زمانك إن النقص شيمه
أستودع الله حبيباً نأى
إن أعرضت دنياك عنك بوجهها
أجنان خلد زخرت أم مصنع
وقفت والبين قد زمت ركائبه
هل جسوم يوم النوى ودعوها
يامن حصلت على الكمال بما رأيت
وخرساء إلا زمان الريع
أحرى ثيابك أن تجملة
أنا بين الحياة والموت وقف
من عاذري، من ناصري، من منصفي
إذا أتيت أثيلات الحمى قفف
رمدت لواحظه فقيل طيبه
مثواك عزك فاحذر أن تفارقه
من لم يشاهد موقفاً لفراق
ما تظم الجيوب والأطواق
كيف يصحو من سكره مشتاق
يارب أسود وافانا وفي يده
أوفى كما زار الخيال الطارق
دماءً فوق خدك أم خلوق
ألا خير ما للمرء عقل يزينه
يا جاريماً من سبيل المجد في طلق
أهلاً بنور بهار قد حبتك به
من عذيري من تجني شادن
يا حسنه لهلال الفطر مرتقباً
يا بدر تم تسامي الطرف عن أفق
عدوك داره ما اسطعت حتى
ظن أني أفقت من أشـــــواق

الصفحة

البحر

فمن غصّ منه بعلياء غصّ المتقارب ١٤٩
بحكم الإله كما قصد قضى المتقارب ١٥٣
ارحم عبداً أكف الفقر قد بسطوا البسيط ٣٩
بضد ما تبغيه منه واقتنع البسيط ١٥٦
عني وإن ظل الحشا مربعة السريع ١٤٣
وغدت ومنها في رضاك نزاع الكامل ١٥٨
والعيد عاود أم صنيع يصنع الكامل ٢١٥
وللنفوس مع الأنفاس تقطيع البسيط ٢١٥
باقيات لسوء ما أودعوها الخفيف ١٤٣
عيناى منه من الجمال الرائع الكامل ٢١٤
ففي سجمها طرب للخليع المتقارب ١٢٤
ثوب التقى فلباسه شرف الكامل ١٦٣
نفس خافت ودمع وكف الخفيف ٢١٦
هذا دمي سفكته بنت المنصف الكامل ٧٨
وعج يميناً تجاه الروضة الأنف البسيط ٦٣
أضفوا عليه غلائلاً زرقا الكامل ١٤١
فعزة واغتراب قلماً اتفقا البسيط ١٦٤
لم يدرك كيف قوله العشاق الكامل ٢١٧
لا الذي قد سمع به أفاق الخفيف ١١٢
في هلال تشتاقه الأفاق الخفيف ١٣٦
مطيب راق من خيريه نسق البسيط ١٢٦
وبدا كما التاح البريق الخافق الكامل ١١٤
وريق ما بثغرك أم رحيق الوافر ٢١٨
فإن لم يكن عقل فجاءه بنفقه الطويل ١٦٢
مقيداً من علاه كل إطلاق البسيط ١٤٧
شقيقه الروض في حسن وفي عبق البسيط ١٢٨
رامح القامة شايي الحدق الرمل ٩٩
كالبدر أشرق في داج من الغسق البسيط ١٤١
أولى لك القلب أفقاً واضح الفلق البسيط ١٣٥
يعود لديك كالخلل الشفيق الوافر ١٥٤
إذ رأيته لم أشككه ما ألقى الخفيف ١١١

البيت الأول من القصيدة أو المقطعة	البحر	الصفحة
ألا هل درى من بات غير مؤرق	بأن جفوني مذ نأى ليس تلتقي الطويل	١٠٨
إن تعتب الخسل في ذنب جزاك قلى	أو تعفه يبق طول الدهر يؤذيك البسيط	١٦٠
أيامنا بالحمى ما كان أحلاك	كم بت أرعاه إجلالاً وأرعاك البسيط	١١٤
أكل شاك بداء الحب مضناك	ماذا جنته على العشاق عيناك البسيط	٢١٩
كن كمثّل الباز حالاً	في انقباض وسلوك مجزوء الرمل	١٥٨
عليك الكتم واحذر قول سر	لمن قد ظل سر سواك يحكي الوافر	١٦٠
إن شئت عزاً فإغش أبـ	واب للـوك ولا تبـل مجزوء الكامل	١٥٨
دعونا الخطيب أبا البركات	لأكل طعام الوزير الأجل المتقارب	٢٠٢
قاتل عداك وضارهم بمكرمة	(تسمو) لها لا يبيض الهند والأسل البسيط	١٦٠
إذا وجدت فجدة للناس قاطبة	فالحال تغني ويبقى الذكر أحوالاً البسيط	١٥٦
بدر تم بأفق قلبي تجلى	جل في الحسن أن يناعت جلاً الخفيف	١٣١
يا ليلة قد كساها النور سربالاً	جررت فيها لبرد الأنس أذيالاً	٨٢
يا غادياً في حرصه رائحاً	لرفضك الحرص هو الخير لك السريع	١٥٤
بحق فضل الرسول سولي	برد بروح الوصال صالي مخلص البسيط	١٣٢
إذا ما الدهر نابك منه خطب	وشد عليك من حنق عقاله الوافر	١٥٣
يبدى خيالاً منك زار خياله	صب يراك من الوجود كاله الكامل	١٤٢
ابذل المال لا تبال ببذله	قبل ترحاله ونأي محله الخفيف	١٥٧
كن لدار شيدتها خير نازل	في هناء وساميات منازل الخفيف	١٤٧
من عذيري من هازيء بي هازل	قاطع لي ، وللصدود مواصل الخفيف	١١٣
وعاذلة في الحب أزرى بها الجهل	تسفه تجري حين لم تدر ما الفضل الطويل	٥٨
سفهي عاذلي عليه	وقال لي ودّه عليـل مخلص البسيط	٢٢٠
وعاذلة في تركي العشق والصبا	وقد علمت أن الوفاء قليل الطويل	١٦٥
يا فائقاً في علوم الكم أجمعها	من موسقى وارتطاطيفي وأشكال البسيط	١٤٩
لا زورد العذار فوق نضار الخـ	يحكي تاريخ عهد الجمال الخفيف	١٣٩
ليت شعري مالي وماليالي	قد حمتني حتى طروق الخيال الخفيف	١٠٤
الأرض بين مدبج وملل	والروض بين متزوج ومكمل الكامل	٤١
أما ترى الأشجار كيف اكست	أوراقها رقة ثوب الأصيل السريع	١٣٠
يا قرأ مغربـه مهجتي	وأفقـه لحظي إذا ينجلي السريع	١٠٦
كنت أظن البعد يسل	والحق أن البعد يسل مخلص البسيط	١٤٤
يامن بأوصافه الحوالي	رقي في الحب قد حوى لي مخلص البسيط	١٣٢
بغنج تلك الأعين النجل	وما حوت من فتن قل لي السريع	١٠١

البيت الأول من القصيدة أو المقطعة

ما بين فاتر طرفها وجفوني
أما ترى الصدغ خطاً وأواً
أحسن أحسن أم الحسن
كم قتيل من (عذرة) وطعين
عذيري من سقيم المقلتين
كل شيء ولا قطيعاً بين
وغانية تغيننا فتغني
أفت في الحب شاهدين
إذا مادعتك دواعي الهوى
أشاقك سلع أم هفت بك ذكراه
لله سر جمال أنت معناه
ياراكب الفلك والأفلاك تهواه
إليك صحيفة شكوى محباً
أسرة الحي بي منكم رشي
من عذيري من عذول
إن تدم الحسود ذمك جهراً
تروم رضاهم ثم تأتي المناهيا
خط السنا ذهباً في اللازوردي
إن يشتبه رأيان في
أعرض عن العالم مسترضياً
العشيق همسة نفس

البحر

٦٧ خبر تمازح جـهـه بمجون الكامل
١٤٧ في صفح خدي للعيان مخلع البسيط
١٢٤ لقد جئت بالحسن في كل فن المتقارب
١٠٣ بين ييض الطلا وسم العيون الخفيف
١٤١ فإبها لخلق من يدين الوافر
١٠٩ يا شقيق النفوس من غير مين الخفيف
١١٣ بمنطقة الأغن عن الأغاني
١٤٣ سقام جسمي ودمع عيني مخلع البسيط
١٥٥ لما عنه سبحانه قد نهى المتقارب
٧٠ فساءات هذا الليل عندك أشباه الطويل
٨٠ حسبي به وكفى أني معناه البسيط
١٤٤ وما هذا الجفن والأجفان مثواه البسيط
١٤٥ شج في جحيم الهوى قد هوى المتقارب
١٠٤ منصف الأرداف مبخوس الحشى الرمل
١٣٧ في رشياً أسمر شياً مجزوء الرمل
١٦١ أوتنل منه نال منك وغياً الخفيف
٢٩ أحب وعصيان؟ لقد ظلت لاهيا الطويل
٢١٣ فالأفق ما بين مرقوم وموشي البسيط
١٥٥ شيء من الأشياء عليك مجزوء الكامل
١٥٣ من ليس تخفى عنه من خافية السريع
١٦٥ عن الرشاد خلية المجتث

التوشيح

١٦٩	قد أخرجـل الإصباح	١٦٩	يـمـامـصـبـاح
١٧٠	يـاقـر الأملـاك	١٧٠	مـأأحـلاك
١٧٢	ظبيـة البـان	١٧٢	سـل بـذي الضـال والسر
١٧٤	أو إلى الشمـول	١٧٤	هـل في ارتيـاحي إلى المـلاح
١٧٧	للألباب فتـانة	١٧٧	في ظبيـة رخيـة
١٧٩	وسرى بـالخيام	١٧٩	يانسيماً قد هـب من نجد
١٨٠	العقـار من راحتي بـدر	١٨٠	حي على الأنـس حيـا وابتـدار
١٨٢	وفي هـوى الحـسان	١٨٢	في طـاعة النـديم
١٨٤	كـدمـع مهجـور	١٨٤	قـم هـاتـمـا قهـوـة
١٨٥	ومحيا الزمـان الحـالي	١٨٥	هـذه الشمـس حلت بـالحمل
١٨٧	هـل يشـفي السقم	١٨٧	هـل للـعـزا من سـيـل
١٨٩	عن يـانـع الـزهر	١٨٩	الروض أبـدى ابتـسام
١٩١	من خـط واوين	١٩١	قـل يـاغـزال
١٩٢	وبرق الدجى يـذكي لعنـبه عرفـا	١٩٢	ألا نبـه الساقـي فـذا الـليل قد أغـفى
١٩٣	حسناً عن نظير	١٩٣	مـراكـ النـضير عـلا وجـلاً
١٩٤	تومي بلـحظ رقيـع إلى اقـتبال الربيع	١٩٤	هـبت من النـوم عـين البـهار
١٩٥	واجلـها شمـوساً لمرتبـب	١٩٥	أدر الكـؤوسـا على الطرب
١٩٦	بين كأس تـدار	١٩٦	ضـاع مـني الـوقـار

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	عصر الشاعر
٧	موطنه
٨	التعريف بابن خاتمة
٩	مشيخته - وتلامذته - ومكانته
١١	آثاره
١٣	حياته ووفاته
١٤	الديوان
١٦	نسخ الديوان ، والعمل في تحقيقه
١٩	شعر ابن خاتمة ، وأدبه
٢٥	المقدمة
٢٧	القسم الأول - في المدح والثناء
٦١	القسم الثاني - في النسيب والغزل
١١٧	القسم الثالث - في الملح والفكاهات
١٥١	القسم الرابع - في الوصايا والحكم
١٦٧	القسم الخامس - نبذة من التوشيح
١٩٩	مستدرك الديوان
٢٢٣	رسالة : الفصل العادل بين الرقيب والواشي والعادل
٢٣٣	فهرس القوافي
	الفهرس

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com